

الهيئة العربية للمسرح
Arab Theatre Institute

أربعة نصوص مسرحية

تأليف

عبدالكريم برشيد

على باب الوزير
ديوان الحشاشين
صياد النعام
ياليل ياعين

نصوص 3



الهيئة العربية للمسرح
Arab Theatre Institute
2011
نصوص 3

على باب الوزير
ديوان الحشاشين
صياد النعام
ياليل ياعين

أربعة نصوص مسرحية

تأليف
عبدالكريم برشيد



الكتـــــــاب : سلسلة « نصوص » / أربعة نصوص مسرحية ،تأليف . عبدالكريم برشيد

- مسرحية « على باب الوزيـر »
- مسرحية « ديوان الحشاشين »
- مسرحية « صـــياد النعـــام »
- مسرحية « يالـــيل ياعـــين »

مقـــــــاس : 24x14 ســـم

عدد الصفحات : 356 صفحة

عدد النســـخ : 1000 نسخـة

صـنـدوق بريـــد : 71222 الشارقـــة

هاتــــــف : 800 40 52 6 971+

بـــــــــراق : 770 40 52 6 971+

البريد الالكتروني : gsati@eim.ae

الموقع الالكترونــي : www.atitheatre.ae

الترقيم الدولـــي : ISBN 978-9948-16-342-8

سنـة الطبــع : 1432 هـ / 2011 م

إذن طباعة المجلس الوطني للإعلام - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة

رقـــــــــم : رق / 5242 / 2011 / بتاريخ 19 / 10 / 2011 م

رقم المطبـــوع : 29968 / 100122 / 1

الطبعة الأولـى : 1432 هـ / 2011 م / الشارقة (إ.ع.م.)

الإخراج الفني : عاصم النجار

الهيئة العربية للمسرح
Arab Theatre Institute
نصوص 3
2011



نصوص

مسرحية

على باب الوزير

احتفال مسرحي في نفسين

كل مشابهة مع الواقع لا علاقة لها بالصدفة

الإهداء

- إلى كل المدرسين والمدرسات
- إلى كل الذين علمونا كيف نكتب الحروف وكيف نركب الكلمات
- وإلى كل الذين التقينا بهم على حصير الكتاب يوماً، أو الذين جلسنا أمامهم على مقاعد المدارس والمعاهد والجامعات، أو الذين رافقونا ورافقناهم على صفحات الكتب
- وإلى كل الذين بينوا لنا كيف نفهم معنى الأشياء، وكيف ندرك معنى الصور ومعنى العبارات
- وإلى كل الذين ساعدونا على أن نواجه أوجاع سؤال الوجود، وأن نتعايش مع كل أصناف الكائنات الموجودات والمكتشفات والمبتكرات
- وإلى كل الذين أعطونا سر الكلمة المؤسسة للمعرفة، والذين أعطونا كلمة السر التي تفتح كل المغلقات، وتفك كل الرموز وكل الشفرات
- وإلى كل الذين أضاءوا لنا - بنور علمهم وفنهم . ظلمة الدروب وعتمة الأنفاق والطرقات الموحشة
- وإلى كل الذين ساعدونا على أن نعرف شيئاً عن ألغاز وطلاسم هذه الحياة المؤثثة بالعلامات والإشارات
- إلى كل أساتذتي - أساتذتنا أهدي هذا الاحتفال المسرحي الجديد

عربون محبة وتقدير وعرفان

شخصيات الاحتفال

المرأة – صليحة : المدرسة

عبد العلـــــي : زوجها

سلطـــــــان : ابنها

والد صليحـــة : في لعبة التذكر

عبد العلـــي 2 : في لعبة التذكر

رابــــــــح : الوزير

مونيكـــــــا : المدام زوجته

حيـــــــاة : الخادمة

رئيس الخدم

الحاج البواب

الخـــــادم 1

الخـــــادم 2

الخـــــادم 3

صوت الراديو

النفس الأول
1 - استهلال

(في بيت عتيق جداً، نرى امرأة وحدها داخل بقعة ضوء،تتحرك المرأة العجوز على كرسي هزاز وهي تتأمل ما حولها في صمت ،تتسع بقعة الضوء أكثر فأكثر، وتتضح كل معالم البيت الأخرى ،في الخلف، يظهر جهاز راديو قديم وكبير جداً، كبير إلى الحد الذي يمكن أن يصبح فيه خلفية البيت كله، الشيء الذي يجعله على صورة أبواب وشبابيك وستارات ونوافذ ورفوف كتب تلتفت المرأة إلى الراديو، وتعمل على تشغيله)

الراديـــــو : سيداتي سادتي.. السلام عليكم ورحمة الله تعالى بركاته..

المـــــــرأة : (للجمهور) ماذا تنتظرون؟ لقد قال لكم السلام عليكم، ألا تسمعون؟ المفروض أيها السادة أن تردوا التحية بأحسن منها، أليس كذلك؟ (تلتفت للراديو) وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد.. (فاصل موسيقي) آه ... نسيت .. لابد من الموسيقا..

الراديـــــو : أيتها السيدات والسادة، يسر إذاعتنا الجهوية أن تقدم الليلة..

(فاصل موسيقي)

المـــــــرأة : مرة أخرى .. الموسيقا.

الراديـــــو : .. على باب الوزير.. (موسيقا)

المـــــــرأة : هذه رواية تمثيلية بلا شك..

الراديـــــو : نعم، هي رواية اجتماعية سياسية، فكرية، فكاهية، درامية، نقدية، واقعية، وهادفة جداً جداً و..

المـــــــرأة : و.. يكفي.. موسيقا من فضلك.. (فاصل موسيقي)

الراديـــــو : تأليف الكاتب الناشئ والمبتدئ والشاب الأديب عبد الكريم برشيد..

للمـــــــرأة : عبد الكريم برشيد.. هذا الاسم لا أعرفه..

الراديـــــو : وحتى هو لا يعرفك..

المـــــــرأة : أنا يكفيني أن الله يعرفني..

الراديـــــو : إخراج: الأستاذ الكبير والخطير .. (يذكر اسم مخرج المسرحية)

المـــــــرأة : وحتى هذا الاسم لا أعرفه..

الراديـــــو : من سوء حظه المسكين..

المـــــــرأة : آه منك يا زمان، لقد تغيرت الدنيا، وتبدل كل ذلك الذي كان.. رحم الله تلك الأيام التي مضت.. أيام بوشعيب البيضاوي والبشير العلج والقدميري والصويري والحريزي ومحمد بلقاس وعبد الجبار الوزير والعربي الدغمي.. كنا نضحك حقاً.. أما الآن فلا ..

الراديـــــو : تمثيل الفنانة الكبيرة والمبدعة المقتدرة (يذكر اسم الممثلة الرئيسية في المسرحية)

المـــــــرأة : آه.. أما هذه فأظن أنني أعرفها.. أليست هي تلك التي تشبهني وأشبهها، والتي.. (موسيقا .. تواصل تحريك شفتيها من غير أن يُسمع ما تقول)

الراديـــــو : هذه الرواية التمثيلية العجيبة، تقدمها لكم فرقة..(يذكر اسم الفرقة واسم المدينة واسم البلد.. موسيقا..)

المـــــــرأة : فرقة ال.. لا أعرفها.. وفي الحقيقة أنا لا أعرف إلا فرق زمان.. آه.. لا شيء أصبح اليوم كما كان، وسبحان مغير الأزمان..

الراديـــــو : تشخيص.. (يذكر أسماء الممثلين والتقنيين المساهمين في المسرحية)

صـــــــوت : (خارجي هو صوت الزوج) غيري هذه المحطة الإذاعية .. غيريها.. ألا تسمعين يا صليحة؟

المـــــــرأة : أغيرها؟

الراديـــــو : أما أنا فإنني أنصحك ألا تغيريها سيدتي..

المـــــــرأة : ولماذا تريدني أن أغير المحطة ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : (وهو يطل عليها من نافذة وقد وضع عل رأسه قبعة الطباخين) إنها تسألني لماذا؟ وأقول لها لماذا.. لأنها يا مولاتي صليحة.

أصلحك الله ـ لا تعجبني، وهي تذكرني بالذي سوف يحدث لنا .. (يصبح اسمها صليحة)

صليحـــــــة : عجباً.. وكيف عرفت أنت الذي سوف يحدث لنا؟ هل أنت عراف؟

عبد العلـــي : لا .. أنا الآن طباخ.. طباخ حتى إشعار آخر. آه .. كيف عرفت.. كيف عرفت.. ذلك هو اللغز الأكبر يا زوجتي.. ألا تعرفين يا مولاتي، بأنني أعلم بعض ما لا تعلمين؟

صليحـــــــة : سبحان الله.. مع أن المعلمة في هذا البيت هي أنا وليس أنت..

عبد العلـــي : شيء آخر، وهو أنني لا يمكن أن أسمع ما يسمع الناس.. كل الناس، فأنا رجل ـ يا صليحة ، ذوقه صعب.. صعب جداً جداً..

صليحـــــــة : ليس ذوقك فقط، فأنت كلك مخلوق صعب..

عبد العلـــي : شكراً على هذا الإطراء..

صليحـــــــة : لم تقل لي.. أين كنت كل هذا الوقت ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أين كنت؟ كنت في المطبخ يا مولاة الدار..

صليحـــــــة : أعوذ بالله.. المرأة في الصالون والرجل في المطبخ..

عبد العلـــي : نعم، وهذه واحدة من علامات التقدم.. لقد صنعت لك حلوى رائعة جداً..

صليحـــــــة : أنت؟

عبد العلـــي : ركبتها بمعرفتي واجتهادي الشخصي، وستكون إن شاء الله تعالى آية في الحلاوة والطراوة..

صليحـــــــة : آية في الحلاوة؟ وكيف عرفت ذلك؟

عبد العلـــي : كيف عرفت؟ قد أكثرت من السكر ومن العسل ومن المربي ومن التمر ومن الشوكولاتة و..

صليحـــــــة : سيقتلني هذا الرجل يوماً.. متى تفهم ياعبد العلي بأن هذا شغل النساء؟

عبد العلـــي : أبداً.. بل هو شغل الرجال أيضاً، خصوصاً أولئك الذين يحالون على المعاش مثلي.. ماذا تريدين مني أن أصنع يا صليحة؟

صليحـــــــــة : لا تصنع شيئاً..

عبد العلـــي : لقد قدمت طلباً حتى أفتح كشكاً للمرطبات، ولحد الآن مازلت أنتظر..

صليحـــــــــة : قبح الله قلة الشغل.. حقاً.. إنه لا شيء أقسى على العاملين من ألا يشتغلوا ،ألا يعملوا أي شيء..

عبد العلـــي : اسمعي يا مولاة الدار، سأضع الحلوى في الفرن الغازي، وعندما تستوي، أضعها في الثلاجة وأعود إليك..

صليحـــــــــة : يا ويلتي من ضرتي الثلاجة..هذا الرجل لا يعرف في البيت غيرها.. إنها همه الأكبر، وفي ذاكرته ثقب كبير وخطير يسمى.. ماذا يسمى ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : يسمى الثلاجة .. (يضحكان)

2 - عقارب الساعة المسمومة

صـــــــوت : (خارجي) أمي.. يا أمي .. أين الحذاء؟ دليني على حذائي..

صليحـــــــة : (للجمهور) هذا ولدي سلطان.. تبارك الله، لقد ازداد عرضاً وطولاً وأصبح رجلاً.. ماذا تريد يا سلطان؟

(يدخل سلطان وهو حافي القدمين، يمسك بيده فردة حذاء)

سلطـــــــان : أمي.. يا أمي.. أين حذائي العتيق.. إنني لم أجده، فهل طار في السماء؟

صليحـــــــة : ربما..

سلطـــــــان : أم تراه تبخر في هذا الهواء؟

صليحـــــــة : كل شيء جائز في هذا البيت.. (تضحك) هو في يدك أيها المعتوه..

سلطـــــــان : في يدي؟ لا.. لا .. إنني أقصد الفردة الأخرى.. الأخرى قلت لك.. ألا تفهمين يا أمي؟

صليحـــــــة : معك ومع أبيك لم أعد أفهم شيئاً.. (صمت) هل بحثت تحت الفراش يا سلطان؟

سلطـــــــان : نعم، وتحت الكراسي أيضاً، وتحت اللحاف، وتحت التلفاز، وتحت كال شيء أيضاً..

صليحـــــــة : تحت كل شيء؟

سلطـــــــان : تقريباً..

صليحـــــــة : (تضحك) لقد عرفت.. هي موجودة فيها بلا شك..

سلطـــــــان : فيها؟ ماذا تقصدين يا أمي؟

صليحـــــــة : افتح الثلاجة وسوف تجدها فيها إن شاء الله ..

سلطـــــــان : ما هذا؟ الحذاء في الثلاجة؟ هذا هو الحمق بعينيه يا أمي .. هذا جنون، هذه فوضى، هذا شيء لا يطاق..

صليحـــــــة : وماذا تريدني أن أفعل لك؟ أبوك هو هكذا.. إنه لا يجد شيئاً أمامه إلا وأدخله الثلاجة .. (تضحك)

سلطـــــــان : يا أمي الفاضلة.. يا بنت الناس الطيبين.. لست أدري كيف تزوجت هذا الرجل المتعب..

صليحـــــــة : ماذا تقول يا سلطان .. هو أبوك الذي ليس لك غيره.. هل نسيت؟

سلطـــــــان : هل نسيت؟ ليت أني كنت أقدر أن أنسى..

صليحـــــــة : يا ويلي.. أهذا كلام يقوله ولد متعلم مثلك؟

سلطـــــــان : إنني يا أمي..

صليحـــــــة : اسكت.. اسكت ولا تضف شيئاً.. لست أدري ماذا كنت تدرس في الجامعة..

سلطـــــــان : كنت أدرس الحقوق يا أمي..

صليحـــــــة : أبداً.. أنت كنت تدرس العقوق.. أنت عاق بامتياز.. يا ويلي.. لقد ولدت بغلاً وأنا لا أدري..

سلطـــــــان : ماذا تقولين يا أمي؟ أنت أنجبت سيد الناس..

صليحـــــــة : ليتك كنت صادقاً يا رأس الغول..

سلطـــــــان : لقد أنجبت زين الشباب قلت لك.. وغداً يا أمي سوف ترين وتسمعين عني كل خير..

صليحـــــــة : ليت ذلك اليوم يأتي..

سلطـــــــان : تأكدي بأنه سوف يأتي.. المنطق يقول هذا..

صليحـــــــة : والمهم أن يأتي، وأن يجدني على قيد الحياة..

سلطـــــــان : أنت مازلت في قمة الشباب يا أمي، وإياك أن تصدقي الإدارة.. صدقيني أنا، واعلمي أن التقاعد هو بداية العمر الجميل..

صليحـــــــة : عجباً.. هذا كلام يمكن أن تقوله أنت؟

سلطـــــــان : ولم لا أقوله أنا يا أمي؟

صليحـــــــة : لأنه.. لأنه أكبر منك يا سلطان.. ينبغي أن تعرف بأنني امرأة سوف تموت..

سلطـــــــان : كلنا سوف نموت يوماً يا أمي..

صليحـــــــة : سأموت مسمومة بسمها، من غير أن يشعر بي أي أحد، لا أنت ولا أبوك، ولا أي واحد من الأهل والجيران..

سلطـــــــان : (منزعجاً) ماذا تقولين يا أمي، وأي سم تقصدين؟

صليحـــــــة : سم العقارب يا ولدي سلطان..

سلطـــــــان : العقارب؟ أي عقارب يا أمي؟

صليحـــــــة : عقارب الساعة.. ألا تعرفها؟ إنها عقارب مميتة وقاتلة ومدمرة.. اسألني أنا عن الزمن..

سلطـــــــان : سامحك اللّه يا أمي.. لقد صببت على رأسي ماء مثلجاً..

صليحـــــــة : إن الزمن يا سلطان هو أخطر السلاطين..

سلطـــــــان : (مازحاً) هو الأخطر؟ حتى مني أنا؟

صليحـــــــة : وهو أكبر المجرمين والقتلة، وهو أقذر الكذابين والمزيفين، وهو أفظع المكارين والدجالين والمهرجين..

سلطـــــــان : يا أمي.. رجاء لا تفكري في المجردات، وصدقيني، إنه لا شيء يقتل ويميت إلا هو..

صليحـــــــة : هو .. هو من يا سلطان؟

سلطـــــــان : مولانا الفقر عليه أكبر اللعنات.. نعم، هو وحده دون سواه، هو أبو العاهات والأمراض والموبقات، إنه مرض هذا العصر ومرض ذلك العصر ومرض كل عصر.. المهم يا أمي أن يكون لدينا المال الوفير.. نعم المال ثم المال ثم المال، وبعد ذلك يمكن أن نقهر المحال..

صليحـــــــة : (للجمهور) هذا الولد يخيفني..

سلطـــــــان : لا تخافي يا أمي، فغداً سيصبح الحال غير الحال، ويكون ولدك سلطان سيد الرجال.. ويكون سيد النساء أيضاً.. (يضحكان)

عبد العلـــي : (يأتي صوته من بعيد) سلطان .. ولدي سلطان .. تعال بسرعة..

سلطـــــــان : هذا أبي.. يعلم للّه ماذا يريد مني..

صليحـــــــة : اذهب إليه وسوف تعرف كل شيء، وإن شاء اللّه ..إن شاء اللّه ستجد عنده كل ما يسرك..

سلطـــــــان : أجد ما يسرني؟ لا أظن..

صليحـــــــة : هو في المطبخ ينتظرك .. (يخرج تشيعه ضحكات أمه)

3 - الراديو وآخر الأخبار.. السيئة..

(تعود صليحة إلى الكرسي الهزاز من جديد، ثم تشرع في البحث عن محطة إذاعية أخرى)

الراديـــــو : (موسيقا ثم..) هنا صوت الهنود الحمر.. (موسيقا)

صليحـــــة : ها ها .. صوت الهنود الحمر.. هل سمعتم؟ (للراديو) يا سيدي المذيع المحترم، والذي لا أعرفه ولا يعرفني، هل تعي حقاً ما تقول؟

الراديـــــو : واللّه يا سيدتي الفاضلة.. أتريدين الحقيقة؟

صليحـــــة : نعم، ولا شيء إلا الحقيقة..

الراديـــــو : إن هذا الصوت هو صوت ما تبقى من الهنود الحمر..

صليحـــــة : ما تبقى؟ لا إله لا اللّه.. (موسيقا جنائزية)

الراديـــــو : حملات الإبادة ما تركت منا إلا القليل..

صليحـــــة : لا تبتئس يا ولد الناس، إن ما تبقى من الهنود الحمر ليس قليلاً كما تظن..

الراديـــــو : ليس قليلاً.. ماذا تقولين يا سيدتي؟

صليحـــــة : لكم إخوة في كل بلاد اللّه الواسعة، إخوة من الهنود الحمر ومن الهنود السمر ومن الهنود السود أيضاً..

الراديـــــو : يا سيدتي.. يا سيدتي افهميني، نحن اغتصبت أرضنا..

صليحـــــة : ونحن أيضاً.. اغتصبت أرضنا واغتصبت كرامتنا..

الراديـــــو : وتعرضنا لحملات الإبادة المنظمة، إن همنا الآن هو ألا ننقرض يا سيدتي..

صليحـــــة : نحن أيضا مثلكم، إن أفظع ما نخشاه هو أن ننقرض

الراديـــــو : وعندما دافعنا عن أرضنا وعرضنا اتهمونا بكل التهم..

صليحـــــة : نعم، أعرف ذلك..

الراديـــــو : قالوا إننا أعداء الحضارة والتمدن، وإننا نخاصم الرب الأبيض، ونخاصم أبناء الرب..

صليحـــــة : يا ولدي، ماذا أقول لك، لقد استمعت إليك، وفهمتك جيداً، وذلك هو كل ما أقدر عليه.. إن العين بصيرة واليد قصيرة

ولا حول ولا قوة إلا بالله.. أستسمحك سيدي في الانتقال إلى محطة إذاعية أخرى..

الراديـــــو : إلى لقاء آخر يا سيدتي..

صليحـــــة : رجاء يا سيدي المذيع البديع أن تنقل تحياتي الحارة إلى شعبك، ومعها كل تحيات الهنود السمر والسود في كل الدنيا..

الراديـــــو : سأفعل يا سيدتي.. سأفعل.. (تغير صليحة مؤشر الراديو نحو محطة أخرى)

(تنبعث من الراديو أصوات عالية هي فرقعات وانفجارات وهتافات)

صليحـــــة : (خائفة) يا ويلي.. ما هذا؟ بركان أم زلزال، أم هو انقلاب عسكري؟

الراديـــــو : سيدتي المواطنة الحرة في كل مكان، لا تقلقي ولا تفزعي..

صليحـــــة : آه، طمأنت قلبي يا ولدي..

الراديـــــو : أنت في الاستماع إلى محطتنا القومية.. أنت معنا وفي ضيافتنا، أهلاً بك وسهلاً..

صليحـــــة : أكرمك الله يا ولدي..

الراديـــــو : بعد قليل يا سيدتي سنقدم لك الأخبار .. (موسيقا حماسية)

صليحـــــة : (تنادي بأعلى صوتها)عبد العلـي .. تعال لتسمع الأخبار..

عبد العلـــي : (من الخارج) لقد استمعت إليها بالأمس..

صليحـــــة : ماذا يقول هذا الرجل؟ هذه أخبار أخرى ياعبد العلي .. نعم، هي أخبار أخرى صدقني..

عبد العلـــي : (يطل عليها) دعيني يا مولاة الدار، إن شغلي أهم من نشرة الأخبار، ثم أيضاً، هل نسيت ماذا قال لي الطبيب؟

صليحـــــة : ماذا قال لك الطبيب؟

عبد العلـــي : قال لي : ابتعد عنها بالقدر الذي تستطيع..

صليحـــــة : عنها؟ تقصدني أنا أيها الخائن؟

عبد العلـــي : أبداً، بل عن الأخبار يا موالاة الدار، وعن عالم الأخبار

ومصائب الأخبار.. لقد قال لي: ابتعد عنها كثيراً كثيراً، إذا كنت تريد أن تعيش طويلاً طويلاً، هكذا تحدث الطبيب يا زوجتي..

صليحـــــة : ها.. ها.. أنت لا تحترم من أقوال الطبيب إلا ما يعجبك..

عبد العلـــي : نعم، وبذلك يعرفعبد العلي .. (يختفي)

الراديـــــو : (شعار نشرة الأخبار) سيداتي سادتي.. هنا صوت العربان من بلاد العربان..

صليحـــــة : اللهم يا رب العالمين أسمعنا خيراً.. آمين..

الراديـــــو : إليكم أخواتي وإخواني في كل مكان آخر الأخبار السيئة..

صليحـــــة : الأخبار السيئة. أنت بلا شك تمزح أيا الرجل؟

الراديـــــو : أبداً.. أبداً يا سيدتي المواطنة..

صليحـــــة : أليست لديكم أخبار أخرى جديدة؟ أخبار تكون سعيدة ومفرحة.. حتى ولو كانت مفرحة قليلاً فلا يهم..

الراديـــــو : أخبار مفرحة؟ وهذا اليوم؟ لا أعدك بشيء أيتها المواطنة..

صليحـــــة : الله الله، مسكين هو هذا اليوم التعس، وغداً يا سيدي ما قولك فيه؟

الراديـــــو : غداً؟ غداً لا أعرف عنه شيئاً، ولا أحد غيري يمكن أن يعرف عنه شيئاً.. من يدري، فقد تحدث المعجزة غداً، وأسمعك إن شاء الله أحلى الكلام..

صليحـــــة : يا سبحان الله.. لا تملكون كلاماً جديداً، ومع ذلك تصرون على الكلام..

الراديـــــو : يا سيدتي المواطنة الحرة الأبية..

صليحـــــة : بالله انتظر قليلاً ولا تقل شيئاً.. انتظر حتى أسألك سؤالاً صغيراً ثم من بعد أجب كما تشاء.. إنني فقط أريد أن أعرف- ومن حقي أن أعرف - لماذا كل هذه الإذاعات والتلفزات والمحطات السلكية واللاسلكية؟

الراديـــــو : يا سيدتي.. افهميني..

صليحـــــة : ولماذا تقيمون لهذا الإعلام وزارات وهيئات واتحادات ومنظمات وأجهزة متطورة؟ لماذا؟

الراديـــــو : تسألينني أنا يا سيدتي؟

صليحـــــــة : لست أنت بالتحديد، ولكنني أسألكم أنتم.. أنتم كلكم.. أجيبوا أيها الناس - إن كنتم فعلاً من الناس - أجيبوني، لماذا هذه الأخبار التي لا تخبر بشيء؟

الراديـــــو : الأمر سهل يا سيدتي..

صليحـــــــة : انتظر.. لم أكمل بعد، ثم أيضاً، وهذا هو الأهم الأهم، ألا ترون مثلي، لو توفرون هذه الأموال لأشياء أخرى.. أشياء تكون صادقة وحقيقية و.. ذات فائدة؟

الراديـــــو : يا سيدتي.. أنت بلا شك تعرفين أن الإعلام شيء خطير جداً..

صليحـــــــة : نعم أعرف، هو فعلاً خطير.. خطير علينا نحن المساكين..

الراديـــــو : يا سيدتي المواطنة المحترمة، دعيني على الأقل أقول..

صليحـــــــة : لا تقل شيئاً..

الراديـــــو : إنه لابد أن أقرأ الأخبار..

صليحـــــــة : الأخبار المعروفة ليست أخباراً، ألا تعرف هذا؟ يمكنك الآن أن تنصرف.. ضع أدواتك في محفظتك وانصرف.. انصرف في هدوء، وفي نظام وانتظام، ولا تفهم من هذا أنني أطردك..

الراديـــــو : يجب أن تسمعيني أيتها المرأة .. هل فهمت؟

صليحـــــــة : نعم أسمعك، ولكن ليس هذا اليوم..

الراديـــــو : ليس هذا اليوم؟ وغداً يا سيدتي؟

صليحـــــــة : غداً؟ غداً بظهر الغيب، ولا علم لي بعلم الغيب يا ولدي، فقد تحدث المعجزة الربانية وأسمعك في يوم من الأيام.. (تضع يدها على زر الراديو)

الراديـــــو : انتظري لحظة أخرى.. ثانية فقط..

صليحـــــــة : لن أنتظر.. (تطفئ الراديو) الله.. إنه لا شيء أجمل من الصمت..

(يدخل عبد العلي وهو يحمل عصا بيده)

4 - قالت : التربية مهنتي..

عبد العلـــي : (وهو يفتش في كل أركان البيت) أين هو؟

صليحـــــة : هو؟ هو من ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : السارق الذي كان هنا.. دليني عليه، وأنا أدق لك رأسه دقاً دقاً.. (وهو يواصل التفتيش)

صليحـــــة : يا هذا الرجل، ليس بالبيت أحد غيرنا..

عبد العلـــي : عجباً.. وصوت ذلك الرجل الذي سمعت؟

صليحـــــة : كان صوت الراديو فقط..

عبد العلـــي : آهاه.. ولكن صوته كان عالياً، تماماً كما لو أنه كان يجادل أحداً..

صليحـــــة : كان يجادلني أنا..

عبد العلـــي : لا.. غير ممكن..

صليحـــــة : تصور ياعبد العلي ، لقد قال الراديو كلاماً غريباً وتافهاً، ولكنني أنا لم أسكت له..

عبد العلـــي : أعرفك.. ومتى كنت أنت تسكتين؟ فإذا كان هو راديو، فأنت راديو ونصف..

صليحـــــة : لقد قال هو كلاماً..

عبد العلـــي : وقلت أنت كلاماً..

صليحـــــة : وتطور الكلام بيننا إلى ما بعد الكلام..

عبد العلـــي : آه.. مجنون من يجاري المـــــــرأة : في الكلام..

صليحـــــة : تطور إلى شيء يشبه السباب والشتم وتبادل الاتهام..

عبد العلـــي : يا سلام. ألف مرة قلت لك، إن الرجل الذي في الراديو لا يمكن أن يسمعك..

صليحـــــة : لا يسمعني؟

عبد العلـــي : إن هذا الجهاز يا صليحة هو جهاز راديو، هل فهمت؟ جهاز راديو نعم، وليس جهاز تلفزيون..

صليحـــــة : (تبتعد قليلاً لتحدث نفسها) غريب .. هذا الرجل أصبح يتوهم أشياء عجيبة.. يظنني أتوهم ما أقول.

عبد العلـــي : (في الجانب الآخر، وهو يحدث نفسه) نعم، هي تتوهم هذا

الذي تقول، وأظن أن هذا من أعراض الشيخوخة الظالمة.. الشيخوخة المبكرة طبعاً..

صليحـــــة : غلط.. نعم غلط.. إنه يتوهم أنني قد شخت قبل الأوان.. شخت وضاع مني لجام تفكيري.. لا لا .. إنني أعرف جيدا ما أقول..

عبد العلـــي : وما تقولينه لا يمكن أن يصدقه العقل.. إنه لا أحد يمكن أن يحاور الراديو، هذا هو المحال، المحال ، المحال..

صليحـــــة : (لنفسها) ومن قال إنني أحاور الراديو؟ إنني لا أحاور إلا نفسي.. نعم، إنني أحاورها بهمس مسموع، ومن حقي ذلك.. إنني أقول لها وأسمع منها، وأعطيها وآخذ منها، ومن يدري، فقد يصبح المحال الذي في أنفسنا كائناً وممكناً، ومن يمكن أن يدعي بأن اللامتوقع يمكن أن يقع؟ من يزعم هذا؟

عبد العلـــي : آه.. (للجمهور) نسيت أن أقول لكم شيئاً.. أن السيدة زوجتي مدرسة.. مدرسة سابقاً وليس لاحقاً.. وعلى يديها تخرجت أفواج من العلماء والفقهاء من رجال الدولة.. آه لو تعرفون، فقد كادت هذه المــــــرأة : أن تكون نبياً أو رسولاً.. نعم نعم، قلت نبياً أو رسولاً، ولكنها أيها السادة - ولسوء حظ هذه الدنيا التعيسة - لم تكن.. إنه خطأ قاتل بلا شك.. خطأ فظيع في دواليب الزمن الذي لا يؤتمن.. خطأ ألا يكون المعلم نبياً أو رسولاً. أنا أيضاً مثلها، وإن كنت لست معلماً، فقد أحالوني على التقاعد وقالوا لي اقعد.. (بلهجة آمرة) اقعد.. فقعدت.. من قبل كنت مسؤولاً كبيراً وخطيراً.. نعم أنا.. كنت مديراً في مؤسسة إنسانية كبيرة.. آه.. رحم الله أمنا الإنسانية..

صليحـــــة : (لعبد العلـي) لقد اخترت أن أكون مدرسة..

عبد العلـــي : مدرسة صبيان مشاغبين..

صليحـــــة : لقد علمت الأطفال لمدة أربعين عاماً أو يزيد.. تلامذتي اليوم في كل مكان، وفي أهم المناصب، فيهم الطبيب والمحامي، وفيهم رجال الأعمال والذين لا عمل لهم أيضاً..

عبد العلـــي : مثل ولدنا سلطان..

صليحـــــة : وفيهم الموظف والأجير، وفيهم المسؤول واللامسؤول أيضاً..

عبد العلـــي : نعم، ولكن. من منهم يعرفك اليوم يا بنت الناس؟

صليحـــــــة : تلك مهمتي ياعبد العلي .. مهمتي التي أديتها – يشهد الله– على الوجه الأكمل..

عبد العلـــي : لقد اختارت هذه المخلوقة تربية ابن آدم هواية ومهنة..

صليحـــــــة : وهي ـ وحق الله ـ أشرف مهنة..

عبد العلـــي : هي حقاً أشرف مهنة، ومن يمكن أن يقول عكس هذا، ولكنها أيضا أتعس مهنة، وأفقر مهنة، وتلك وحق الله هي المأساة، أو هي المهزلة، أو هي المهزلة بين المهزلتين.. لست أدري..

صليحـــــــة : يا الله.. ما أجمل تربية الأطفال الأبرياء..

عبد العلـــي : فعلاً، ما أجملها من مهنة، ولكن، ألا ترين يا مولاة الدار، أن تربية العجول أجمل منها؟

صليحـــــــة : العجول؟ ماذا تقول ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أو تربية الماعز أو الدجاج أو الأرانب، أو حتى تربية الخنازير ..

صليحـــــــة : إنك تمزح بلا شك ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أنا.. أبداً.. إنني أقول لنفسي دائماً لو أن حرمنا المصون، السيدة صليحة أصلحها الله، وسامحها الله، قد اشتغلت بتربية العجول لكان الحال اليوم غير الحال، ولكنت اليوم من أصحاب الجاه ومن أصحاب السلطة والمال..

صليحـــــــة : تقصد أن نكون أغنياء ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : تماماً يا مولاة الدار..

صليحـــــــة : ومن قال لك إننا لسنا أغنياء؟ نحن والحمد لله ..

عبد العلـــي : يا صليحة افهميني، هذه الحياة ليست مدرسة، وأنا لست تلميذاً.. أنت بلا شك نسيت متاعبنا المالية..

صليحـــــــة : أنا ما نسيت شيئاً أبداً..

عبد العلـــي : وهي متاعب لا تزداد مع الأيام إلا تضخماً..

صليحـــــــة : غداً يفرجها الله من عنده..

عبد العلـــي : وولدنا الذي لم يجد شغلاً.. هل نسيته يا صليحة؟

صليحـــــــة : عندما يشتغل كل الناس، سيشتغل هو أيضاً..

عبد العلـــي : آه يا ربي.. ليتنا نجد في تلاميذ هذه المربية عجلاً سميناً ينفع ولدنا سلطان..

صليحـــــــة : ماذا تخرف ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : وتكون له مسؤولية كبيرة وعين بصيرة، ويكون على كل شيء قديراً.. آمين يا رب العالمين..

صليحـــــــة : كل تلامذتي لهم اليوم مسؤوليات كبيرة..

عبد العلـــي : نعم.. نعم، ومع ذلك لم نر منهم إلا العقوق المبين.. تمنيت يا مولاة الدار لو يتكرم منهم واحد.. واحد فقط.. ويجد لولدنا سلطان وظيفة محترمة .. هل تراني أطلب المستحيل يا صليحة؟

صليحـــــــة : أبداً.. أبداً ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : يا اللّه.. إن أغرب ما في هذه المعلمة البئيسة هو أنها لا تعلم شيئاً.. لا تعلم في الحلوى ولا في غير الحلوى، ومع ذلك فإنها تدعي العلم والمعرفة وهي أجهل من عمنا الجيلالي..

صليحـــــــة : الجيلالي؟ ومن يكون هذا الجيلالي؟

عبد العلـــي : ألم أقل لكم إنها لا تعرف شيئاً ؟ ليكن في كريم علمك أن الجيلالي يحتاج إلى حديث آخر..

صليحـــــــة : حديث آخر؟

عبد العلـــي : نعم، وأن هذا الحديث الآخر يحتاج إلى مسرحية أخرى..

صليحـــــــة : لا.. تكفينا هذه المسرحية ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : يا أيها الناس.. (للجمهور) تصوروا أنني كلما جئت البيت وطرقت الباب (يسمع طرق على الباب) سمعت مولاة الدار تقول..

صليحـــــــة : من يطرق الباب؟

عبد العلـــي : هل رأيتم؟ هي لا تعرف من يطرق الباب، وهو على بعد خطوتين، ومع ذلك تدعي معرفة المسائل الكبرى في الحياة..
(يطرق الباب من جديد)

صليحـــــــة : ياعبد العلي يكفيك ثرثرة، ألا تسمع.. إن باب بيتنا يطرق..

عبد العلـــي : الباب يطرق، وأنا أعرف من يطرقه..

صليحـــــــة : تعرف؟

عبد العلـــي : نعم، هو صاحب البيت بلا شك، وقد جاء يطلب المال، ومن أين آتيه بالمال وأنا ضعيف الحال؟

صليحـــــــــة : اخرج إلى الرجل ياعبد العلي ..
عبد العلـــي : اخرجي إليه أنت..
صليحـــــــــة : اطلب منه أن يمهلنا قليلاً.. شهراً أو أقل.. كلمه بكل احترام ياعبد العلي .. قلت بكل احترام، هل سمعت؟
عبد العلـــي : نعم سمعت.. سأكلمه باحترام يليق بأولاد الحرام..

(يخرج وهو يضحك)

5 - النظر إلى الشهادة المعلقة..

سلطـــــــان : (وهو يطل من وراء ستار) أمي.. يا أمي.. هل اختفى بعلك المحترم؟

صليحـــــــة : نعم، اختفى مؤقتاً.. لقد ذهب ليفتح الباب ثم يعود.. ثم من بعد سيمر إلى المطبخ، وهناك سيبقى إلى ما شاء الله..

سلطـــــــان : إنني لا أريد أن ألتقي بذلك الرجل المتعب..

صليحـــــــة : لا تريد.. ولماذا؟

سلطـــــــان : لأنه سيسألني من جديد، ماذا فعلت وماذا لم تفعل، وهل صنعت هذه وتركت تلك.. سيذكرني ـ سامحه الله ـ بفشلي وخيبتي وبقلة حظي.. إن أسوأ ما أكره في هذا الرجل هي دروسه العتيقة جداً.. دروسه التي ليس لها طعم ولا معنى.. تصوري يا أمي أنه دائماً يذكرني بأسماء الناجحين من العائلة.. يذكرني بعبد الغني وبعبد العظيم وبعبد القوي وبعبد الجبار وبعبد القهار، فهذا أصبح محامياً، وذاك أصبح مهندساً، والآخر أصبح رجل أعمال مثل أبيه، وغيرهم كثير أصبحوا.. لست أدري ماذا أصبحوا..

صليحـــــــة : إنه أبوك يا سلطان، وهو يحبك..

سلطـــــــان : نعم، هو أبي، وأنا لم أقل العكس..

صليحـــــــة : وهو يخشى على مستقبلك..

سلطـــــــان : أنا أيضاً يقلقني هذا الوضع يا أمي، ولكن.. ماذا أفعل؟ إن أقصى ما أستطيع هو أن ألعن جد هذه الظروف..

صليحـــــــة : يا سلطان يا ولدي، نحن لا نطالبك إلا بما هو ممكن..

سلطـــــــان : أعرف.. وما هو ممكن أديته كله.. أديته وزيادة.. لقد تكرمتما ـ أنت والسيد بعلك ـ فولدتماني، وإنني لا أملك سوى أن أقول لكما شكراً.. أقولها صادقاً يشهد الله، مع أن متاعب هذه الدنيا اللعينة لا تستحق شكراً، وقلتما لي ـ أنت والسيد بعلك دائماً ـ انمُ واكبر، فنموت وكبرت بسرعة قياسية.. نموت حتى صرت ـ بعون الله ـ (وهو يتأمل نفسه) ماذا صرت يا أمي؟

صليحـــــــة : صرت بغلاً كما يقول أبوك.. (تضحك)

سلطـــــــان : مرة أخرى شكراً.. شكراً لك ولأبي.. أقولها صادقاً، وإن مثل هذا الكلام لا يحتاج شكراً..

صليحـــــــة : ما ألطفك من بغل جميل يا ولدي.. (تضحك) حقاً.. كل بغل في عين أمك غزال.. (تضحك)

سلطـــــــان : وقلتما لي اقرأ وتعلم، فالعلم نور والجهل عار، وقلتما لي أشياء أخرى غريبة وعجيبة.. أشياء نسيتها كلها، وهذا من فضل ربي، وتعلمت في المدارس يا أمي.. تعلمت وأخذت الشهادة بعد الشهادة.. الشهادة الصغيرة والكبيرة والمتوسطة، وقلتما لي.. ماذا قلتما لي يا أمي؟

صليحـــــــة : علقها على جدران البيت يا سلطان..

سلطـــــــان : وفعلاً علقتها، وإلى اليوم مازالت معلقة.. وتأملت حسنها وجمالها، ومنذ أن علقتها يا أمي توقف التاريخ في هذا البيت، وأصبح كل شيء في حياتي معلقاً..

صليحـــــــة : إنك تبالغ كثيراً يا ولدي سلطان..

سلطـــــــان : أبداً يا أمي.. لقد أصبحت الوظيفة معلقة، وأصبح الرزق معلقاً، وأصبح هذا العمر الثقيل معلقاً في الفراغ..

صليحـــــــة : يا ولدي سلطان، ألف مرة قلت لك، لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس..

سلطـــــــان : ما هذا؟ كلام المدارس مرة أخرى؟يا أمي .. لماذا أدخلتني المدرسة؟ لماذا؟

صليحـــــــة : ماذا يقول هذا الولد المجنون؟

سلطـــــــان : لو علمتني صنعة لكنت الآن رجلاً محترماً..

صليحـــــــة : يخيل إليك فقط، إنه لا أحد يحترم الجهل والجهلاء يا ولدي..

سلطـــــــان : حتى هذا كلام مدارس يا أمي.. إن الجهل مع المال ليس جهلاً..

صليحـــــــة : خطأ..

سلطـــــــان : والعلم مع الفقر ليس علماً..

صليحـــــــة : اسمع يا ولدي سلطان سأقول لك كلمتين..

سلطـــــــان : يا أمي.. بالله لا تقولي شيئاً آخر، لقد قلت ما يكفي.. قلت

أنت وسمعت أنا، ولقد جاء الوقت لتسمعيني.. اسمعي .. لو أنك علمتني البيع والشراء لكنت الآن تاجراً شاطراً..

صليحـــــــة : احمد ربك أنك لست اليوم تاجراً..

سلطـــــــان : ولو علمتني الكذب لكنت الآن سمساراً ناجحاً.

صليحـــــــة : ولدي أنا سمسار؟ يا للعار.. يظهر أنك لا تعرف من تكون أمك..

سلطـــــــان : كيف لا أعرف.. كيف.. أنت أم الرجال ومربية الأجيال.. ألا تعرفين يا أمي بأنك أنت المسؤولة..

صليحـــــــة : أنا المسؤولة؟ المسؤولة عن ماذا يا سلطان؟

سلطـــــــان : مسؤولة عن تفريخ أفواج كبيرة من الفاشلين ومن العاطلين ومن الحالمين ومن الغالطين ومن المثاليين ومن الهامشيين ومن الحمقى والمجانين..

صليحـــــــة : (تضحك) أنا؟ سامحك الله يا ولدي..

سلطـــــــان : علمت مبدأ الأخلاق في عصر بلا أخلاق، وبشرت بالحب والأخوة في زمن الكراهية، ودرست العلم الحق ولكن متى؟ في عصر غريب عجيب .. عصر الأمية فيه سيد ومولى والجهل سلطان..

صليحـــــــة : ليكن هذا العالم كما شاء، فأنا لن أكون إلا أنا، ولن أبيع مبادئي، ولو بكل ذهب الدنيا.. ستبقى أمك كما كانت دائماً، امرأة مؤمنة بالحق والخير وبالعلم والعمل وبالكد والرزق الحلال..

سلطـــــــان : أنا لو كنت مكانك يا أمي لعلمت التلاميذ ما ينفعهم..

صليحـــــــة : أنت تعلم يا سلطان؟ وماذا تعلمهم؟

سلطـــــــان : أعلمهم فنون العصر يا أمي.. متى تدركين أيتها المرأة الطيبة أن أخطر الفنون كلها هو فن الغش؟

صليحـــــــة : أعوذ بالله..

سلطـــــــان : وفن النصب والاحتيال والتلون مع الأحوال..

صليحـــــــة : كلامك هذا يخيفني يا سلطان..

سلطـــــــان : من حقك أن تخافي يا أمي، لأن الجهل فعلاً مخيف..

صليحـــــــة : الجهل؟

سلطـــــــان : نعم، أنت يا أمي تجهلين علوم هذه الساعة، وهي علوم جديدة لا تدرس في المدارس ولا في الجامعات، وإنما تدرس في الأزقة والحارات..

صليحـــــــة : أعوذ بالله من الأزقة والحارات..

سلطـــــــان : اليوم ينبغي على الناس أن يتعلموا بشكل مختلف.. نعم، عليهم أن يتعلموا كيف يتسلقون، وكيف يصلون، وكيف يربحون ولا يتعبون، وكيف يهتدون إلى أقرب الطرق وأسهل الطرق وأنجح الطرق..

صليحـــــــة : يا إلهي.. أنت لست ولدي الذي أعرف..

سلطـــــــان : صحيح.. أنا لست ولدك يا أمي..

صليحـــــــة : ما هذا الذي تقول يا سلطان؟

سلطـــــــان : أنا ولد هذا الزمن الرديء يا أمي.. كلنا أولاده وبناته، سواء رضينا بذلك أم لم نرض. وكل من لا يشبه زمنه هذا، فإنه لابد أن يتبرأ منه، وأن يرميه بعيداً جداً.. هل فهمت؟

عبد العلـــي : (يأتي صوته من الخارج) صليحة .. يا صليحة.. مع من تتكلمين؟

سلطـــــــان : (بهمس) ليس معي، فأنا لست هنا.. لقد خرجت..

(يخرج من جهة ليدخل عبد العلي من الجهة الأخرى)

6 - رحم اللّه أيام زمان..

(يدخل عبد العلي وهو يمسك بآنية من أواني المطبخ)

عبد العلـــي : لم تخبريني، مع من كنت تتكلمين يا صليحة؟

صليحـــــــة : إنني..

عبد العلـــي : إياك أن تقولي مع هذا الصندوق.. (مشيراً إلى الراديو) لأنني لن أصدقك..

صليحـــــــة : لا .. هذه المرة كنت أكلم ولدك سلطان..

عبد العلـــي : آه .. من؟ ذلك الغول سيقتلني يوماً يا صليحة .. سيقتلني وأنت المسؤولة..

صليحـــــــة : أنا؟ ولماذا أنا؟

عبد العلـــي : نعم أنت ولا أحد سواك.. يا عباد اللّه، أنا لم يعد لي أي اعتبار في هذه الدار.. رحم اللّه أيام زمان..

صليحـــــــة : هل تعرف حليمة ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : حليمة؟ ماذا بها؟

صليحـــــــة : يظهر أنها قد عادت إلى عادتها القديمة، عادت إلى البكاء والشكوى..

عبد العلـــي : لقد كان الناس.. كل الناس، يحسبون لي مليون حساب .. كان الكل .. رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً..

صليحـــــــة : ماذا تقول ياعبد العلي ؟ (تضحك) مليون حساب.. لك أنت؟

عبد العلـــي : نعم، لي أنا..

صليحـــــــة : ذلك هو المحال المحال يا سيدي مولى الدار..

عبد العلـــي : يظهر أنك لا تعرفين من أكون..

صليحـــــــة : المصيبة أنني أعرفك جيداً ياعبد العلي .. وأعرف من تكون.. (تضحك)

عبد العلـــي : لا .. واللّه أنت لا تعرفين شيئاً..

صليحـــــــة : (تضحك) تتحدث عن مليون حساب، مع أنه لا شيء لك في البنك، لا حساب ولا نصف حساب، ولا حتى رائحة الحساب..

عبد العلـــي : ماذا تخرف هذه المرة؟ إنني أتحدث عن الحساب المعنوي، ألا تفهمين؟

صليحـــــــة : آه.. الحساب المعنوي.. نسيت يا مولانا.. نسيت أن كل ثروتك هي ثروة معنوية .. (تضحك)

عبد العلـــي : مرة أخرى أقول، رحم الله أيام زمان، لقد عشت حياة لا عيب فيها، عشت فرحاً مطمئناً حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم..

صليحـــــــة : أي يوم ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أي يوم.. تسألني وهي عليمة.. ماذا أقول لك يا مولاة الدار وكل الهم منك أنت؟

صليحـــــــة : مني أنا؟

عبد العلـــي : إنه يوم النحس الأكبر والأصغر يا صليحة..

صليحـــــــة : أعوذ بالله .. إنك تخيفني أيها الرجل..

عبد العلـــي : ألا تذكرين يا صليحة بأنني في شبابي الجميل قد تعرضت لحادث غريب؟

صليحـــــــة : أنت تعرضت لحادث؟ هذا شيء لا أعرفه..

عبد العلـــي : حادث قاتل يا صليحة..

صليحـــــــة : ولكنك لم تمت ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : وذلك حادث آخر يا مولاة الدار.. حادث له حديث آخر..

صليحـــــــة : هذا الرجل يحدثني بالألغاز..

عبد العلـــي : ها.ها.. هل سمعتم؟ قالت الألغاز وهي تعرف كل شيء.. آه من ذلك اليوم يا مولاة الدار، لقد فقدت أعز الأشياء وأغلاها..

صليحـــــــة : ماذا فقدت ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : فقدت عزوبيتي.. فقدتها وأضعتها وأصبحت معوقاً كما ترين.. انظري إلى حالتي وتعاستي..

صليحـــــــة : أخزاك الله.. (تضحك)

عبد العلـــي : لقد أصابتني العين، ولحق بي كيد الكائدين، وأصبحت واحداً من ملايين المعوقين..

صليحـــــــة : (تضحك) احمد ربك أنك تزوجتني ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : الحمد لله.. الحمد لله الذي لا.. إلى آخره.. أكملي أنت يا صليحة..

صليحـــــــة : لولا هذه المـــــــرأة : ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : إنها تقصد نفسها..

صليحـــــــة : ما كنت لتصبح اليوم رجلاً متعلماً ومتمدناً..

عبد العلـــي : آه.. هذه شهادة أعتز بها.. شهادة بأنني رجل متعلم ومتمدن..

صليحـــــــة : صحيح أنت الآن متمدن، بعد أن كنت ما كنت..

عبد العلـــي : ماذا كنت؟

صليحـــــــة : كنت بغلاً حاشا السامعين..

عبد العلـــي : هذا كلام هراء وزعم باطل.. قديماً يا مولاة الدار كنت أتصور أشياء غريبة وعجيبة جداً..

صليحـــــــة : آه.. قال كنت ..أنت ياعبد العلي كنت ولا تزال.. مازلت تتصور الأشياء الغريبة والعجيبة..

عبد العلـــي : ظننت أن كل أمراضي يمكن أن يشفيها الزواج وتزوجت.. أو تزوجنا، وإذا بالمصائب كلها تأتي من هذا الزواج، وأول هذه المصائب يا صليحة هو ولدك سلطان العاطلين..

صليحـــــــة : من قبل ياعبد العلي لم يكن هذا رأيك..

عبد العلـــي : وتلك هي المصيبة العظمى يا مولاتي..

صليحـــــــة : (للجمهور) هذه واحدة من أعراض الشيخوخة..

عبد العلـــي : الآن فقط عرفت يا صليحة أن المرأة تتزوج لتدخل الدنيا، وأن الرجل يتزوج ليخرج منها..

صليحـــــــة : اليوم نسيت كل شيء ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : أبداً.. وحق الله ما نسيت شيئاً..

صليحـــــــة : نسيت يوم جئتني خاطباً راغباً، وبراءة الأطفال في عينيك..

عبد العلـــي : أنا؟

صليحـــــــة : نعم أنت.. جئت شاكياً باكياً والدمع في عينيك كأنه الأنهار الجارية..

عبد العلـــي : (للجمهور) لا تصدقوها..

صليحـــــــة : كان ذلك من زمن طويل ياعبد العلي .. الآن يظهر وكأنه الأمس أو أمس الأمس.. ما رأيك أيها العبد العلـــي : لو نستعيد صور ذلك اليوم؟

عبد العلـــي : ذلك اليوم.. أي يوم يا صليحة؟

صليحـــــــة : يوم الخطبة.. (فجأة تختفي كل الأضواء ويعم الظلام)

7 - يوم قرأنا الفاتحة..

(تظهر بقعة ضوء في الخلف، نرى بداخلها رجلا عجوزاً وحده وهو ينتظر، بعد ثوان يدخل رجل آخر هو عبد العلي في شبابه)

عبد العلـي 2 : صباح الخير يا عمي صالح..

والد صليحـة : صباح الخير يا ولدي..

عبد العلـي 2 : .. عبد العلي .. هذا هو اسمي، وإنني ـ كما ترى ـ شاب وسيم وعلى خلق عظيم..

والد صليحـة : تبارك الله .. تبارك الله..

عبد العلـي 2 : ومن مشاريعي يا عمي أن أصبح يوماً عجوزاً مثلك..

والد صليحـة : سيحصل ذلك إن شاء الله يا ولدي..

عبد العلـي 2 : وأن يكون لي ولد يشبهني أو يشبهك وأسميه سلطان..

والد صليحـة : كل شيء قريب عند رب العالمين..

عبد العلـي 2 : يا عمي صالح. لو جاء بيتك شاب لطيف وظريف مثلي، وطلب ضيف الله، ماذا تقول له؟

والد صليحـة : ماذا أقول؟ أقول له أهلاً وسهلاً ومرحباً..

عبد العلـي 2 : أكرمك الله يا عمي..

والد صليحـة : تفضل يا ولدي، اجلس حيث شئت، البيت بيتك، وإن كنت أنا الذي اشتريته، ودفعت فيه دم عروقي..

عبد العلـي 2 : (يجلس) إنه بيت جميل يا عمي، وهو يستحق ثمنه..

والد صليحـة : لقد طلبت مقابلتي يا ولدي، ترى ماذا وراءك؟

عبد العلـي 2 : (ينظر خلفه) ماذا ورائي؟ ليس ورائي شيء يا عمي..

والد صليحـة : إنني أسألك عن موضوع الزيارة يا ولدي.. هل فهمت الآن؟

عبد العلـي 2 : آه . الموضوع .. إنه بكل بساطة يا عمي موضوع اجتماعي وإنساني، ولقد جئتك طالباً القرب منك يا عمي..(بحياء مفتعل)

والد صليحـة : القرب مني؟ إن كان يهمك القرب مني فاقترب.. اقترب يا ولدي كما تشاء..

عبد العلـي 2 : يا عمي.. لقد فهمتني خطأ.. إني أريد أن أقول..

والد صليحـة : ماذا تريد أن تقول؟

عبد العلـي 2 : إنني يا عمي ـ وبكل بساطة ـ أرغب في الزواج من ابنتكم المصونة للا صليحة أصلحها الله، ورجائي يا عمي ألا تردني خائباً، فأنا يتيم، والله أوصى باليتيم خيراً، فما قولك؟

والد صليحـة : ما قولي؟ شخصياً يا ولدي، إن توفرت فيك الشروط، فليس لدي أي مانع..

عبد العلـي 2 : (لنفسه) هذه بداية مشجعة..

والد صليحـة : فقط يا ولدي، لو تتفضل بالجواب عن بعض الأسئلة.. الأسئلة التقليدية والبليدة قليلاً.. (يضحك) هكذا جرت العادة يا ولدي، خصوصاً في الأسر الكبيرة والعريقة والمحافظة مثل أسرتنا..

عبد العلـي 2 : اسأل كما تشاء يا عمي، فقد راجعت دروسي جيداً..

والد صليحـة : وأول الأسئلة يا ولدي، وأخطرها بلا شك، هو المتعلق بالشغل دائماً.. ماذا تشتغل ياعبد العلـي ؟

عبد العلـي 2 : أنا؟ أنا مدير يا عمي ..

والد صليحـة : ما شاء الله.. ما شاء الله.. مدير في أية مؤسسة يا ولدي؟

عبد العلـي 2 : أنا؟ أنا مدير في مؤسسة محترمة .. مؤسسة كبيرة وخطيرة، أعمالها يا عمي تغطي كل الدنيا الفانية.. تغطيها كلها، وتصل إلى حدود .. الآخرة..

والد صليحـة : تبارك الله .. تبارك الله.. اللهم زده خيراً..

عبد العلـي 2 : أنا مسؤول يا عمي.. مسؤول كبير في مستشفى كبير..

والد صليحـة : آه.. عرفت.. أنت طبيب بلا شك.. أو رئيس الأطباء، أليس كذلك؟

عبد العلـي 2 : طبيب؟ ماذا أقول لك يا عمي.. يمكنك أن تقول عني إنني .. تقريباً طبيب..

والد صليحـة : تقريباً ؟

عبد العلـي 2 : إنني المسؤول الكبير عن الثلاجة الكبرى..

والد صليحـة : آه الثلاجة .. عرفت.. ثلاجة التموين..

عبد العلـي 2 : لا يا عمي..

والد صليحـة : ثلاجة الأدوية إذاً؟

عبد العلـي 2 : أبداً.. بل ثلاجة الموتى يا عمي..

والد صليحـة : ثلاجة ماذا؟

عبد العلـي 2 : ثلاجة الموتى حاشاك.. (باحتشام مفتعل)

والد صليحـة : أعوذ بالله، ما هذا الذي أسمع؟

عبد العلـي 2 : كلنا لها يا عم، هم السابقون، وأنتم اللاحقون، ونحن بعدكم..

والد صليحـة : وأنت، مع هذه الثلاجة، ما هو شغلك بالضبط؟ أريد أن أعرف..

عبد العلـي 2 : (لنفسه) من الأحسن ألا يعرف..

والد صليحـة : ماذا قلت؟

عبد العلـي 2 : قلت يا عمي، بأن مهمتي هي أن أتلقى البضاعة..

والد صليحـة : البضاعة؟ أية بضاعة؟

عبد العلـي 2 : الجثث.. جثث الموتى يا عمي.. إنني أستلمها، بعد أن أوقع على محضر التسليم طبعاً، ثم إنني لا أسلمها لأصحابها إلا بعد أن يوقعوا.. تلك هي أصول الشغل النظيف.. إنني أتسلمها طرية، وأسلمها أكثر طراوة..

والد صليحـة : يا رب العالمين.. ماذا أقول لهذا الضبع؟

عبد العلـي 2 : ماذا تقول؟ لا تقل شيئاً يا عمي.. يكفي أن تضع يدك في يدي وأن نقرأ الفاتحة..

والد صليحـة : الفاتحة.. على روح من؟

عبد العلـي 2 : (يقرأ من غير أن يلتفت للشيخ) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين..

والد صليحـة : يا ولدي.. في الأمر سوء تفاهم كبير..

عبد العلـي 2 : الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين..

والد صليحـة : (بصوت مرتفع) ليس لدينا موتى في هذا البيت يا ولدي.. ألا تسمع؟

عبد العلـي 2 : ما هذا؟ إنني أقرأ وحدي، وهذا لا يصح يا عمي..

والد صليحـة : اقرأ وحدك يا وكيل عزرائيل.. يا عباد الله، من أين أتتني هذه البلية؟ من أين؟

عبد العلـي 2 : أنت أبو العروسة يا عمي، وينبغي أن تقرأ معي.. (يقرأ) اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .. آمين..

والد صليحـة : (يمسكه من يده ويدفع به نحو الباب) الباب من هنا يا ولدي.. عد إلى بيت أمك واقرأ معها ما تشاء..

عبد العلـي 2 : ولكن يا عمي..

والد صليحـة : أنا لست عمك، ولست عم أحد..

عبد العلـي 2 : لقد فهمتني خطأ، ولك علي أن أفهمك جيداً.. انتظر..

والد صليحـة : ابتعد عني.. اخرج من بيتي، وإلا طلبت لك سيارة الإطفاء.. الباب من هنا..

(يمسك بعصا ويجري خلف.. ظلام تام .. إضاءة كاملة، ونجد أنفسنا أمام صليحة وعبد العلي وهما يضحكان)

عبد العلـــي : لقد طردني المرحوم شر طردة يا صليحة..

صليحـــــــة : تستأهل يا .. راعي الثلاجة..

عبد العلـــي : ولكنني لم أستسلم، ولقد بقيت وراءك حتى طيرت كل الخطاب.. طار الجميع ولم يبق إلا أنا..

صليحـــــــة : وتزوجنا يا عبد العلي..

عبد العلـــي : نعم، وكان الذي كان.. (يحاول أن يضمها إلى صدره)

صليحـــــــة : ابتعد.. سيرانا الولد..

عبد العلـــي : ليته يرانا يا صليحة ..يرى دلال السيدة أمه وغنجها..

صليحـــــــة : ياويلي.. ما هذا الذي تقول؟ (اعقل) يا عبد العلي .. (اعقل)..

عبد العلـــي : قبح الله العقل..بماذا أفادنا هذا العقل يا مولاة الدار؟ من مصلحتك أن أكون مجنوناً بحبك.. (تضحك في دلال)

صليحـــــــة : ماذا تخرف يا إبليس؟

عبد العلـــي : أنا مجنون قلت لك.. مجنون صليحة..

(ينخرطان في ضحكة طويلة جداً.. يدخل سلطان من غير أن يشعرا به.. يبقى واقفاً في مكانه يتفرج)

8 - كل ملف ذائق الموت ..

سلطـــــــان : اللّه اللّه .. ما هذا الذي أرى؟ الوالد والوالدة في قمة الانسجام.. إنني أستسمحكما أيها السعيدان، فقد أفسدت عليكما نشوة الفرح بلا شك.. (يهم بالانصراف)

عبد العلـــي : انتظر.. إن هذا الضحك يا ولدي لا علاقة له بالفرح..

سلطـــــــان : آها ه..

عبد العلـــي : إنه الضحك المر على غرابة الأشياء، وعلى بؤس الدنيا، وعلى غباء بعض الأغبياء..

سلطـــــــان : لم أفهم يا أبي..

عبد العلـــي : لم يفهم؟ هل سمعت يا صليحة.. ومتى كنت تفهم شيئاً يا رأس الغول.. متى؟

سلطـــــــان : يا رب العالمين، يظهر أن نوبة الفرح قد انتهت.. (لنفسه) ليت أني ما حضرت..

عبد العلـــي : أنت ماذا ينقصك لتكون ناجحاً، مثل كل الناجحين؟ تكلم.. ماذا ينقصك يا رأس الغول..

سلطـــــــان : إنني يا أبي..

عبد العلـــي : مرة أخرى لا يقول شيئاً.. إنه لا يعرف إلا هذه الجملة المبتورة، إنني يا أبي.. يقولها ثم يسكت..

سلطـــــــان : يا ويلي.. لقد بدأ نشيد الإنشاد من جديد..

عبد العلـــي : تعال اقترب.. لا تخف، فأنا لن أضربك. ومن يضرب بغلاً طويلاً عريضاً مثلك؟ من؟

صليحـــــــة : ياعبد العلي (بهمس) إن الولد لم يعد ولداً..

عبد العلـــي : أظن أنني كلفتك بشيء، أليس كذلك؟

سلطـــــــان : وما كلفتني به قضيته يا أبي..

عبد العلـــي : سبحان اللّه.. وبهذه السرعة؟

سلطـــــــان : نعم، بهذه السرعة..

عبد العلـــي : عجباً..

صليحـــــــة : لقد طلب منك أبوك أن تكتب له طلباً..

سلطـــــــان : وكتبت الطلب يا أمي، ووضعته لدى السلطات.. لقد بينت فيه

أنك تنوي فتح محل للمرطبات والمثلجات..

عبد العلـــي : ولكن.. لماذا لم يأتني الرد بعد؟ لماذا؟ أجب يا رأس الغول.. هل أصاب ملفي مكروه؟

سلطـــــان : ماذا أقول لك يا أبي؟ لو كان الأمر بيدي لأجبتك في رمشة عين.. ولكن..

عبد العلـــي : صليحة.. يعلم الله ماذا أصاب ذلك الملف التعس..

سلطـــــان : لا شك أنه .. أنه .. هل أقول يا أبي؟

عبد العلـــي : نعم قل.. قل بسرعة..

سلطـــــان : ولا أخشى شيئاً يا أبي؟

عبد العلـــي : لقد منحتك الأمان، فهات ما لديك..

سلطـــــان : إني أخشى يا أبي.. وقد أكون خاطئاً طبعاً..

عبد العلـــي : وأنت دائماً خاطئ طبعاً..

سلطـــــان : إنني أخشى على ملفك أن يكون.. أن يكون..

عبد العلـــي : أن يكون ماذا؟

سلطـــــان : قد أدخلوه الثلاجة الأخرى يا أبي.. ثلاجة الموت التي تعرف..

عبد العلـــي : ما هذا الذي أسمع؟ أيكون ملفي حقاً قد..

سلطـــــان : المؤكد أنه قد.. (بحزن مفتعل) لا إله إلا الله.. كل ملف ذائق الموت يا أبي..

عبد العلـــي : هل سمعت يا صليحة؟ الملف الذي عولنا عليه مات..

سلطـــــان : مات أو قتل، والأرجح أن نقول إنه انتحر.. انتحر حتى لا يصبح أبونا بائع حلوى مسمومة .. (يهمس بالجملة الأخيرة في أذن أمه)

عبد العلـــي : ما أتعس حظك ياعبد العلي ..

سلطـــــان : لا تبتئس يا أبي، ولا تحزن، ولا تهتم ولا تغتم، واعلم أن ولدك بجانبك.. (مشيراً إلى نفسه)

عبد العلـــي : أنت؟ ومن أنت؟

سلطـــــان : أنا ولدك سلطان.. من كنت بجانبه كان الله معه..

عبد العلـــي : عجباً.. لقد أصبح الولد يتكلم يا صليحة.. ألا تسمعين؟

سلطـــــان : وهذا ما كنت تطلبه دائماً ياعبد العلي .. أن يتكلم..

عبد العلـــي : وليته ما تكلم.. سكت دهراً ونطق كفراً..

سلطـــــــان : لقد أراد الله بك خيراً يا أبي .. أعطاك ولداً نبيهاً ومؤدباً وعالماً..

عبد العلـــي : ها.. أنت عالم؟

سلطـــــــان : نعم، وقد وضعت علمي في خدمتك.. يجب أن تعرف يا أبي بأنني دائماً معك..

عبد العلـــي : أنت دائماً، ودائماً معنا، وتلك هي المصيبة..

سلطـــــــان : إنني مستعد لأن أساعدك على حمل بعض متاعب الدنيا.. كل صعب يهون بالتعاون، هكذا قات السيدة أمي، وقالت أيضاً، إن اليد الواحدة لا تصفق..

عبد العلـــي : ومن قال لك يا رأس الغول إنني أريد أن أصفق؟ من؟

سلطـــــــان : وماذا تريد يا أبي؟

عبد العلـــي : أريد أن أصفعك على قفاك، هل فهمت؟ وفي هذا تكفيني يد واحدة..

سلطـــــــان : هل رأيت الظلم يا أمي؟ إنه يريد أن يضربني. مع أنني لم أفعل شيئاً..

عبد العلـــي : لم يفعل شيئاً.. هل سمعت؟ يقولها ولا يخجل.. ألا تعرف بأن هذا هو المشكل.. أنك لا تفعل شيئاً أيها البغل.. اشتغل..

سلطـــــــان : وأين الشغل يا أبي؟ دلني عليه وأنا أطير إليه.. (يسمع طرق شديد على الباب)

صليحـــــــة : من عساه يكون الطارق ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : لست أدري.. ربما هو صاحب البيت..

صليحـــــــة : أعوذ بالله..

سلطـــــــان : لا تخش شيئاً يا أبي، إنه فقط صديقي.. صديقي عبد الغني، لقد طلبت منه أن يأتيني ببعض العناوين.. عناوين الشركات والإدارات.. هل رأيت يا أبي.. إنني جاد في البحث عن وظيفة.. سأخرج إليه ثم أعود بسرعة .. (يخرج)

عبد العلـــي : كل المتاعب والمصاعب أنت سببها.. أنت يا صليحة..

صليحـــــــة : أنا؟

عبد العلـــي : أنت أو هو.. لست أدري..

صليحـــــــة : هو؟ هو من؟

عبد العلـــي : الزواج يا مولاة الدار.. الزواج اللعين.. أخبريني يا صليحة، لماذا تزوجنا؟ لماذا؟

صليحـــــــة : ماذا تقول ياعبد العلـي ؟ هل أنت بخير؟

عبد العلـــي : ومن أين يأتيني الخير؟ إن الزواج هو الثلاجة الحقيقة.. ثلاجة المحبة والغرام.. حقاً إنها تحتفظ بالأجساد طرية، ولكن الروح يا صليحة.. أين هي الروح؟

صليحـــــــة : مرة أخرى الثلاجة..

عبد العلـــي : ما أجمل لو أن أرواحنا تظل حارة وملتهبة.. ملتهبة لحد الاحتراق.. (صمت) ما هذا؟ ألا تشمين ما أشم أنا؟

صليحـــــــة : وماذا تشم أنت؟

عبد العلـــي : أشياء تحترق يا صليحة..

صليحـــــــة : ها.. أنت لم يعد فيك شيء يحترق..

عبد العلـــي : أعرف.. ولكن الفرن..

صليحـــــــة : ماذا به الفرن؟

عبد العلـــي : لقد تركت فوقه طعام يومنا، ولا شك أنه قد ضاع.. اليوم يا أمة الإسلام لن نأكل شيئاً، والسبب هو هذه المرأة ..

صليحـــــــة : ولماذا أنا؟

عبد العلـــي : وهو ثرثرة هذه المرأة ..

(يخرج مهرولاً تشيعه ضحكات صليحة)

9 - ولد الأمس أصبح وزيراً..

(تعود صليحة إلى الكرسي الهزاز وهي تضحك، تشغل جهاز الراديو، ثم تأخذ في الاستماع إليه)

الراديـــــو : (فاصل موسيقي) أيها السادة المواطنون، أيتها السيدات المواطنات في كل مكان، أسعد الله أوقاتكم بكل خير، جاءنا اللحظة من رئاسة الدولة البلاغ التالي:

صليحـــــــة : بلاغ؟ اللهم اسمعنا خيراً.. (تنادي) عبد العلي .. يا عبد العلي .. تعال اسمع ..

الراديـــــو : بسم الله الرحمن الرحيم، في إطار التغييرات الوزارية، وتمشياً مع مصلحة البلاد العليا، فقد تم تسمية الأستاذ رابح ولد رابح وزيراً..

صليحـــــــة : رابح.. هذا الاسم ليس غريباً عليّ..

الراديـــــو : لقد تم تعيينه في هذا المنصب السامي نظراً لعلمه وخبرته وحنكته ومصداقيته، ونظراً أيضاً لغيرته ولوطنيته ولعلمه وأدبه ولسمعته الطيبة، سواء داخل الوطن أو خارجه..

صليحـــــــة : عفواً سيدي المحترم.. بالله انتظر قليلاً..

الراديـــــو : ما تريدين يا سيدتي الفاضلة؟ ألديك سؤال؟

صليحـــــــة : نعم، لدي سؤال يحرق كالجمر.. هل فعلاً قلت رابح ولد رابح أم إن سمعي المتعب قد خدعني؟

الراديـــــو : اطمئني سيدتي، سمعك بألف خير..

صليحـــــــة : الحمد لله.. سمعي بألف خير، ولكن هذه الدنيا يا ولدي..

الراديـــــو : ماذا بها هذه الدنيا؟

صليحـــــــة : شيء مؤكد أنها ليست بخير.. رابح أصبح وزيراً؟ يمكن أن أصدق كل غرائب الدنيا إلا هذا الخبر..

الراديـــــو : في الأمر سوء تفاهم بلا شك يا سيدتي..

صليحـــــــة : أبداً.. أبداً يا ولدي.. إنه هو. نعم هو .. إنني أعرف ذلك النمس..

الراديـــــو : أنت تعرفينه؟ تعرفين وزيراً؟ ذلك هو المحال يا سيدتي..

صليحـــــــة : (كمن تتذكر) رابح الذي أعرف أنا ،أبوه كان حارساً في السجن المدني..

الراديـــــو : أما هذا الرابح الآخر، فأبوه كان مديراً عاماً لكل السجون الوطنية..

صليحـــــــة : إذن هو يا محترم..

الراديـــــو : ماذا تقولين يا سيدتي؟

صليحـــــــة : وحق الله هو، ولا يمكن أن يكون إلا هو..

الراديـــــو : وكيف عرفت يا سيدتي؟

صليحـــــــة : كيف عرفت.. إنه لا أحد يمكن أن يكون مزيفاً بهذا الشكل إلا ذلك النمس. المدير العام لكل السجون.. (تضحك) .. إنه هو قلت لك..

الراديـــــو : هو من يا سيدتي؟

صليحـــــــة : رابح.. رابح ولد الضاوية الدلالة.. كان دائماً ينظر إلى فوق، لا يرضى بأبيه ولا بأمه، وكان كل طموحه أن يخرج من جلده..

الراديـــــو : قلت لك في الأمر سوء تفاهم بلا شك..

صليحـــــــة : أبداً يا ولدي..

الراديـــــو : فهذا الرابح هو رابح آخر، وسبحان الذي يخلق من الرابحين أربعين..

صليحـــــــة : هل تعرف بأنه في الفصل الدراسي كان يقول للجميع إن والده هو الباشا حمو؟

الراديـــــو : لا يا سيدتي المحترمة لا.. إن كل الأنباء التي وصلتني قد جاءتني من مصادر موثوق بها، وهي كلها تجمع على أن السيد الوزير من أسرة عريقة ونبيلة..

صليحـــــــة : كذب.. وحق الله كذب..

الراديـــــو : ثم إن ترجمته الذاتية التي بين يدي تشهد له بالجد والاجتهاد، وبأنه كان دائماً تلميذاً نجيباً ومتفوقاً..

صليحـــــــة : أبداً.. إن الكائن الوحيد الذي كان متفوقاً عليه هو بغل عمي شعبان.. (تضحك) صدقني..

الراديـــــو : كما تقول ترجمته أيضاً، إنه حصل على شهادات عليا كبيرة وكثيرة وخطيرة وعلى..

صليحـــــــة : ومن أين تأتيه الشهادات العليا أو الدنيا يا ولدي؟ إن الشهادات الوحيدة التي كان يعرفها هي الشهادات الطبية.. (تضحك)

الراديـــــو : (يتابع القراءة) سيداتي سادتي.. وزيرنا الجديد رحل في بعثات علمية إلى باريس وفرانكفورت وبوسطن واسطنبول وبغداد ودمشق والقاهرة، وتتلمذ على يد أكبر الأساتذة في العالم..

صليحـــــــة : الله أكبر.. هذا شيء لم يقع أبداً، ولذلك فإنني ـ أنا المدرسة صليحة ـ أطالبك بأن تسحب كلامك هذا، قبل أن تصبح نكتة بين العباد..

الراديـــــو : ماذا تقولين سيدتي؟ هذا الكلام ليس كلامي، إنه بلاغ حكومي، ألا تفهمين؟

صليحـــــــة : يا ولدي المذيع، يجب أن تعرف ـ ويعرف كل الناس ـ إن ما أقوله أنا هو وحده الحقيقة..

الراديـــــو : يا سبحان الله.. ومن طلب منك أن تقولي الحقيقة؟

صليحـــــــة : الحق أنطقني..

الراديـــــو : إن كل ما هو مطلوب منا جميعاً، هو أن نسمع.. نسمع ونبلع، هل فهمت يا سيدتي؟

صليحـــــــة : غير ممكن.. هذا تواطؤ.. هذه مؤامرة على البلاد، وعلى مستقبل البلاد، مؤامرة بالصمت الجبان والمدمر.. (تنادي بأعلى صوتها)عبد العلي .. ياعبد العلي .. هل سمعت ما يقول هذا الرجل؟

عبد العلـــي : (نسمع صوته ولا نراه) أي رجل؟ ليس في البيت غيرنا يا صليحة..

صليحـــــــة : رجل الراديو.. لقد قال كلاماً خطيراً.. خطيراً جداً ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : إنك فقط تتوهمين يا صليحة.. العني الشيطان، ورتلي ما تيسر من القرآن الكريم..

الراديـــــو : ينبغي أن تعرفي أن فضيلة الأستاذ رابح قد تولى ـ في إطار المشروعية طبعاً ـ ثلاث وزارات مهمة وخطيرة جداً..

صليحـــــــة : ثلاث وزارات؟ الله أكبر.. هل سمعت ياعبد العلي .. ولد الباشا حمو المزيف أصبح وزراء.. وزراء وليس وزيراً واحداً..

الراديـــــو : نعم، لقد أصبح وزيراً للتعليم..

صليحـــــــة : رحم الله التعليم..

الراديـــــو : ووزيراً للفلاحة..

صليحـــــــة : بلا تعليق..

الراديـــــو : ووزيراً لتربية المواشي..

صليحـــــــة : الله الله .. وفي هذا اعتداء على كرامة الماشية..

الراديـــــو : إن الأستاذ رابح ولد رابح هو رمز للمواطن الشريف والنزيه..

صليحـــــــة : رابح شريف؟ نورك الله يا ولدي، وعلمك ما لا تعلم..

الراديـــــو : إنه مثال حي للرجل المجاهد والمجتهد..

صليحـــــــة : كذب..

الراديـــــو : ثم إنه ـ بعد هذا وذاك ـ عالم علامة..

صليحـــــــة : نعم، هو عالم بلا شك.. عالم لا يعلم شيئاً..

الراديـــــو : إنه يفهم في كل شيء..

صليحـــــــة : مثل كل الوزراء.. هو يفهم في كل شيء يتعلق بالغش والتزوير وبالكذب والنفاق.. إنه ..

الراديـــــو : يا سيدتي.. إنك تقولين كلاماً خطيراً جداً..

صليحـــــــة : أعرف، ولكن أنت، هل تدرك معنى ما قلت؟

الراديـــــو : ماذا قلت أنا؟

صليحـــــــة : قلت كلاماً أخطر من كلامي .. قلت حكايات وخرافات وأساطير لا يصدقها العقل..

الراديـــــو : أنا فقط قرأت بلاغاً رسمياً، وقلت إن الأستاذ رابح أصبح وزيراً واحداً بمهام متعددة.. هل فهمت يا سيدتي؟

صليحـــــــة : وأنا فقط تعجبت، واستغربت، هل فهمت؟ وهذا من حقي كمواطنة في هذا الوطن.. تعجبت أن يكون تلميذي الكسول قد أصبح وزيراً..

الراديـــــو : يا سيدتي الموطنة اسمعيني.. هناك أشياء كثيرة لا تعرفينها أنت..

صليحـــــــة : وأنت أيضاً، أيها المواطن اسمعني، هناك أسرار كثيرة وكبيرة لا تعرفها أنت، ومن حقك أن تعرفها.. إنه لا يصح أن تشتغل بالإعلام وأنت لا تعلم شيئاً..

الراديـــــو : إنك ترددين كلام أعداء الوطن، وهذا شيء ليس في مصلحتك..

صليحـــــــة : أعرف.. هو كلام ليس في مصلحتي، ولكنه في مصلحة الوطن.. انتهى الكلام .. يمكنك أن تنصرف.. (تهم بإغلاق جهاز الراديو)

الراديـــــو : انتظري .. انتظري قليلاً أيتها المـــــرأة : المشاغبة..

صليحـــــــة : ماذا تريد أيضاً ؟

الراديـــــو : انتظري حتى أضع لك النقاط على الحروف..

صليحـــــــة : ها ها وكيف ذلك يا مسكين، وأنت لا تملك نقاطاً ولا حروفاً.. يظهر يا ولدي أنك أجهل من وزيرك الأمي..

الراديـــــو : هذا كثير .. كثير جداً، ولابد أن تدفعي الثمن غالياً.. (تمتد يدها نحو الراديو) دعيني أكمل، فمازال في جعبتي الكثير من الكلام، ومازال في أوراقي الكثير من البلاغات والبيانات.. (لا تقدر أن تطفئ الراديو، وكأن هناك من يمسك بيدها..)

صليحـــــــة : (تنادي بأعلى صوتها)عبد العلي ..يا عبد العلي .. تعال بسرعة .. تعال قلت لك.. هذا الشبح سيكسر ذراعي .. (يدخل عبد العلي وهو يجري.. يتجه نحو الراديو ويطفئه)

صليحـــــــة : (بارتياح) الله.. لقد تبخر الملعون في الفراغ..

10 - وصل الذي لم يسرْ ولم يمشِ ..

عبد العلـــي : لماذا كنت تصرخين يا صليحة؟ وما الذي وقع؟

صليحـــــــة : ما الذي وقع؟ كل شر يا عبد العلي ، وكل جنون وحمق..

عبد العلـــي : أعوذ بالله، ماذا تقولين؟ هل أصاب البلاد والعباد مكروه؟

صليحـــــــة : ماذا أقول لك.. هل تعرف الولد رابح؟

عبد العلـــي : رابح.. أي رابح من الرابحين يا صليحة؟ لقد تكاثروا في الأيام الأخيرة.. أصبحوا عصبة وقبيلة.. أصبحوا كل شيء ونحن لا شيء..

صليحـــــــة : أقصد رابح ولد رابح.. ألا تذكره.. ذلك الذي كان تلميذاً في مدرستي والذي..

عبد العلـــي : آه.. عرفته.. ذلك الولد الغشاش..

صليحـــــــة : نعم هو، ولكنه اليوم لم يعد ولداً..

عبد العلـــي : شيء طبيعي، ماذا أصابه يا صليحة؟ هل أدخلوه السجن؟ هل أعدموه؟ لقد سمعتك تقولين عنه دائماً إنه وجه إجرام وسجون.. صليحـــــــة : ماذا أصابه؟ لاشيء، سوى أنه قد فتح الله عليه وأصبح رجلاً محترماً..

عبد العلـــي : سبحان الله.. لقد كان ذلك الولد دائماً كبيراً وعظيماً..

صليحـــــــة : (وكأنها تكلم نفسها) فعلاً.. كان عظيماً في تفاهته وحقارته..

عبد العلـــي : لم تخبريني يا صليحة، ماذا أصاب ذلك الولد؟

صليحـــــــة : أصبح وزيراً ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : آه.. ماذا؟

صليحـــــــة : عفواً.. بل أصبح وزراء .. ثلاثة وزراء في واحد..

عبد العلـــي : غير ممكن.. إنك تمزحين بلا شك..

صليحـــــــة : أنا أيضاً مثلك، في البدء لم أصدق، ولكن الواقع هو هذا، إنه أكبر منك ومني، وأكبر منا جميعاً..

عبد العلـــي : في الأمر خطأ ما يا صليحة.

صليحـــــــة : بل في الأمر أخطاء كثيرة ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : إن الأسماء تتشابه، وقد يكون الوزير رجلاً آخر..

صليحـــــــة : لا أظن. إنه هو .. هو قلت لك..

عبد العلـــي : يا سبحان الله.. أيكون هذا الذي أسمعه حقيقة؟

صليحـــــــة : لا هو واقع فقط.. واقع وليس حقيقة.. هو زيف وتشويه واعتداء على روح الحقيقة..

عبد العلـــي : ماذا وقع لهذه الدنيا المجنونة؟ أخبريني يا صليحة؟ ماذا وقع لها؟ ولماذا وجوه الحبس تدخل الوزارة؟ ولماذا يبقى الشرفاء في الظل أوفي البيت أو في السجن أو في المنفى؟

صليحـــــــة : إنه منطق الساعة ياعبد العلي .. هذه الساعة، وهو منطق غريب وعجيب كما ترى وتسمع..

عبد العلـــي : يا الله .. ما أغرب هذه الساعة.. المجتهدون يبدأون من نقطة الصفر، يبدأون صغاراً وينتهون صغاراً، أما الغشاشون فيبدأون من نقطة الوصول، يبدأون كباراً..

صليحـــــــة : لا كبير إلا الحق..

عبد العلـــي : (كمن يكلم نفسه) الملعون .. لقد وصل رابح إذن؟

صليحـــــــة : نعم وصل، مع أنه لم يسر ولم يمش.. لم يمش كما يمشي كل الناس على هذه لأرض..

عبد العلـــي : لقد طار يا صليحة، وحلق مع الطيور المحلقة في السماء..

صليحـــــــة : لقد قرأت ياعبد العلي ، أن أغرب ما يميز هؤلاء الوصوليين هو أنهم عندما يصلون لا يذهبون..

عبد العلـــي : ولماذا يذهبون يا مولاة الدار؟ لماذا؟

صليحـــــــة : حقاً.. لماذا يذهبون..

عبد العلـــي : ثم أيضاً، أين يذهبون؟ أين يا صليحة وهم لا يعرفون شيئاً، ولا يتقنون شيئاً؟الآن فقط أدركت أن المهام الكبيرة والخطيرة هي الأسهل دائماً.. إنه لا شيء أسهل من أن يكون الإنسان وزيراً، أليس كذلك يا مولاة الدار؟

صليحـــــــة : لست أدري ياعبد العلي .. لست أدري..

عبد العلـــي : لقد حدثتني كثيراً عن ذلك الولد..

صليحـــــــة : أي ولد؟

عبد العلـــي : ذلك الذي لم يعد اليوم ولداً..

صليحـــــــة : (كمن يتذكر) في الفصل ياعبد العلي لم يكن يرفع أصبعه أبداً.

عبد العلـــي : نعم، وإذا حدث ـ سبحان الله ورفعه يوماً يا صليحة؟

صليحـــــــة : آه.. إذا حدث ذلك، فلكي ينبهني أن جرس الخروج قد دق.. (يضحكان)

عبد العلـــي : كان حريصاً على حقوقه يا صليحة..

صليحـــــــة : ولم يكن يفتح فمه في الفصل أبداً، ولكن .. قد يحدث مرات كثيرة أن يفتحه عن آخره.. هكذا.. (تفتح فمها كما في حال التثاؤب)

عبد العلـــي : وهكذا يكون التثاؤب الجميل ..

صليحـــــــة : يتثاءب وكأنه لم ينم سنتين.. (يضحكان)

عبد العلـــي : لا شك أنه اليوم قد نسي كل هذا..

صليحـــــــة : ينساه؟ وبهذه السرعة.. لا أظن..

عبد العلـــي : من حقه أن ينسى خيبته القديمة، أو على الأقل، يحاول أن ينساها، وينسى معها تلك المدرسة القاسية..

صليحـــــــة : من تقصد ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أقصد تلك الشابة التي كان يخشاها حتى الموت، والتي كان يسميها ـ مع أصدقائه ـ الحراقية..

صليحـــــــة : أتسخر من جديتي ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أنا ؟ أبداً.. أبداً يا أيتها المدرسة الصارمة في الحق.. إنني فقط أريد أن أقول..

صليحـــــــة : اسمع.. أنا فعلاً كنت قاسية، ولكن رحمة بالأطفال، وغيرة على العلم وعلى الأخلاق وعلى الشرف ..

عبد العلـــي : أعرف .. أعرف يا صليحة، ولا أحد يعرفك أحسن مني..

صليحـــــــة : وكنت أغضب أيضاً، ولكن على المتكاسلين وعلى الغشاشين وعلى التافهين وعلى الكذابين ..

عبد العلـــي : نعم .. نعم.. وهل قلت أنا إلا هذا؟ (يسمع صوت سلطان في الخارج)

صليحـــــــة : هذا ولدنا سلطان قادم يا عبد العلي ..

11 - مصيبة بحجم .. الفرج ..

(يدخل سلطان وهو يجري)

سلطـــــــان : ماذا جرى؟ أخبريني يا أمي.. أريد أن أعرف.. ومن حقي أن أعرف..

صليحـــــــة : مصيبة .. مصيبة حلت بالبلاد والعباد..

سلطـــــــان : مصيبة أخرى؟

صليحـــــــة : وهذه هي الأكبر.. هي أم كل المصائب يا سلطان..

سلطـــــــان : يا إلهي.. ما هذا الذي أسمع؟ لماذا تأتينا المصائب وحدها في هذا البيت؟ لماذا ولنا منها ما يكفي أمة كاملة.. اسمعي يا أمي، إذا استمر الحال على هذه الحال، فينبغي أن نفكر في تصدير بعض هذه المصائب إلى الخارج..

عبد العلــي : مصيبة في حجم خيبتك يا سلطان..

سلطـــــــان : في حجم خيبتي؟

عبد العلــي : واحد من تلاميذ أمك أصبح وزيراً كبيراً..

سلطـــــــان : أصبح وزيراً ؟ هذه ليست مصيبة يا أمي..

صليحـــــــة : ليست مصيبة؟

سلطـــــــان : هذا هو الفرج بعينه، الفرج الأكبر يا أمي، أخيراً جاءنا يمشي على العجلات.. ماذا تنتظرين يا معلمة الوزير؟ قولي له أهلاً وسهلاً ومرحباً.. فكري جيداً في مستقبل ولدك سلطان..

صليحـــــــة : لقد فكرت.. فكرت كثيراً في مستقبل هذا البلد..

سلطـــــــان : عجباً.. وما دخلك أنت بهذا الوطن؟ ما أنت إلا أم.. أمي أنا، وزوجة هذا الرجل، صاحب الثلاجة..

صليحـــــــة : ما دخلي أنا؟

سلطـــــــان : يكفيك أن تفكري في مستقبلي أنا.. أنا ولدك الوحيد، وأنت أمي الوحيدة، وهذا الرجل - سامحه الله - هو أبي الوحيد..

صليحـــــــة : ماذا تخرف أيها الولد المجنون؟

سلطـــــــان : أنت مدرسة الوزير يا أمي، وقديماً قال الناس، من علمني حرفاً صرت له عبداً، وأنت قد علمت هذا الوزير كل الحروف..

من الألف إلى الياء، أليس كذلك يا أمي؟

صليحـــــــة : يا الله.. ماذا أقول لهذا الولد؟

سلطـــــــان : لا تقولي شيئاً.. يكفيك أن تحسي اليوم بالفخر والسعادة..

صليحـــــــة : نعم.. ما أسعدني .. (تنطقها بصعوبة)

سلطـــــــان : لقد أصبح لك عبد من العيار الثقيل.. عبد من الوزراء يا أمي.. عبد أبيض يقول لك شبيك لبيك وكل ما تريدينه يحضر بين يديك.. هو عبد وكفى، ولا تسألي إن كان من الجن أو الشياطين، أو كان من الملائكة..

صليحـــــــة : حماسك هذا يخيفني يا سلطان..

سلطـــــــان : يا أبي.. ماذا تنتظر؟ قل لها عهد الخوف مضى وانقضى إلى غير رجعة.. قل لها إن أيام البؤس قد راحت..

عبد العلـــي : إنني..

سلطـــــــان : يا أمي.. هل نسيت أنني مازلت بلا شغل؟

صليحـــــــة : وكيف أنسى ذلك؟

سلطـــــــان : وأن أبي مازال ينتظر الترخيص؟

صليحـــــــة : هذه أشياء بسيطة. بسيطة جداً يا سلطان..

سلطـــــــان : نعم، هي أشياء بسيطة وصغيرة جداً، ولكنها تحتاج إلى واسطة كبيرة، أليس كذلك يا أبي؟

عبد العلـــي : إنني..

سلطـــــــان : يا أيها الوالد، بالله قل شيئاً آخر..شيئاً آخر هذه ال (إنني) قل للسيدة زوجتك أن تطلب مقابلة السيد الوزير..

صليحـــــــة : أنا أطلب مقابلة الوزير؟ ولماذا؟

سلطـــــــان : أنت مدرسته يا أمي، ولك عليه حقوق وحقوق..

صليحـــــــة : يصعب علي أن أطلب شيئاً من أحد، كائناً من كان هذا الأحد..

سلطـــــــان : اطلبي هذا يا أمي.. هذه المرة فقط، ولتكن الأولى والأخيرة، وبعدها سيتغير كل شيء، أليس كذلك يا أبي؟ تكلم.. قل إنني..

عبد العلـــي : إنني..

سلطـــــــان : وحق الله قالها..

عبد العلـــي : متفق مع الولد يا صليحة..

سلطـــــان : يا إلهي.. وقال غيرها أيضاً.. (في فرح) عاش الوالد العظيم.. هات رأسك أقبله..

عبد العلـــي : يا صليحة، إنه من حقنا أن نرى الدنيا كما هي الدنيا، وأن نحيا كما يحيا كل الناس..

صليحـــــة : نعم، من حقنا أن نحيا، كما يحيا أشراف الناس..

عبد العلـــي : لقد ولى الشباب يا صليحة، ومن حقنا أن ننعم بشيخوخة مريحة..

صليحـــــة : يا اللّه.. مازلت لم أصدق بعد، كيف أن ذلك (الجربوع) يصبح وزيراً.. ماذا جرى للدنيا يا عبد العلي ؟

عبد العلـــي : أنت ماذا يعنيك من هذه الدنيا.. يكفيك أن تصدقي كل هذا الذي يجري ويدور، وأن تعرفي أن هذا الزمن هو غير ذلك الزمن، وأن هؤلاء الناس هم غير أولئك الناس..

صليحـــــة : ماذا أقول يا ربي. هل أصدقكما أم أصدق نفسي؟

سلطـــــان : صدقينا نحن، وسوف تربحين الربح المبين..

عبد العلـــي : سنربح نحن أيضاً، تماماً كما ربح رابح، وربح كل الرابحين السعداء..

صليحـــــة : يا اللّه .. زمنك هذا اليوم زمن غريب وعجيب، وهو رهيب وكئيب حتى الفزع المرعب..

سلطـــــان : غداً يا أمي سيتغير كل شيء .. وسوف نرى الأيام بعين أخرى..

صليحـــــة : (وكأنها تخرج من غيبوبة) آه.. ماذا قلت؟

سلطـــــان : قلت إن الخير أيام، وإنه قد جاء الوقت لنرى الأيام بكل ألوانها الحقيقية..

صليحـــــة : يا ولدي.. ألم تسمع قول من قال : أعط ما للّه للّه وما لقيصر لقصر؟

سلطـــــان : مرة أخرى نعود لكلام المدارس.. ولماذا يا أمي أعطي؟ ودائماً أنا الذي أعطي؟ لماذا؟ إنني أريد أن آخذ، كما يأخذ الآخرون،هل فهمت؟ وهذا من حقي، ومن حقنا جميعاً.. لماذا نعطي نحن ما للّه للّه، ولا يعطي اللّه إلا لأولاد الكلب؟ لماذا؟

صليحـــــــة : استغفر الله يا ولدي.. هذا كلام لا يقال..

سلطـــــــان : لا يقال.. ولكنني قلته يا أمي، لأنه يجثم على قلبي، ويخنق أنفاسي، وسأظل أقوله حتى تتغير هذه الدنيا..

صليحـــــــة : أيها الولد.. في المدرسة لم يعلموك مثل هذا القول..

سلطـــــــان : في المدرسة لم يعلمونا أي شيء.. لا شيء إلا الكلام الذي ليس له أي معنى.. هل تعرفين يا أمي أن أستاذة الفنون الجميلة لم تكن جميلة؟

صليحـــــــة : ماذا يقول هذا الولد؟ ومن أين يأتي بهذا الكلام؟ (وهي تنظر إلىعبد العلي)

سلطـــــــان : وأن أستاذ التربية الوطنية يعاني من فقر شديد في الوطنية..

عبد العلـــي : هذا كلام آخر يا رأس الغول.. كلام له وقت آخر، أما الآن، فإن المطلوب هو أن نذهب إلى السيد الوزير.. تعالي يا صليحة.. (يمسكها من يدها)

سلطـــــــان : (يمسك يدها الأخرى) وسنطرق بابه، ويخرج إلينا خدمه، ثم يكون اللقاء التاريخي..

عبد العلـــي : هو لقاء واحد يا صليحة.. واحد فقط..

سلطـــــــان : نعم، وبعده يتغير التاريخ بكل تأكيد..

عبد العلـــي : لنغير ملابسنا أولاً، ثم من بعد، نذهب إليه في موكب مهيب.. سأرتدي البذلة الجديدة، ومعها أضع ربطة العنق الجديدة..

سلطـــــــان : غير ملابسك، ولكن بسرعة يا أبي..

عبد العلـــي : رمشة عين وأكون جاهزاً..

سلطـــــــان : إن هذا الزمن لا ينتظر المتخلفين يا أبي..

عبد العلـــي : (كمن تذكر شيئاً) انتظر.. انتظر قليلاً.. كدت تنسيني شيئاً خطيراً يا رأس الغول..

سلطـــــــان : إيه.. انتبه لما تقول يا أبي.. إن رأس الغول هذا سيصبح غداً رأس الحكمة والعبقرية..

عبد العلـــي : قل إن شاء الله يا.. (يحرك شفتيه من غير صوت)

سلطـــــــان : سيصبح موظفاً كبيراً ومسؤولاً خطيراً..

عبد العلـــي : ومع ذلك فلا بأس أن تقول إن شاء الله يا .. إذاً اسمع أيها

الموظف الكبير، كنا على وشك أن ننسى..

سلطـــــــان : ننسى ماذا يا أبي؟

عبد العلـــي : ننسى أن بالثلاجة حلوى رائعة وشهية..

سلطـــــــان : سنأكلها.. إن شاء الله، عندما نعود من عند الوزير، ويكون ذلك احتفالاً بالعصر الجديد..

عبد العلـــي : فكرة رائعة يا..

سلطـــــــان : رأس الغول.. سابقاً.. (يضحكون جميعهم)

عبد العلـــي : هذه المرة أنت الذي قلتها.. أنت ولست أنا.. هل لاحظت شيئاً يا صليحة؟ لقد تغير الولد، وأصبح يفكر بشكل صحيح..

سلطـــــــان : وكل هذا بفضل رياح العهد الجديد، أدخلها الله علينا بالصحة والعافية وبالخير والبركات، وبالنجاح والرزق الوفير، آمين يا رب العالمين..

(يخرجون .. ظلام تام)

النفس الثاني

12 - كيف حال الشغل يا محمد؟

(فيلا الوزير رابح ولد رابح، كل شيء مرتب بذوق خاص، على اليمين مكتب فخم، وفي الخلف خزانة كتب.. كتب مرسومة على رفوف..على اليسار بوابة الفيلا، وعندها يقف بواب عجوز.. يتحرك الخدم في كل الاتجاهات، من غير أن نعرف . بالضبط . ماذا يفعلون. يقومون بحركات شبه آلية، يغيرون الأشياء من أماكنها، يفتحون أبواباً ثم يغلقونها، يرفعون سماعات التلفون ثم يضعونها.. يدخلون ويخرجون ثم.. يخرجون ويدخلون)

رئيس الخدم : (يدخل، ثم يقف في مكانه كالصنم) هيا هيا، إن الوقت يمر بسرعة، فقد يحضر السيد الوزير في أية لحظة، وأنتم لم تفعلوا بعد شيئاً..

الخادم 1 : سيدي رئيس الخدم المحترم، هل يمكنني أن..؟

رئيس الخدم : نعم، يمكنك أن.. تحرك بسرعة ولا تقل شيئاً..

الخادم 2 : وأنا يا سيدي؟

رئيس الخدم : ماذا بك أنت؟

الخادم 2 : هل آخذ ال..؟

رئيس الخدم : نعم خذه أو خذها أو خذهما أو خذهم ، لست أدري، المهم افعل شيئاً.. أي شيء.. أنتم هنا من أجل أن تعملوا..(تدخل الخادمة حياة وهي تحتضن كلبة، تغني بالفرنسية) إيه .. تعالي أنت.. إلى أين يا.. ذكريني باسمك..

حياة : (في دلال) اسمي أنا أو اسم للا الكلبة؟

رئيس الخدم : اسمك أنت..

حياة : آه ..اسمها يا سيدي هو لويزة .. لويزة بنت الأكابر..

رئيس الخدم : لقد سألتك عن اسمك.. اسمك أنت يا غبية، ألا تفهمين؟

حياة : آه .. فهمت.. فهمت، ولماذا تصرخ هكذا؟ لقد أزعجت للا الكلبة.. أنا يا سيدي اسمي. اسمي حياة.. اسم رائع، أليس كذلك؟ إياك أن تحتقرني، فأنا من عائلة محترمة، وخريجة جامعية.. لقد درست في كلية التربية..

رئيس الخدم : آه.. كلية التربية.. التربية البشرية طبعاً..

الخـــادم 1 : لا .. التربية الكلبية يا سيدي..

حيـــــاة : ماذا يقول هذا الأحمق؟ ليس بالكلية شعبة لتربية الكلاب.. أميّ.. جاهل..

رئيس الخدم : رأيتك خارجة يا حياة، فإلى أين؟

حيـــــاة : أنا؟ سآخذ الكلبة لويزة في فسحة ثم أعود..

الخـــادم 1 : آه.. ما أسعدها يا ربي..

حيـــــاة : (في دلال) نعم.. ما أسعدني..

الخـــادم 1 : لا.. لا .. فهمت خطأ يا حياة، بل ما أسعد هذه الكلبة المدللة.. آه.. ماذا أقول لك يا بنت الناس؟ أين أنت وأين أنا من سعد هذه الكلبة السعيدة؟ يا رب العالمين.. لماذا خلقتنا بشراً ؟

(تغني الخادمة حياة للكلبة بالفرنسية وهي تستعد للخروج)

الخـــادم 2 : يا حياة، لماذا تغنين لها بالفرنسية؟

حيـــــاة : لماذا؟ لأن كلبة المدام، حرم السيد الوزير، لا تعرف العربية.. هل نسيت أنها فرنسية..

الخـــادم 2 : والله كدت أنسى..

حيـــــاة : هي فرنسية أباً عن جد.. أراكم بخير .. (تخرج وهي تغني)

الخـــادم 2 : عجباً.. سيدي وسيدتي سافرا إلى فرنسا من أجل شراء كلبة.. ما هذا الغلط يا عباد الله .. ألا يعرفان بأن الكلاب موجودة في كل البلدان؟

رئيس الخدم : اشتغل.. اشتغل قلت لك وكفاك ثرثرة، إن مثل هذه الأمور الصعبة لا يمكن أن يفهمها الخدم، هل سمعت يا ولدي؟

الخـــادم 2 : نعم سمعت.. (لنفسه) ولكنني لم أفهم..

(يدخل الخادم الثالث وهو في زي بستاني، يحمل بين يديه باقة ورد)

الخـــادم 3 : (للخادم الثاني) خذ هذه الورود يا جاهل وتعلم منها..

الخـــادم 2 : أتعلم منها؟ ماذا أتعلم يا صاحبي؟

الخـــــادم 3 : تعلم كيف تكون جميلاً من غير أن تقول شيئاً.. خذ.. (يعطيه باقة الورد ويهم بالانصراف)

رئيس الخدم : إلى أين يا.. ؟

الخـــــادم 3 : سأغير هذه الملابس ثم أعود، عملي في الحديقة انتهى.. (يخرج)

رئيس الخدم : هيا .. هيا .. اشتغلوا بسرعة.. بسرعة أكثر.. المدام قادمة بعد حين.. (يزداد إيقاع الحركة أكثر، حتى يصبح مشابهاً لأفلام السينما الصامتة . تدخل المدام مونيكا)

المــــــــدام : كيف حال الشغل يا محمد؟

رئيس الخدم : كما ترين يا مدام، على أحسن ما يرام..

المــــــــدام : أوه.. رائع.. رائع جداً.. هكذا يكون الشغل الحقيقي..

الخـــــادم 2 : (بصوت هامس) هل رأيتم بنت الرومية؟ إنها في كامل زينتها.. وكأنها يا عباد الله دمية..

المــــــــدام : إن السيد الوزير مازال غائباً، ولست أدري متى يعود..

الخـــــادم 1 : (بالعامية) هذا زمان العجب والغرائب، لمرا معكرة ومكحلة والرجل غائب..

المــــــــدام : ماذا يقول هذا البليد؟

الخـــــادم 2 : إنه لا يقول شيئا يا مدام.. مطلقاً لا شيء..

المــــــــدام : من يكون هذا الولد؟ إنني لا أعرفه..

رئيس الخدم : آه هذا.. هو ابن أختي يا مدام، ولقد التحق بالخدمة لديكم مؤخراً، وهو شاب لطيف وظريف..

المــــــــدام : قل لي ما اسمك يا ولد..

الخـــــادم 2 : أنا .. أنا اسمي موسى يا مدام .. (لنفسه) وإذا ترقيت في الخدمة فسأصبح فرعون.. مثل خالي..

المــــــــدام : قل لي أيضاً، أين هو الحاج البواب..

البــــــــواب : (يأتي صوته من غير أن نراه) إنني هنا يا مدام..

المــــــــدام : آه .. أنت هنا، مع أنني لا أراك، ولا أحد يمكن أن يراك.. من أعجب العجائب أنني كلما سألت عن هذا الحاج البواب تقولون لي:

جميعهـــــــم : (بصوت واحد) ذهب ليصلي يا مدام..(يدخل الحاج البواب)

البـــــــواب : بونجور مدام..

المـــــــدام : أريد أن أسألك، أنت كم تصلي في اليوم من مرة؟

البـــــــواب : إنني يا مدام..

المـــــــدام : ثم إنني أيضاً، أريد أن أعرف، أنت عند من تشتغل؟ عندنا أم عند مولانا؟

البـــــــواب : أشتغل عندكم يا مدام..

المـــــــدام : إذن اتبعني.. إنني أريدك في أمر هام.. تعال أنت أيضاً.. (لرئيس الخدم) وحتى أنت .. (للخادم الأول) اتبعوني كلكم.. لا .. أنت عليك أن تبقى هنا .. (للخادم الثاني.. يدخل الخادم الثالث وهو يستكمل ارتداء بذلة السائق)

الخـــادم 3 : وأنا يا مدام؟

المـــــــدام : أنت أيضاً اتبعني.. (تخرج المدام يتبعها خدمها)

الخـــادم 2 : (وحده، يتأمل ما حوله في اندهاش) يا رسول الله.. كل شيء ملون في هذا البيت.. نعم؟ (وكأن واحداً من الجمهور يسأله) تسأل عن بيتي أنا؟ وهل هو ملون أيضاً ؟ (يضحك) ها .. ها .. بيتي أنا، وهو في الحقيقة ليس بيتي، له يا سادة يا كرام لونان، الأبيض والأسود، وفي أغلب الأحيان يختفي الأبيض ولا يبقى إلا الأسود وحده لا شريك له..ما أنا إلا خادم يا عباد الله، خادم أنا والوزير سيدي ومولاي، ولقد تعلمت من بعض أولاد الحلال أن سيدي له أسياده، وأن أسياده لهم أسياد أيضاً.. كل واحد منا له سيد، ومن ليس له سيده له مولاته، هكذا يقولون، وأنا، بنعمة ربي، وبفضل خالي، لدي سيدي ومولاتي.. (ينتبه فجأة إلى أنه بقي وحده) ينبغي أن أقوم بجولة استكشافية، ومعرفة الأشياء خير من جهلها، أليس كذلك؟ (يخرج)

13 - غداً ماذا سوف يبقى منك للتاريخ؟

(تدخل صليحة، يتبعها زوجها عبد العلي وولدها سلطان، ينظرون حولهم فلا يجدون أحداً)

سلطـــــــان : انظر حولك يا أبي.. انظر، وكن حار القلب والكبد مثلي..

عبد العلــــي : إنني أنظر..

سلطـــــــان : وأنت يا أمي، هل رأيت أين يعيش الناس؟ ما أعجب هذه الدنيا اللعينة، ولدك النجيب يعيش في خربة، وتلميذك الخائب يعيش في قصر..

صليحـــــــة : هي الدنيا هكذا، وهي حظوظ يا ولدي..

سلطـــــــان : يا ربي.. لماذا خلقتنا آدميين، إن كان مكتوباً علينا أن نموت ونحيا، مثلما تموت وتحيا البهائم؟

عبد العلــــي : ماذا يقول هذا البغل يا صليحة؟

سلطـــــــان : إنني أتساءل دائماً وأقول، هذا الوالد المسكين، ماذا سوف يبقى منه للتاريخ غدا؟

عبد العلــــي : ماذا يبقى؟ اطمئن يا رأس الغول، ستبقى منه أشياء كثيرة..

سلطـــــــان : (يضحك) قال ، أشياء كثيرة..

عبد العلــــي : ستبقى ديوني المتراكمة علي..

سلطـــــــان : آه.. ديونك؟

عبد العلــــي : نعم، ديوني التي عليك أن تسددها بعد موتي، ستبقى لك أنت، ولصديقك التاريخ يا ولدي، هل فهمت؟

سلطـــــــان : فهمت.. وليتني ما فهمت ولا سألت.. ليت أني كنت أصماً وأعمى، حتى لا أرى فقرك وبؤسك، وحتى لا أسمع عن ديونك..

عبد العلــــي : هو بؤسنا جميعاً يا رأس الغول..

سلطـــــــان : وأنت يا أمي.. لم تخبريني، ما هو رأيك..

صليحـــــــة : ما هو رأيي.. رأيي هو أن نعود من حيث أتينا..

سلطـــــــان : لا .. لا .. كل شيء إلا هذا يا أمي..

عبد العلــــي : كيف نعود يا مولاة الدار ونحن على أبواب السعد والمجد؟

صليحـــــــة : أي مجد ياعبد العلي ؟

سلطـــــــان : نحن في ضيافة الربح يا أمي، ولابد سنربح.. سنربح كثيراً..

صليحـــــــة : (لنفسها) أوهام هذا الولد تخيفنا..

سلطـــــــان : إنه الوزير، هل نسيت هذا يا أمي؟ يكفيه أن يقول قولاً ليكون كل شيء، ويكفيه أن يوقع توقيعاً صغيراً ليتغير كثير من الأشياء، وهل التوقيع صعب يا أمي؟ أبداً..

صليحـــــــة : يا سلطان، متى تعي وتفهم، أن هؤلاء الوزراء مثلهم مثل الدنيا الغدارة..

سلطـــــــان : مثل الدنيا؟

صليحـــــــة : نعم، ولا أحد يأخذ من هذه الدنيا شيئاً. إننا ندخلها عراة، ونخرج منها عراة، ولا يبقى إلا وجه الله..

سلطـــــــان : لا .. لا .. هذا كلام الدراويش يا أمي..

صليحـــــــة : يجب أن تعرف، أن أكبر ربح يمكن أن يصيبنا من هؤلاء الوزراء هو ألا يسيئوا إلينا.. تعالوا نعود من حيث أتينا.. تعال ياعبد العلي .. (تدخل حياة الخادمة وهي تحتضن الكلبة)

حيـــــــــاة : أوه.. في البيت ضيوف.. قولي لهم بونجور يا لويزة..

عبد العلـــي : يا إلهي.. إنني أعرفها يا سلطان..

حيـــــــــاة : تعرفني أنا يا سيدي؟

عبد العلـــي : لا.. ليس أنت.. إنني أعرف هذه المحروسة.. ما شاء الله.. انظر يا سلطان، لقد ازدادت حسناً وجمالاً.

سلطـــــــان : أصبحت عروسة يا أبي.. (وهو ينظر إلى حياة) اللهم اجعلها من نصيبنا..

عبد العلـــي : هي كلبة السيد الوزير عرفتها..

حيـــــــــاة : نم، هي كلبته المحببة.. يحبها حتى الجنون..

سلطـــــــان : أنا أيضا مستعد لأن أحبها حتى الجنون.. (وهو ينظر إلى حياة)

حيـــــــــاة : (بدلال) صحيح ما تقول؟

سلطـــــــان : وحق الله صحيح يا بنت الناس..

عبد العلـــي : يا سبحان الله.. كلبة الوزير تشبه السيد الوزير، تشبهه بشكل غريب، إن من يراها يظن أنها أخته أو ابنته..

سلطـــــــان : (بهمس) يا أيها الوالد، ماذا تقول؟

عبد العلـــي : ماذا أقول.. أقول ما يمكن أن يقوله كل واحد.. (يتأمل المكان حوله) ورغم كل هذا، فإنه لابد أن ينتهي لها يوماً..

حيـــــــاة : ينتهي إلى أي شيء يا جدي؟

عبد العلـــي : إلى الثلاجة يا صبية.. الثلاجة الكبرى..

سلطـــــــان : (محرجاً) أبي .. أبي .. ألا ترى أنه.. لكي.. يمكن.. فيها..

عبد العلـــي : نعم فيها.. في تلك الثلاجة يا ولدي سيكون ممدداً عارياً.. عارياً إلا من ذنوبه..

حيـــــــاة : (تضحك في حياء مفتعل) السيد الوزير عار؟ هئ هئ..

عبد العلـــي : عارياً لا ينفع أحداً، ولا يؤذي أحداً، ولا يتعالى على أحد، ليس له كلب ولا كلبة، ولا صاحب ولا صاحبة، ولا حجاب ولا خدام، ولا طوابع ولا أختام، لا شيء.. لا شيء..

سلطـــــــان : (يهمس لأمه) يا أمي .. افعلي شيئاً، قولي له ليس هذا وقت الثلاجة..

عبد العلـــي : ما أغرب هذه الدنيا.. من كان يظن أنني سوف أدخل قصر وزير يوماً..

سلطـــــــان : وأن أكون أنا إلى جانبه..أنا ولدك الوحيد سلطان، خريج كلية الحقوق..

حيـــــــاة : تشرفنا.. اسمك جميل يا سلطان..

سلطـــــــان : واسمك أجمل يا حياة..

عبد العلـــي : لقد جئت أنا إلى الوزير يا صليحة، ولو شاء الله لجاء هو إلي، ولكن ماذا أقول، كل مؤجل قريب، أليس كذلك يا صبية؟

حيـــــــاة : آ.. ماذا؟ (وقد كانت مستغرقة في النظر إلى سلطان) نعم.. نعم.. هو ذاك بلا شك.. (لسلطان) عن أي شيء كان يتحدث الوالد؟

سلطـــــــان : ماذا أقول لك يا آنسة سوى أنني لا أدري، أو.. لا أريد أن أدري..

حيـــــــاة : أبوك هذا رجل رائع يا.. سلطان..

سلطـــــــان : نعم، رائع جداً، وفظيع جداً..

حيـــــــاة : ما أسعدك به.. وبالسيدة أمك أيضاً..

سلطـــــــان : حقاً.. ما أسعدني به، خصوصاً عندما يتلو نشيد الإنشاد، ويشرع في سب البلاد والعباد..

صــــــــوت : (خارجي هو صوت المدام) حياة.. أين أنت يا حياة؟

حيــــــــاة : إنني هنا يا مدام.. (لسلطان) إنها تنادي حياة ..

سلطـــــــان : وحياة هي أنت، وأنا سلطان.. سلطان لأنني رأيتك، وتعرفت عليك..

حيــــــــاة : يجب أن أذهب.. أذهب الآن ومن بعد نلتقي .. (تلوح بيدها وهي تخرج)

سلطـــــــان : شيء طبيعي أن نلتقي يا حياة .. (وهي تخرج تصطدم بكرسي .. تتابع سيرها.. يبقى سلطان يحدق في الفراغ)

عبد العلـــي : إيه.. سبحان الله.. أين ذهبت؟

سلطـــــــان : من.. أنا؟

عبد العلـــي : ابق معنا يا ولدي سلطان، وكن معنا لا تكن مع الحالمين..

صليحـــــــة : من الأحسن لو تسأله، إلى أين وصلت..

سلطـــــــان : إنني يا أمي..

صليحـــــــة : أين تظن نفسك أيها القنفذ الأملس؟ أين؟

سلطـــــــان : والله ثم والله ثم والله إنني يا أمي..

عبد العلـــي : يا رأس الغول .. يجب أن تعرف أنك في مسرحية جادة ومحترمة..

صليحـــــــة : (تضحك) لقد كان على وشك أن يحولها إلى فيلم هندي..

عبد العلـــي : هذه مسرحية يا سلطان..

سلطـــــــان : وهل قلت أنا عكس هذا؟

عبد العلـــي : وقد كتبها كاتب محترم، وينبغي أن نحياها مع هؤلاء الناس بشكل محترم، وإنني أحذرك يا رأس الغول..

سلطـــــــان : تحذرني؟ من أي شيء يا أبي؟

عبد العلـــي : من النهايات السهلة والسعيدة، ومن الأحلام البليدة..

صليحـــــــة : إياك يا سلطان أن تنخدع، واعلم انه لا شيء يأتي مع الأحلام الكاذبة..

سلطـــــــان : ماذا تقولين يا أمي؟

صليحـــــــة : إياك أن تظن، ولو للحظة، أن المشاكل سوف تنتهي هذا اليوم..

سلطـــــــــان : ولم لا تنتهي يا أمي؟

صليحـــــــــة : وأكيد أنها سوف تنتهي يوماً، ولكن ليس بالسرعة السحرية التي تتخيل يا سلطان.. لا تكذب على نفسك، ولا تترك نفسك تكذب عليك، ولا تضع في ذهنك أنك سوف تخرج من هذا البيت وقد أدركت الوظيفة والعروس والشقة وكل شيء .. إن الحياة ليست بالسهولة التي قد نتخيل أحياناً.. (يسمع صوت بالخارج)

14 - البوابون يعرفون أكثر..

(يدخل البواب العجوز، ويفاجأ إذ يرى في البيت غرباء)

البـــــــواب : يا رسول الله، هؤلاء الناس من أين جاءوا؟ وكيف دخلوا؟ ومن يكونون؟ لا أظن أنني رأيتهم من قبل.. (وهو يتفحصهم عن قرب بنظره) يا سيدي المحترم، اسمح لي أن أقول لك، ولمن معك أيضاً، إنه لم يكن عليكم أن تدخلوا حتى ..

عبد العلـــي : هل سمعت يا صليحة؟ لقد قال حتى.. (للبواب) ولكننا دخلنا يا سيدي، وحتى من غير حتى دخلنا.. (يضحك)

البـــــــواب : مرة أخرى، اسمح لي أن أقول لك، إن الدخول إلى حرمات البيوت هو اعتداء عليها، هل سمعت؟

عبد العلـــي : ماذا قلت يا سيد؟

البـــــــواب : هذا اعتداء قلت لك.. اعتداء فصيح وصريح .. أولاً، علي أنا، على مهمتي واهتمامي..

سلطـــــــان : إيه .. إيه.. ماذا تقول أنت يا جدي؟ حسن عباراتك الله يخليك.. حسنها واعرف مع من أنت..

عبد العلـــي : نعم، من أنت؟ من أنت حتى تكلمنا بهذه اللهجة السوقية؟

البـــــــواب : من أنا؟ أنا البواب السوقي..

عبد العلـــي : أه.. البواب، إذاً فأنت البواب السي.. ؟

البـــــــواب : السي الحاج..

عبد العلـــي : تماماً، مازلت شاباً يا ابن الذين.. سبحان الله..

البـــــــواب : ومن حقي أن أعرف من أنتم، أليس كذلك؟

عبد العلـــي : وهو كذلك..

البـــــــواب : أعرف من أنتم، ومن أين جئتم، ولماذا جئتم.. هذه هي أصول الشغل..

عبد العلـــي : آه، إنه يسأل من نحن يا سلطان، إذاً اسمع يا السي الحاج، إن هذه المرأة التي أمامك هي الأستاذة صليحة..

البـــــــواب : صليحة؟ لا أعرفها يا سيدي..

عبد العلـــي : أعرف أنك لا تعفرها، ولو كنت من أهل المعرفة لعرفتها..

البـــــــواب : قصدي أن أقول إنني لا أعرف وظيفتها، فبأي شغل تشتغل يا سيدي؟

سلطـــــــان : إنها تشتغل بالصناعة..

البـــــــواب : أهلاً . أهلاً .. امرأة تشتغل بالصناعة، هذا شيء نادر جداً في بلدنا.. لم تقل لي.. صناعة ماذا يا سيدي المحترم؟

عبد العلـــي : صناعة ماذا؟ ها.. ها.. صناعة المعروف في غير أهله.. هذه المرأة يا سيدي الحاج صنعت لكم ولكل البشرية وزيراً كبيراً وأنتم لا تدرون.. إنها مربية وزيرك المحترم، هل فهمت الآن؟

البـــــــواب : أستسمحك سيدتي الفاضلة، لم أكن أعرف هذا ..

عبد العلـــي : أما أنا فيمكنك أن تعتبرني موظفاً كبيراً..

البـــــــواب : ما شاء الله، أنت موظف؟

عبد العلـــي : نعم، أنا موظف غير محظوظ ولا ..

البـــــــواب : وهل لديك بطاقة يا سيدي؟ بطاقة تثبت أنك موظف؟

عبد العلـــي : ليس معي الآن بطاقة، لكن لدي ما يثبت بأنني فعلاً موظف..

البـــــــواب : ماذا لديك يا سيدي؟

عبد العلـــي : لدي فقري وبؤسي وفراغ جيوبي، وهي - كلها - دلائل قاطعة وساطعة على أنني موظف.. موظف مع الدولة.. (يخرج جيوبه) انظر.. انظر جيداً.. هل تأكدت الآن من أنني حقاً موظف؟

البـــــــواب : آه.. تقريباً يا سيدي.. تقريباً.. سبحان الله .. كلنا ذلك الرجل..

عبد العلـــي : قديماً كان العبد يسمى عبداً، أما اليوم، وقد تطورت الدنيا، فقد أصبح هذا العبد يسمى موظفاً..

البـــــــواب : أهلاً وسهلاً.. أهلاً بالسادة المحترمين.. هل بإمكاني أن أسأل عن موضوع الزيارة؟

صليحـــــــة : موضوع الزيارة هو.. هو..

البـــــــواب : يكفي يا سيدتي.. لقد عرفت..

عبد العلـــي : عجباً، كيف عرفت، وهي لم تقل بعد شيئاً ؟

البـــــــواب : تلك أسرار يا سيدي الموظف، هي فعلاً لم تقل شيئاً، ولكن أشياء فيها قالت أشياء كثيرة..

سلطـــــــان : كل شيء؟ حتى ذلك الذي يتعلق ب..؟

البـــــــواب : نعم، إن عمراً طويلاً قضيته في هذه المهنة قد علمني أشياء كثيرة..

سلطـــــــان : ماذا علمك يا عمي؟

البـــــــواب : علمني كيف أرى وأقرأ.. أقرأ نفوس الزوار وطارقي أبواب السادة الكبار، أقرأ الذي خلف العيون، وأعرف في الناس ماذا يريدون وماذا يطلبون..

عبد العلـــي : ونحن.. نحن في نظرك ماذا نريد؟

البـــــــواب : ماذا تريدون.. (وهو يتأملهم بعد الآخر) هذا الولد يريد وظيفة بلا شك..

سلطـــــــان : نعم، وأبي، هل تعرف ماذا يريد؟

عبد العلـــي : اسأله فقط عن نفسك يا سلطان..

البـــــــواب : الوالد يريد رخصة ما، قد تكون رخصة سيارة أجرة.. لا . لا، في مثل هذا العمر المتقدم، لا أظنك تقدر على السياقة، هو لا يريد إلا رخصة كشك أو مقهى أو مطعم أو محل لبيع الحلويات والمرطبات والمشروبات المثلجة..

سلطـــــــان : (يضحك) المثلجة؟ كأنه كان معنا يا أبي..

البـــــــواب : أما هذه المربية الفاضلة، فلست أدري ماذا تريد، وأظنها لا تريد شيئاً، ولدي إحساس بأنها متضايقة وغير مرتاحة، ولست أدري لماذا.. قد تكون متضايقة لوجودها هنا.. نعم، هي متضايقة قليلاً..

صليحـــــــة : (لنفسها) بل متضايقة كثيراً كثيراً..

عبد العلـــي : في هذه أخطأت يا سيدي الحاج، فهي فعلاً كانت .. كانت متضايقة، ولكنها الآن لم تعد، وهي الآن مرتاحة جداً جداً..

البـــــــواب : لا أظن هذا يا سيدي الموظف..

عبد العلـــي : اسمع أيها البواب المحترم، نحن اليوم نعرض عليك شرفاً عظيماً، شرف أن تكون معنا، وأن تصاحبنا إلى السيد الوزير.

البـــــــواب : آه، وأين هو السيد الوزير.. إنه ليس بالبيت يا محترمين..

سلطـــــــان : هل سمعت يا أمي؟ السيد الوزير ليس هنا..

البـــــواب : لقد سافر منذ أيام ، ولحد الآن لم يعد بعد..

صليحـــــة : ها.. كنت أتوقع هذا، قلبي حدثني بذلك..تعال ياعبد العلي .. تعال يا سلطان.. (وهي تهم بالخروج)

عبد العلـــي : إلى أين يا صليحة؟

صليحـــــة : إلى أين؟ نعود إلى البيت.. ألم تسمع ما قال الرجل؟

عبد العلـــي : انتظري يا مولاة الدار، وهل صدقت ما قال هذا النمس العجوز؟

صليحـــــة : ولم لا أصدقه؟ إنه شيخ وقور..

البـــــواب : وقد أديت فريضة الحج ثلاث مرات، فأنا حاج بيت الله يا سيدتي..

عبد العلـــي : هل سمعت؟ إنه حاج، وهذا سبب آخر لكي لا نصدقه..

صليحـــــة : ماذا تقول ياعبد العلي ؟ إنك تهين الرجل..

عبد العلـــي : اسمعي يا صليحة.. إن من عادة المسؤولين الكبار ـ دائماً وأبداً ـ وعندما يريدون لحجابهم وبوابيهم وشواشهم أن يتفقهوا في فقه الكذب، وأن يتعلموا علوم الكذب والتضليل، هل تعرفين ماذا يفعلون؟

صليحـــــة : ماذا يفعلون؟

عبد العلـــي : يبعثون بهم ـ على وجه السرعة القصوى ـ إلى الحج.. (يضحكون جميعهم إلا صليحة التي تبدو محرجة)

البـــــواب : ها.. ها.. زوجك هذا عفريت ابن عفريت..

عبد العلـــي : أنا مثلاً، لو أراد الله وجئتني إلى عملي، لكنت أكرمتك الكرم الكبير، ولكنت استقبلتك استقبالاً حسناً..

البـــــواب : وما هو عملك يا سيدي؟

سلطـــــان : يا أبي لا تفضحنا، ودعنا في المهم، لقد جئنا من أجل السيد الوزير، فلا تنس هذا..

البـــــواب : والسيد الوزير ليس هنا.. (يدخل الخادم الثاني)

الخـــــادم 2 : ماذا تقول يا عمي الحاج؟ السيد الوزير..

عبد العلـــي : ألم أقل لك يا صليحة؟

الخـــــادم 2 : .. وصل منذ اللحظة.. اللحظة فقط، وهو الآن في الطريق إلى مكتبه في الطابق الأعلى.. تريدون مقابلته بلا شك؟ إذاً

اتبعوني.. سآخذكم إليه..

عبد العلـــي : أكرمك الله يا ولدي.. (يخرون جميعهم.. يبقى البواب وحده)

البـــــــواب : هذا الولد لا يعرف كيف يشتغل، وفي الموسم القادم سأرشحه ليذهب إلى الحج..

(يخرج.. ظلام تام)

15 - كل هذه الكتب في بيتي أنا؟

(يضاء مكتب الوزير، نرى زوجته مدام مونيكا وحدها وهي تتسلق سلماً يقف على ساقين.. تشتغل بتصفح الكتب وترتيبها وهي تدندن.. يدخل الوزير رابح)

الوزيــــــــر : آه. الكونتيسة هنا؟ يا صباح الأنوار المشرقة..

المـــــــدام : من؟ أهذا أنت يا عزيزي؟

الوزيــــــــر : نعم، هذا أنا، وقد عدت إليك يسبقني الشوق إليك..

المـــــــدام : والرحلة.. كيف كانت يا عزيزي؟

الوزيــــــــر : آه.. متعبة قليلاً، ولكنها مفيدة ومربحة.. مربحة جداً جداً.. انزلي يا مونيكا.. انزلي وإلا..

المـــــــدام : وإلا ماذا؟

الوزيــــــــر : وإلا صعدت إليك..

المـــــــدام : اصعد إن كنت تقدر.. (يصعد إليها)

الوزيــــــــر : تعالي هنا.. تعالي يا ابنة الجنية..

المـــــــدام : اصعد أنت يا.. روميو.. (تضحك)

الوزيــــــــر : يا بنت الرومية انزلي.. إنني وزير.. هل نسيت هذا؟

المـــــــدام : أبدا، أنت وزير، وأنا زوجة السيد الوزير..

الوزيــــــــر : إنه لا يصح أن (أتشعبط) على السلالم.. قد يرانا أحد من الخدم وتكون الفضيحة.. (وهو ينظر حوله)

المـــــــدام : اسمع يا روميو.. إنني أحذرك..

الوزيــــــــر : تحذرينني.. ممن يا مونيكا؟

المـــــــدام : ممن؟ مني أنا، ففي جسمي منطقة ملغومة، إذاً لا تحاول أن تلمسني يا عزيزي..

الوزيــــــــر : ها.. ها.. أما أنا يا بنت الرومية، فكل المناطق في جسمي ملغومة.. ملغومة والحمد لله.. جربي وسوف ترين.. جربي..

المـــــــدام : ابتعد عني.. ابتعد.. سيرانا الخدم .. سيرانا الخدم..

الوزيــــــــر : إنني أحبك يا بنت الرومية.. أحبك.. أحبك.. (بأعلى صوته)

المـــــــدام : هس.. ليس هنا.. نحن بين الناس يا عزيزي..

الوزيـــــــر : آه، الناس.. وأين هم الناس؟ (يلتفت حوله)

المـــــــدام : عيون الكتب والكتاب تحاصرنا من كل الجهات، ألا تراها يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : أين هي؟ إنني لا أرى أحداً سواك، أنت كل الناس وكل الناس أنت.. اسمعي هذا النشيد يا مونيكا .. إنني أحبك..

المـــــــدام : أعرف.. (وهي تضحك في دلال)

الوزيـــــــر : وقد كان المرحوم أبي يقول دائماً: حب النسوان من الإيمان..

المـــــــدام : (تضحك) يا مزيف.. أبوك لم يقل هذا، بل قال كلاماً آخر..

الوزيـــــــر : نعم، وماذا قال أبي؟

المـــــــدام : قال: حب الأوطان من الإيمان.. (تعود إلى الكتب) دعني أكمل ترتيب الكتب، إن مكتبة السيد الوزير لابد أن تكون في مستوى الوزير، هل فهمت يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : (يتأمل الكتب وهو يهرش رأسه مثل طفل كسول) والله حرام عليك يا مونيكا، أكل هذه الكتب في بيتي أنا؟

المـــــــدام : نعم، كل هذه الكتب، وغداً سوف أضيف لها غيرها..

الوزيـــــــر : يا ويلي.. ولماذا؟ لماذا يا بنت الرومية؟

المـــــــدام : لماذا؟ يجب أن يعرف الناس ـ كل الناس يا عزيزي ـ أنك مثقف كبير وخطير..

الوزيـــــــر : أنا مثقف؟

المـــــــدام : إن المظاهر هي كل شيء.. ألا تعرف هذا يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : ولا أعرف شيئاً أحسن من هذا.. إن الكتب تعقدني يا مونيكا.. إنني أظن أنه لا أحد يقرأها إلا المغفلون الذين كتبوها..

المـــــــدام : يا عزيزي، أنا لا أوصيك بقراءة هذه الكتب، لأن المهم هو أن تعرفها.. تعرفها فقط.. وتحفظ عناوينها إذا أمكن..

الوزيـــــــر : آه، هذا فقط؟

المـــــــدام : نعم، وأظن هذا ليس شيئاً صعباً.. هل تعرف يا عزيزي لماذا كتب الكاتب كتابه؟

الوزيـــــــر : بالطبع أعرف، من أجل أن يعلمنا شيئاً ، أليس كذلك؟

المـــــــدام : أبداً، بل من أجل أن يقول لنا إنه يعرف شيئاً، ونحن ـ من

جهتنا ـ نقرأ كتابه، لنقول للناس إننا نعرف ما يعرفه، هذا كل ما في الأمر والسلام..

الوزيــــــــر : أولاد الذين..

المـــــــدام : لقد اهتدى الكتاب إلى حيلة من الحيل.. حيلة جهنمية وخطيرة، ولقد رأوا أن أحسن طريقة لأن يتكلم الإنسان، من غر أن يعارضه أو يقاطعه أحد، هو أن يكتب.. يكتب وحده ما يشاء وكما يشاء..

الوزيــــــــر : أولاد الذين..

المـــــــدام : وفي رأيي يا عزيزي أن أخطر كل هؤلاء الكتاب هم المؤرخون، هل تعرف لماذا؟

الوزيــــــــر : لماذا؟

المـــــــدام : لأنهم يكتبون عن الموتى، والموتى ـ كما في علمك ـ لا يمكنهم تكذيب شيء أو الاعتراض على شيء..

الوزيــــــــر : لا.. هذه المرة أخطأت يا بنت الرومية..

المـــــــدام : كيف أخطأت؟

الوزيــــــــر : إن أحسن طريقة لأن يتكلم المتكلم، من غير أن يعترض عليه أحد، هي أن يصبح وزيراً، هل فهمت؟

المـــــــدام : نعم فهمت، ولأجل هذا فقد اجتهدت حتى أصبحت وزيراً..

الوزيــــــــر : ولأجل هذا جعلت منك وزيرة الوزير، وجعلت منك مالكة قلبه ومالكة جيبه أيضاً.. (يضحكان)

المـــــــدام : لقد تحسنت مواهبك كثيراً يا عزيزي.. لقد أصبحت تجيد الكلام..

الوزيــــــــر : وكل هذا بفضل الوزارة علي.. إنني أعجب لكل الذين يضيعون عمرهم في القراءة.. ماذا يريدون يا مونيكا، وعن أي شيء يبحثون..

المـــــــدام : يقولون إنهم يبحثون عن الحقيقة يا عزيزي..

الوزيــــــــر : آه.. وما أفظع الحقيقة.. إنني أخافها يا بنت الرومية، ولا أجرؤ أن أقترب منها..

المـــــــدام : (تضحك) أعرفك يا ملعون .. (تضحك)

الوزيــــــــر : ويمنعني الحياء أن أنظر إليها وهي كما هي.

المــــــدام : الحياء .. وما دخل الحياء يا عزيزي؟
الوزيـــــر : ما دخله؟ ألا تعرفين يا مونيكا أن الحقيقة الحقيقية لا تكون إلا عارية؟ .
المــــــدام : رابح.. ماذا تريد أن تقول؟
الوزيـــــر : أريد أن أقول إن حيائي يمنعني من الاقتراب منها، أولاً لأنها حرمة من الحريم..
المــــــدام : وثانياً ؟
الوزيـــــر : وثانياً لأنها دائماً عارية وحافية..
المــــــدام : أيها الملعون، الآن فقط تأكدت بأنك أصبحت حقاً وزيراً..
الوزيـــــر : الحمد لله.. إن الحقيقة عورة يا مدام، ومن الواجب ستر العورات..
المــــــدام : (تضحك) حقاً لقد أصبحت ديماغوجياً خطيراً يا رابح..
الوزيـــــر : تلك كل بضاعتي يا بنت الرومية، وبها أصبحت وزيراً.. بها وحدها ولا شيء غيرها.. (يضحكان)
المــــــدام : هناك كتابان اثنان لابد لك من قراءتهما يا عزيزي.. (وهي تسحب من المكتبة كتابين)
الوزيـــــر : كتابان؟ ومن أين تأتيني القدرة على القراءة؟
المــــــدام : أما الكتاب الأول فهو هذا، وعنوانه هو(كيف تصبح وزيراً في سبعة أيام)
الوزيـــــر : سبعة أيام؟ وأنا الذي أصبحت وزيراً في ثلاثين سنة.. هذا الكتاب لم يعد الآن صالحاً، فإلي بالكتاب الثاني..
المــــــدام : الكتاب الثاني هو هذا.. خذ.. (تعطيه الكتاب)
الوزيـــــر : اقرأي لي عنوانه .. ليس معي نظاراتي..
المــــــدام : عنوانه يا عزيزي هو (مواصفات المواطن الصالح)
الوزيـــــر : حتى هذا الكتاب لا ينفعني، لأنه ليس موجهاً لي، وعليه، فلا فائدة من قراءته، ثم أيضاً، ما معنى المواطن؟ إني لا أفهم هذه الكلمة الفارغة..
المــــــدام : (تفتح الكتاب وتقرأ) اسمع ما يقول المؤلف: إن المواطن هو الشخص الذي يعامل معاملة العبيد، والذي يعطي الإحساس بأنه سيد من الأسياد..

الوزيـــــــر : أنا من كل هذه المكتبة لا يعجبني إلا هذا الجناح..

المـــــــدام : وماذا فيه هذا الجناح يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : فيه كتب سائلة وغير مسؤولة.. (يفتح باباً صغيراً رسمت عليه كتب، لنجد أننا أمام زجاجات وكؤوس)

المـــــــدام : ما ذا يا عزيزي.. بار في المكتبة؟

الوزيـــــــر : هذه بلاد الحرية يا عزيزتي، وكل واحد حر في أن يقرأ ما يشاء.. (يسمع طرق على الباب)

الوزيـــــــر : من يطرق الباب؟

البـــــواب : هذا أنا يا معالي الوزير، الحاج البواب..

الوزيـــــــر : البواب؟ هذا رجل يمكن أن نقول عنه مواطن، أليس كذلك يا عزيزتي؟

المـــــــدام : وهو كذلك يا عزيزي..

الوزيـــــــر : تفضل.. ادخل يا عمي الحاج.. هيا أيها المواطن ادخل.. (يدخل البواب)

16 - حضور امرأة اسمها.. الماضي..

البـــــواب : معالي الوزير، بالصالون امرأة تريد مقابلة سيادتكم..

المــــــدام : امرأة؟

البـــــواب : امرأة عجوز يا مدام..

المــــــدام : آه..

البـــــواب : تقول إنها مربية سيادتكم، وإن اسمها صليحة.

الوزيـــــــر : يا ويلي.. تلك المرأة مازالت حية، هذا تهاون كبير..

المــــــدام : تهاون.. تهاون ممن يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : ممن؟ من ملك الموت.. هذه المرأة مصيبة يا مونيكا، لا، بل هي كارثة.. كارثة عظمى..

المــــــدام : ماذا تقول يا عزيزي؟

البـــــواب : هل أدخلهم يا سيدي؟

الوزيـــــــر : تدخلهم؟ هي ومن معها؟

البـــــواب : معها زوجها وولدها يا سيدي..

الوزيـــــــر : تبارك الله.. لا تدخلهم الآن .. انتظر قليلاً.. يمكنك أن تذهب أنت الآن، وبعد قليل سأنادي عليك.. اعطهم شيئاً، كأس شاي أو فنجان قهوة، ودعهم ينتظرون، هل سمعت؟

الوزيـــــــر : سمعت يا سيدي الوزير.. (يخرج)

المــــــدام : ما هذا؟ إنني أراك مضطرباً، فماذا بك يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : أنا ؟ أبداً. لست مضطرباً..

المــــــدام : ثم قل لي، من تكون هذه المرأة .. إنني لا أعرف لك مربية غيري..

الوزيـــــــر : إنها.. إنها مدرستي يا عزيزتي، وهي امرأة مريضة ومعقدة.. مريضة بمرض خطير، وأتمنى أن تكون قد شفيت..

المــــــدام : (مذعورة) مريضة؟ امرأة مريضة في بيتي أنا؟ لا..

الوزيـــــــر : اطمئني .. اطمئني يا مونيكا، هي مريضة النفس والعقل والبصيرة..

المــــــدام : لم أفهم يا عزيزي..

الوزيـــــــر : مريضة بالأخلاق لحد الانغلاق والاختناق، ومريضة بالشرف

لحد القرف والتلف..

المـــــــدام : آه.. الآن فقط فهمت..

الوزيـــــــر : إنني أتساءل يا مونيكا، هذه المدرسة العجوز ماذا تريد مني؟

المـــــــدام : ماذا تريد؟ تريد شيئاً من المال..

الوزيـــــــر : يا إلهي.. إنني لا أسمع صوتها إلا وأرتجف، إنها امرأة غريبة يا مونيكا.. سليطة اللسان ومغرورة بعلمها الذي لا ينفع.. هكذا كانت قديماً، ولست أدري هل مازالت كذلك..

المـــــــدام : لا أظن يا عزيزي، فالعمر له أحكامه..

الوزيـــــــر : من كل الكلمات يا عزيزتي لا تعرف إلا كلمة واحدة..

المـــــــدام : كلمة واحدة؟

الوزيـــــــر : نعم، وهذه الكلمة هي الاستقامة ثم الاستقامة، وبعدها الاستقامة، ولا شيء إلا الاستقامة..

المـــــــدام : الاستقامة؟ (تضحك) وأنت يا عزيزي، كيف يمكن أن تصل إليها، وبينك وبينها مليون سنة ضوئية.. (يضحكان)

الوزيـــــــر : هذه المرأة الغريبة يا عزيزتي تنتمي لفصيلة بشرية قديمة جداً، فصيلة هي الآن في طريق الانقراض التام..

المـــــــدام : آه، كم أنا مشتاقة لأن أراها.. أرجوك يا عزيزي، قل لها أن تدخل، أريد أن أتفرج عليها.. أتفرج وأضحك.. (تضحك)

الوزيـــــــر : تتفرجين؟ إنني لا أعدك بشيء يا عزيزتي، هي امرأة صعبة وشرسة..

المـــــــدام : صعبة أو غير صعبة، كل ذلك كان قديماً، في شبابها ربما، أما الآن فلابد أنها قد تغيرت، وسوف ترى ذلك..

الوزيـــــــر : هي تتغير.. أتظنين ذلك يا عزيزتي؟

المـــــــدام : هل أظن؟ إنني متيقنة يا عزيزي الوزير، متيقنة قلت لك.. أنت لم تعد ذلك الطفل المشاغب، وهي لم تعد تلك المرأة الصعبة القوية، هي اليوم امرأة متقاعدة، وأنت اليوم وزير، لا تنس هذا..

الوزيـــــــر : حقاً، أنا اليوم وزير، وينبغي أن أقنع نفسي بهذا..

المـــــــدام : من مصلحة هذه المرأة العجوز أن تطلب ودك..

الوزيـــــــر : من مصلحتها؟ ها.. ها.. ومتى كانت هذه المرأة المصيبة

تعرف مصلحتها؟ إنها كائن انتحاري يا عزيزتي..

المـــــــــدام : لا .. لا .. إنك تبالغ بلا شك..

الوزيـــــــــر : شعارها في الحياة: علي وعلى كل أمة محمد..

المـــــــــدام : يصعب علي أن أصدق هذا..

الوزيـــــــــر : صدقيه يا بنت الرومية.. صدقيه ولن تخسري شيئاً.. إن من كل الحالات التي أعرف أنا، وتعرفين أنت، فإن هذه المرأة لا تعرف إلا حالة واحدة، وهي حالة الغضب..

المـــــــــدام : الغضب على التلاميذ، هذا من حقها..

الوزيـــــــــر : ليس على التلاميذ فقط، بل وأيضاً، على الإدارة والإداريين، وعلى المدرسة والمدرسين، وعلى السياسة والسياسيين، وعلى الناس أجمعين.. لقد كان شعارها دائماً هو: كل شيء أو لا شيء.. الاستقامة ثم الاستقامة أو فلتحيا القيامة..

المـــــــــدام : ولكن أنت.. أنت لست عدوها يا عزيزي، أنت تلميذها القديم، ولا شك أنها الآن فخورة بك..

الوزيـــــــــر : أتظنين الأمر كذلك يا عزيزتي؟

المـــــــــدام : وهو فعلاً كذلك.. صدقني..

الوزيـــــــــر : آه، ليتها يا ربي ترضى عني أخيراً، وتراني بعين أخرى.. تصوري، لقد كنت في عينها دائماً التلميذ الغشاش والكسول والمزور والمتخلف..

المـــــــــدام : كان ذلك قديماً يا عزيزي، ولاشك أنها قد راجعت نفسها، ولاشك أنها الآن نادمة على كل شيء، ولا شك أنها جاءت لتطلب الصلح والصفح..

الوزيـــــــــر : صليحة تطلب الصلح والصفح؟ لا أستطيع أن أتصور هذا..

المـــــــــدام : لا تنس أنك اليوم وزير، وأن هناك من يريد خدماتك، ولاشك أن هذه المرأة قد جاءتك في أمر يخصها.. في تقاعدها ومعاشها مثلاً، أو في شأن زوجها أو ولدها، من يدري؟ المهم أنها الآن في بيتك، وتستطيع أن تفعل بها ما تشاء..

الوزيـــــــــر : سأنتقم في شخصها من كل أيامي الماضية.. لقد كانت تنعتني دائماً بأقذع النعوت، فأنا مرة بغل، ومرة أخرى حمار أو ضبع أو خنزير.. تصوري يا عزيزتي، أنا خنزير..

المـــــــدام : أنت فعلاً خنزير، ولكنك خنزير جميل ولطيف.. (تضحك)

الوزيـــــــر : شكراً، فما دمنا نأكله فلماذا نحتقره..

المـــــــدام : تعجبني نباهتك يا عزيزي الخنزير.. (يضحكان)

الوزيـــــــر : هل تتصوري.. أنها لا تكاد تراني حتى تصفعني بشدة.. (وهو يحك خده)

المـــــــدام : (تضحك) تستأهل يا عزيزي..

الوزيـــــــر : (لنفسه) ينبغي ألا أقترب منها كثيراً.. من يدري. إن الطبع يغلب على التطبع، هكذا كانت تقول لنا دائماً.. كما ينبغي أن أراقب يدها اليمنى جيداً، فقد تفاجئني بصفعة من العيار الثقيل..

المـــــــدام : ماذا تقول يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : أنا؟ إنني لا أقول شيئاً، ثم إنني ـ كما ترين ـ بألف خير..

المـــــــدام : رابح، تماسك وكن رجلاً و..

الوزيـــــــر : طلي عليها يا مونيكا.. طلي من وراء الستار وأخبريني، أريد أن أعرف ماذا تفعل الآن..

المـــــــدام : (وهي تطل) إنها جالسة يا عزيزي..

الوزيـــــــر : الحمد لله..

المـــــــدام : ولكنها جالسة في عصبية ظاهرة..

الوزيـــــــر : أعوذ بالله، كنت أعرف هذا.. ويدها.. ماذا في يدها يا عزيزتي؟

المـــــــدام : ماذا تقصد يا رابح؟

الوزيـــــــر : أقصد، أليس في يدها مسطرة.. مسطرة حديدية غليظة؟

المـــــــدام : ماذا تخرف؟ هي اليوم لم تعد مدرسة يا عزيزي..

الوزيـــــــر : طمأنت قلبي.. دقي الجرس من فضلك .. (تدق الجرس) هل تعرفين ماذا كنا نسمي هذه المرأة في المدرسة؟ كنا نسميها (الحراقية)

البـــــــواب : (يدخل) نعم سيدي الوزير..

الوزيـــــــر : أدخل السيدة صليحة ومن معها..

البـــــــواب : حاضر سيدي .. (يخرج)

الوزيـــــــر : لقد كانت كتلة ملتهبة من الأعصاب، ولا شيء فيها إلا الأعصاب.. تثور على كل شيء ، ولا يعجبها أي شيء.. يعلم الله كيف كان مصير هذه البلاد سيكون لو أن رجلاً ـ مثل هذه المدرسة ـ هو الذي كان يحكمها.. لأستعد.. إنها قادمة.

(تدخل صليحة يتبعها زوجهاعبد العلـي وولدها سلطان)

17 - من ينعم بالذكرى ومن يشقى بها..

(يفتعل الوزير البحث عن شيء في المكتب، وذلك حتى لا تقع عينه في عين صليحة)

الوزيـــــــــر : غريب.. أين اختفى ذك ال..؟

المـــــــدام : ذلك ال.. ماذا؟

الوزيـــــــــر : لست أدري.. ابحثي معي يا عزيزتي.. أظنني وضعته هنا، أو هنا، أو ربما هنا..

المـــــــدام : أستسمحك سيدي.. (لعبد العلي) يمكنك أن تنتظر قليلاً..

الوزيـــــــــر : عجبا .. إنني .. من .. (وكأنه انتبه لوجودهم فجأة) من يكون هؤلاء يا مونيكا؟ آه.. تذكرت. أنت هي هي.. عرفت.. تفضلوا، أهلاً وسهلاً، قولي لهم يا عزيزتي أن يجلسوا..

عبد العلـــي : لقد جلسنا يا ولدي..

الوزيـــــــــر : آه رائع.. رائع جداً..

عبد العلـــي : سلم على عمك الوزير يا سلطان، ماذا تنتظر؟

سلطـــــــان : عمي الوزير، بالأحضان يا عمي.. اشتقت إليك فعلمني ألا أشتاق.. (يقولها غناء)

الوزيـــــــــر : كسرت ضلوعي يا رأس الغول..

سلطـــــــان : سبحان الله، حتى الوالد يقول لي رأس الغول..

عبد العلـــي : وسلم على زوجته أيضاً.. هيا .. تحرك..

سلطـــــــان : زوجة عمي، ما أجملها يا عمي.. (يهجم عليها ليحضنها)

الوزيـــــــــر : قف.. قف حيث أنت ولا تتحرك..

سلطـــــــان : لا أقدر ، وحق الله لا أقدر.. اشتقت إليك فعلميني ألا أشتاق.. (يغني)

الوزيـــــــــر : أستسمحكم أيها السادة، أعطوني دقيقتين صغيرتين ثم أتفرغ لكم.. إن مشاغلي - كما ترون - كبيرة وخطيرة جداً..

عبد العلـــي : نعم.. نعم.. هي خطيرة جداً، ومن قال عكس فهذا فهو إما أعور أو أعمى..

الوزيـــــــــر : (للمدام على انفراد) أعور أو أعمى.. بدأ الغمز يا مونيكا..

المـــــــدام : لا .. لا .. يخيل إليك فقط يا عزيزي..

الوزيــــــــر : (لضيوفه) حياتي العامة أكلت حياتي الخاصة، وكل وقتي اليوم مصادر.. وقتي ليس وقتي..

عبد العلـــي : كان الله في عونك..

الوزيــــــــر : إنني لا أجد الوقت حتى لأحك رأسي..

سلطـــــــان : الأمر بسيط يا عمي الوزير، أنا أحك لك رأسك..

الوزيــــــــر : م.. اذا؟

سلطـــــــان : ألحقني بالخدمة عندك، وسوف ترى مني العجب العجاب..

الوزيــــــــر : ألحقك بالخدمة عندي؟ وماذا سوف تشتغل إن شاء الله؟

سلطـــــــان : سأشتغل يا عمي الوزير حكاكاً متفرغاً لرأسك.. ها .. ها..

صليحــــــــة : سلطان.. ما هذا الكلام الذي تقول؟

سلطـــــــان : أشتغل معك، وأساعدك على قضاء كل شيء.. وأعطيك نصيباً مهما من وقتي ومن عنايتي ومن اهتمامي..

الوزيــــــــر : ما شاء الله، هذا الولد العظيم لا يمكن أن يكون إلا ولد هذه السيدة العظيمة..

عبد العلـــي : وكيف عرفت هذا يا معالي الوزير؟

الوزيــــــــر : كيف عرفت؟ من وقاحته الجميلة.. إنه يشبه السيدة أمه، ليس الآن طبعاً، ولكن كما كانت قديماً.. كانت قوية وعنيفة.. آه ما أغرب هذه الدنيا، ففي الناس من ينعم بالذكرى، وفيهم من يشقى بها.. آه وآه، سامح لله بعض الناس، هذا كل ما يمكن أن أقوله اليوم، وغفر الله لنا ولهم وللسامعين أيضاً..

عبد العلـــي : نعود إلى سلطان.. هذا هو اسمه، وهو ولدنا الوحيد يا معالي الوزير..

الوزيــــــــر : تبارك الله، لقد أصبح رجلاً..

سلطـــــــان : وهذه المرأة ، أنا ولدها الوحيد، وهي أمي الوحيدة، ها.. ها.. (تنظر إليه أمه نظرة تأنيب) لا تغضبي يا أمي، فأنا لم أنس أبي.. وهذا الرجل الشيخ هو أبي .. أبي الوحيد.. ها.. ها..

الوزيــــــــر : عفواً، لقد نسيت أن أسألكم ماذا تشربون.. قهوة، شاي، عصير؟

المـــــــدام : لقد اعتذروا يا عزيزي الوزير..

سلطـــــان : أما أنا فلم أعتذر، وحق الله لم أعتذر..

الوزيـــــر : إذن دعيهم على راحتهم ولا تلزميهم بشيء.. إنهم ضيوفي الأعزاء..

سلطـــــان : ولكن أنا أريد أن أشرب شيئاً..

عبد العلـــي : (على انفراد) أسكت.. لقد فضحتنا يا رأس الغول..

الوزيـــــر : مرة أخرى سأطلب منكم طلبا بليداً.. أعطوني دقيقة أخرى.. دقيقة صغيرة وأتفرغ لكم.. أستسمحكم .. (يعود للبحث عن شيء لا وجود له)

سلطـــــان : ولماذا دقيقة واحدة؟ خذ دقيقتين كبيرتين جداً يا عمي الوزير، بل وخذ كل الدقائق المتبقية من هذا اليوم..

عبد العلـــي : (يهمس لصليحة) هذه المرأة زوجة الوزير..

صليحـــــة : ماذا بها؟

عبد العلـــي : إنني أعرفها، وحق الله أعرفها جيداً..

صليحـــــة : ماذا تقول ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : لقد سبق ورأيتها من قبل، ولكن أين؟ أين يا ربي، أين؟

سلطـــــان : يا أيها الوالد المبجل، قد تكون رأيتها فعلاً.. رأيتها في أي مكان، إلا في مكان واحد..

عبد العلـــي : وما هذا المكان الواحد يا سلطان؟

سلطـــــان : إنه الثلاجة.. ثلاجتك الكبرى يا أبي.. إن هذه المرأة مازالت بألف خير، انظر إليها جيداً، إنها أكثر حياة منك ومني، ولا أظن أبداً أنها قد فكرت يوماً في الموت، ولماذا تفكر فيه، وأمامها كل هذا النعيم؟

الوزيـــــر : (وقد رآهم ينظرون إلى زوجته) إنها زوجتي، واسمها مونيكا، وهي فعلاً مونيكا، يعني دمية جميلة..

عبد العلـــي : تشرفنا يا مدام..

الوزيـــــر : إنها مغرمة بي غراماً شديداً..

سلطـــــان : ما أسعدك بها يا عمي الوزير..

الوزيـــــر : إنها تعشقني حتى الجنون المرعب..

عبد العلـــي : (لنفسه) حتى الجنون؟ لا أظن..

الوزيـــــر : هي مواطنة مثلي ومثلكم، لقد ولدت في هذا البلد، وعاشت

فيه، وأحبته كثيراً كثيراً..

سلطـــــان : أحبته إلى حد الجنون.. الجنون المرعب يا عمي الوزير..

الوزيـــــر : تماماً.. تماماً يا ولدي..

سلطـــــان : بونجور مدام مونيكا..

المـــــدام : بونجور..

الوزيـــــر : لقد كانت جارتنا.. تعرفينها بلا شك يا مدام صليحة.. أليس كذلك؟

صليحـــــة : أستسمحك.. إنني لا أتذكرها، ذاكرتي لم تعد كما كانت..

عبد العلـــي : أما أنا فأتذكرها .. وأتذكر كل شيء وكأنه وقع بالأمس.. أبوها كان ضابطاً في البوليس..

الوزيـــــر : تماماً، وهو رجل شهم ولطيف..

عبد العلـــي : حقاً.. هو لطيف جداً.. أما اسمه فهو .. هو المسيو فليبس..

المـــــدام : (تضحك) لا .. اسمه المسيو فليكس..

الوزيـــــر : هل سمعت؟ إنه يعرف السيد الوالد يا عزيزتي..

عبد العلـــي : آه، وكيف لا أعرفه وآثاره مازالت على جسمي.. لقد كان يحبنا حباً كبيراً يا مدام.. يحبنا لحد.. لحد ماذا يا سلطان؟

سلطـــــان : لحد الجنون المرعب يا أبي..

عبد العلـــي : وكل هذا لماذا؟ لأنني هتفت يوماً مع الناس وقلت ليحيا الوطن..

الوزيـــــر : رجاء، ذلك الماضي لا تذكرنا به، لقد مات وانتهى..

عبد العلـــي : (لنفسه) وليته مات وانتهى حقاً..

الوزيـــــر : اليوم عهد آخر وعصر آخر يا عمي..

عبد العلـــي : هل رأيت يا مدام؟ هتافي لم يكن بلا معنى، لقد عاش الوطن، وعشت أنت أيضاً.. عشت كما كنت، أو أحسن مما كنت..

الوزيـــــر : لا.. لا .. هذا الذي تقول ليس صحيحاً، ولا شك أن في الأمر سوء تفاهم.. سوء تفاهم كبير جداً، إنك تتحدث عن مسيو فليكس الآخر.. هناك دائماً شخص آخر.. شخص هو الغائب في كل الأحوال.. غائب ومجهول، أما صهري أنا، فهو نبتة طيبة ووالد عائلة كريمة، رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان آمين يا رب العالمين.. (يسمع طرق على الباب)

الوزيـــــــــر : تفضل.. (يدخل الخادم الثالث وهو في زي طباخ هذه المرة)
الخــــادم 3 : هل تسمح المدام، إنني أريد أن أستشيرك في أمر هام..
الوزيـــــــــر : تفضلي معه يا عزيزتي، ودعيني مع ضيوفي.. الأعزاء..

(يخرجان، تنتقل الإضاءة إلى الجانب الآخر، بينما يبقى المكتب غارقاً في الظلام)

18 - والضيوف ليسوا ضيوفاً..

الخـــــادم 3 : معذرة يا مدام، كان يمكن ألا أعود إليك، وأن أفعل ما أفعل كل يوم، ولكنني فكرت..

المــــــــدام : عجباً.. أنت فكرت؟

الخـــــادم 3 : فكرت مع نفسي وقلت لا ، إن هذا اليوم ،يا أنا، لا يشبه كل الأيام.. هذا يوم آخر..

المــــــــدام : نعم، وماذا تريد مني الآن؟ قل بسرعة..

الخـــــادم 3 : إني فقط أريد أن أسأل: ماذا تشتهي سيدتي أن أطبخ لها هذا اليوم؟

المــــــــدام : هذا كل شيء؟

الخـــــادم 3 : نعم، هذا كل شيء يا مدام..

المــــــــدام : اطبخ ما شئت، اطبخ زفتاً، اطبخ سماً، اطبخ حجراً، اطبخ أي شيء.. هل فهمت؟

الخـــــادم 3 : يا مدام، إنه لا يصح فأنا فكرت وقلت..

المــــــــدام : مرة أخرى فكرت؟

الخـــــادم 3 : .. بأن هذا اليوم لابد له من طبخ خاص..

المــــــــدام : لا جديد في هذا البيت، وهذا اليوم مثل كل الأيام الأخرى..

الخـــــادم 3 : والضيوف الكرام يا مدام؟

المــــــــدام : هؤلاء ليسوا ضيوفاً.. سيمكثون دقيقتين، ويقولون كلمتين، ثم من بعد مع السلامة..

الخـــــادم 3 : أنا يا مدام سمعت غير هذا، ولهذا فقد فكرت..

المــــــــدام : وماذا سمعت أيها المفكر العظيم؟

الخـــــادم 3 : سمعت بأن السيدة المدرسة هي مربية السيد الوزير..

المــــــــدام : ما سمعته خطأ، لأن مربية السيد الوزير هي أنا.. نعم، أنا مربيته ومدرسته، وأنا أمه ووطنه، هل فهمت؟

الخـــــادم 3 : جزء من عقلي يقول لي فهمت، وجزء آخر يقول إنني لم أفهم..

المــــــــدام : يمكنك الآن أن تنصرف..اذهب إلى مطبخك، ولا تشغل نفسك إلا بقدورك..

الخـــــادم 3 : سؤال آخر يا مدام، وأعدك بأن يكون الأخير إن شاء الله.. (لنفسه) تقريباً..

المـــــــدام : تفضل، قل ما لديك..

الخـــــادم 3 : هل بإمكاني أن أغير هذه الملابس يا مدام؟

المـــــــدام : تغيرها؟ وما المناسبة؟

الخـــــادم 3 : (لنفسه) سبحان الله، أصبحت هي التي تسأل.. (للمدام) المناسبة هي وجود الضيوف بالبيت .. ألا تفكرين معي، بأنه علي أن أرتدي لباس السائق؟

المـــــــدام : ابتعد عني .. ابتعد أيها المغفل..

الخـــــادم 3 : لم أكمل كلامي بعد يا مدام.. إنني أفكر في أن أخرج السيارة من الكاراج، من أجل أن أوصل السيدة المدرسة ومعها زوجها وولدها إلى بيتهم..

المـــــــدام : السيدة المدرسة تعرف بيتها، وستعود إليه وحدها، هل فهمت؟

الخـــــادم 3 : هل فهمت؟ جزء من عقلي يقول لي فهمت، وجزء آخر يقول إنني لم أفهم..

المـــــــدام : انصرف من أمامي.. قلت لك انصرف، وإلا استدعيت لك قوات التدخل السريع.. لقد دمرت أعصابي أيها الغبي..

الخـــــادم 3 : سلمت أعصابك يا مدام.. إنني ذاهب إلى المطبخ ..

المـــــــدام : اذهب.. لا ردك الله .. (يخرج وهو يتمتم بكلام غير مسموع)

المـــــــدام : (تنادي) حياة .. حياة .. أين أنت؟

حيـــــــــاة : (تدخل) إنني هنا يا مدام.. دائماً قريبة منك يا مدام..

المـــــــدام : آه.. كنت تتصنتين علي أيتها الجنية.. اعترفي..

حيـــــــــاة : أنا ؟ أبدا يا مدام .. إنني فقط كنت .. كنت..

المـــــــدام : اسمعي وافهمي جيداً ما سأقول لك، هل تعرفين لماذا طلبتك الآن؟

حيـــــــــاة : لماذا؟ ربما لأنك اشتقت إلي، الحياة غالية وعزيزة، هكذا يقول الناس يا مدام..

المـــــــدام : أنا أشتاق إليك ؟ اطمئني يا حياة، فهذا شيء لم يحصل يوماً..

حيـــــــــاة : خسارة ..خسارة كبرى يا مدام..

المــــــــدام : ولن يحصل في يوم من الأيام.. هل فهمت؟

حيـــــــــاة : نعم فهمت.. إذاً فقد اشتقت إلى كلبتك يا مدام.. تأمليها جيداً.. إنها تكلمك، ألا تسمعين؟

المــــــــدام : تكلمني؟

حيـــــــــاة : باللغة الكلبية يا مدام..

المــــــــدام : أو.. يكفي.. يكفي ثرثرة.. اذهبي الآن إلى الحمام.. هيا اذهبي.. وبسرعة..

حيـــــــــاة : يا مدام، لقد أخذت حصتي اليومية من حمام الصباح.. تماماً مثل كل صباح، وحق الله لقد..

المــــــــدام : يا أيتها الحمقاء، أنا لا أتكلم عنك أنت، ألا تفهمين؟

حيـــــــــاة : كيف لا أفهم يا مدام، أنت تتكلمين عن حبيبتنا الكلبة.. (لنفسها) ليت أني كنت أنا الكلبة، وكانت الكلبة أنا..

المــــــــدام : اسمعي يا حياة، انتبهي جيداً للعزيزة، وإياك أن يشغلك عنها شيء..

حيـــــــــاة : لا شيء يشغلني عنها يا مدام.. لا شيء إلا التفكير فيه..هل سيشتغل معنا يا مدام؟

المــــــــدام : يشتغل معكم؟ من تقصدين؟

حيـــــــــاة : الولد الوسيم يا مدام، ولد السيدة المدرسة.. والله أنا في حاجة لمن يربي معي عزيزتنا الكلبة.. إن وجود الرجل ضروري في التربية يا مدام، تماماً كما هي المرأة ضرورية، أو ربما أكثر قليلاً.. وحدي لا أقدر على شيء، هيبة الرجل لابد منها.

المــــــــدام : ماذا تقول هذه الحمقاء؟

حيـــــــــاة : يا مدام صدقيني، وحق الله هو ولد مهذب، ثم إنه مثلي يفهم في تربية الكلاب جيداً..

المــــــــدام : يكفي.. خذي لويزة وعودي بها إلى غرفتها، ولا تنسي الحمام..

حيـــــــــاة : إنني يا مدام..

المــــــــدام : لا تضيفي كلمة أخرى.. كل تفاهاتك استمعت إليها، اهتمي بشغلك وكفى.. بشغلك فقط، هل فهمت؟

حيــــــــــاة : نعم، فهمت.. (تخرج المدام)

حيــــــــــاة : (وحدها، تكلم الكلبة بنبرة حزينة) حياة.. ها ..أنا.. أنا حياة؟ حياة الحقيقية هي أنت يا لويزة، نعم أنت يا بنت الكلاب المحترمين، أما أنا.. آه، ما أنا إلا موت يحيا شبه حياة.. هذا هو الوزير، وهذه هي امرأته، وامرأته حمالة الماس والذهب، في جيدها حبل من مسد.. (يدخل الخادم 2 وقد سمع بعض حديث حياة لنفسها)

الخـــــادم 2 : يا ربي.. ما هذا الذي يحدث في البيت الآن، إنني أكاد أبصرها قادمة، أبصر كارثة بحجم كبير وخطير، بحجم حمق هذه الشابة..

حيــــــــــاة : الأحمق في هذا البيت هو أنت.. نعم أنت وحدك يا موسى.. (يدخل البواب)

البـــــــواب : أخبريني يا ابنتي، أما تزال تلك المرأة الغريبة مع السيد الوزير؟

حيــــــــــاة : مازالت معه..

البـــــــواب : الله الله ، ما أسعدها، سيكرمها الوزير كرماً عظيماً..

حيــــــــــاة : وكيف لا يكرمها، وهي معلمته ومربيته التي في منزلة أمه؟

البـــــــواب : يا رب السماء، كل في ما ملكوتك جميل ورائع، وأروع ما فيه الوفاء..

الخـــــادم 2 : ها..ها .. وأين هو الوفاء يا عمي الحاج؟ افتح عينيك جيداً، فهذه الدنيا لم تعد بخير..

البـــــــواب : أعوذ بالله أنتم شباب هذا اليوم لا ترون إلا السواد.. لا تقنعون بشيء، ولا ترضون بشيء، ولا تحسون بشيء.. (يدخل رئيس الخدم)

رئيس الخدم : آه.. ما أجمل هذا الجمع الطيب، هو مؤتمر خطير، أليس كذلك؟

الخـــــادم 2 : إنه يا خالي..

رئيس الخدم : لا تقل شيئاً، لقد عرفت كل شيء، وفهمت كل شيء، هو مؤتمر للنميمة والفضول والكلام الذي ليس له معنى..

الخـــــادم 2 : في هذه أخطأت يا خالي العزيز..

رئيس الخدم : أنا أخطأت؟ غير ممكن..

الخـــــادم 2 : وحق الله ممكن يا خالي، فكلامنا بالتأكيد له معنى، فهل تريد أن تسمعه؟

رئيس الخدم : لا .. كل ما أريده هو أن يعود كل واحد منكم إلى عمله. عودوا إلى العمل، ودعوا النميمة .. هيا .. تحركوا .. ماذا تنتظرون؟

(يخرجون جميعهم، تنتقل الإضاءة إلى مكتب الوزير)

19 - على طريق اسمها النجاح..

صليحـــــة : (وهي تحاول أن تضحك) ماذا تقول يا رابح؟ كن منطقياً يا ولدي..

الوزيـــــر : أنا دائماً مع المنطق يا سيدتي..

صليحـــــة : أبداً، قد أصدق كل شيء إلا هذا..

الوزيـــــر : وحق الله أنا معه.. (يضحك) ولكن فقط، عندما يكون معي، أما إذا كان ضدي، فمن المنطقي أن أكون ضده، وذلك ما يسمى بالمعاملة بالمثل، العين بالعين والسن بالسن والزيف بالزيف..

صليحـــــة : يا رسول الله، ما أكثر الأوهام في كلام هذا الولد الكبير..

الوزيـــــر : الأوهام؟ هل تعرفين يا سيدتي، بأن أخطر كل أفكارنا، هي تلك التي نسميها أوهاماً..

سلطـــــان : أفكارك رائدة ومذهلة يا عمي الوزير..

صليحـــــة : ماذا تخرف يا سلطان؟

سلطـــــان : إنها أفكار هذا الوقت وأفكار هذه الساعة، ألف مرة قلت للسيدة أمي إن المفيد هو الذي يفيد، ولكنها لا تسمع قولي..

الوزيـــــر : أمك يا ولدي.. (متردداً) ماذا أقول لك عنها؟ هي أمك وأنت تعرفها أحسن مني، ولكن مع ذلك، فلا بأس أن أقول لك بأنها غريبة الأطوار..

سلطـــــان : نعم، هي غريبة الأطوار أحياناً يا عمي، ولكنها طيبة جداً..

الوزيـــــر : أمك نسيت شيئاً مهماً في حياتها، وكان يمكنها أن تنسى كل شيء إلا هذا الشيء يا ولدي..

سلطـــــان : ماذا نسيت يا عمي؟

الوزيـــــر : نسيت أن تموت يا سلطان، فالموت شيء طبيعي جداً.. طبيعي كالولادة وكالنوم والرحيل، كان ينبغي أن تموت يوم ماتت أحلامها وأوهامها وخرافاتها التي تسميها أخلاقاً..

سلطـــــان : يا عمي الوزير إنني..

الوزيـــــر : يا سلطان، لا تقل شيئاً، يكفيك أن تسمع جيداً.. انظر إلي وحدي ودعك من كل الناس، أنا نموذج حي للنجاح والتطور

والمنطق، نعم، أنا وليس أمك..

سلطـــــــان : إنني معجب بك يا عمي، لأنك رجل واقعي ومنطقي..

الوزيـــــــر : يا سلطان، انظر حولك وقل لي، هل رأيت هذه المدن الحديثة الملونة والمضاءة؟

سلطـــــــان : نعم رأيتها يا عمي الوزير..

الوزيـــــــر : هذه المدن ما هي إلا غابات يا ولدي..

سلطـــــــان : هي غابات؟

الوزيـــــــر : نعم، هي غابات، وما فيها إلا الوحوش الضارية.. كلهم أعداء وأبناء أعداء وأحفاد أعداء يا ولدي سلطان..

سلطـــــــان : ولكن يا عمي، لنا في هذه المدن أهل وأحباب، ولنا فيها رفاق وأصدقاء..

الوزيـــــــر : الأصدقاء؟ ما أشد غباءك يا ولدي، حتى الأصدقاء أعداء أيضاً، ولكن، بيننا وبينهم هدنة، نعم، وقد تطول هذه الهدنة وقد تقصر.. كل واحد منا في هذا البحر يبحر وحده، يركب سفينته وحده، ويغالب الموج المتموج مع الأحوال والأهوال وحده، وسفينتي أنا صغيرة جداً، صغيرة وضيقة، وفي حال الصحو تنقل شخصين، أنا وزوجتي، أما في حال العاصفة، فإنها لا تحتمل إلا شخصاً واحداً، والذي هو أنا، أنا وحدي ومن بعدي الطوفان الأكبر، هكذا ينبغي أن تفكر أنت أيضاً، وبهذا ينبغي أن تقنع نفسك دائماً..

سلطـــــــان : يا إلهي، هذه الأفكار يا عمي، من أين تأتي بها؟

الوزيـــــــر : من أين آتي بها؟ من السوق يا ولدي.. من سوق هذه الدنيا، وكل شيء فيها يباع ويشترى بالعملة الصعبة.. إن الحقيقة غالية ومكلفة جداً، ولا يمكن أن يقترب منها إلا الأغنياء والأقوياء وأصحاب الجاه والسلطان..

صليحـــــــة : (في الجانب الآخر)عبد العلي ، ياعبد العلي ، يبدو ولدك منسجماً مع الوزير، يعلم الله ماذا يقول له..

عبد العلـــي : حقاً، يظهر أن ولدنا قد ضمن مستقبله يا صليحة..

صليحـــــــة : إنني أخاف على سلطان من هذا الرجل، إن أفكاره مخربة ومدمرة.. يا إلهي، لماذا قبلت المجيء مع هذا الزوج؟ (تنتقل

الإضاءة إلى الجانب الآخر)

الوزيـــــــر : (لسلطان) تذكر دائماً ما قلته لك وسوف تنجح.. (تقترب منهما صليحة)

صليحـــــــة : إنني لا أكاد أصدق نفسي، لقد تغيرت كثيراً يا ولدي رابح..

الوزيـــــــر : شيء طبيعي أن أتغير..

صليحـــــــة : برافو عليك، والله لقد وصلت..

الوزيـــــــر : (يضحك) بالجهد والجهاد ومراوغة العباد يا معلمتي..

صليحـــــــة : نعم وصلت، ولكن أين؟ (لنفسها)

الوزيـــــــر : الأسئلة الفلسفية لا تهمني، المهم هو أنني وصلت يا معلمتي.. وصلت وكفى..

صليحـــــــة : ما أغرب هذه الدنيا، صدفة غريبة ومجنونة هي التي أرادت هذا يا رابح..

الوزيـــــــر : قد تكون تلك الصدفة مجنونة يا معلمتي، ولكن تلميذك النجيب ليس كذلك..

صليحـــــــة : أنت تلميذي النجيب؟ وماذا تعلمت مني يا رابح؟

الوزيـــــــر : ماذا تعلمت؟ تعلمت كل شيء يا معلمتي..

صليحـــــــة : (لعبد العلـــي : بلهجة ساخرة) هل سمعت؟ قال كل شيء؟

الوزيـــــــر : لقد تعلمت كل شيء ينفعني، ورأيت أنه معقول ومقبول، نعم، كل شيء يا معلمتي، إلا تلك الأفكار الغريبة والعجيبة، وتلك الأحلام والأوهام التي تضر ولا تنفع..

صليحـــــــة : إذن فأنت لم تأخذ مني أي شيء يا رابح..

الوزيـــــــر : (يضحك) وذلك من فضل ربي علي..

صليحـــــــة : إنني أسألك يا رابح، هل أنت سعيد حقاً، أم أنك تخدع نفسك؟

الوزيـــــــر : هل أنا سعيد؟ لست أدري يا معلمتي، والله لست أدري، وهذا شيء لا يهمني، والمهم عندي هو أنني رجل ناجح ورابح، وهذا يكفي.. هل تعرفين يا معلمتي، بأن حضور النجاح قد يعوض غياب السعادة، أو قد يكون انتقاماً لاغتيال السعادة ..

صليحـــــــة : (تهمس لنفسها بلهجة حزينة) ما أتعسك يا ولدي رابح.. ربحك خسارة وأنت لا تدري..

الوزيـــــــر : هل تذكرين يا معلمتي، لقد قلت لنا يوماً ونحن في الفصل، إن الإنسان كي ينجح، عليه أن يوظف أحسن ما لديه؟

صليحــــــــة : نعم أذكر..

الوزيـــــــر : ورجعت إلى نفسي، وبحثت فيها جيداً، نعم بحثت طويلاً يا معلمتي، ولم أجد لدي شيئا حسناً، لذلك فقد غيرت كلامك قليلاً، فكان هو الحقيقة، أو ما يشبه الحقيقة..

صليحــــــــة : غيرته أو حرفته يا رابح؟

الوزيـــــــر : لست أدري، المهم أنني قرأته بحسب علمي وفهمي.. لقد قلت لنفسي، إنه لكي تنجح يا رابح، فإن عليك أن توظف أسوأ ما فيك، وهو كثير والحمد لله..

صليحــــــــة : أعوذ بالله، ما هذا الذي تقول يا رابح؟

الوزيـــــــر : صدقوني جميعاً، إنه لكي ننجح، لابد أن نوظف أسوأ ما لدينا..

صليحــــــــة : سلطان، إياك أن تصدق شيئاً من هذا الكلام، لأن السيد الوزير يمزح فقط..

سلطـــــــان : وماذا به هذا الكلام يا أمي؟

صليحــــــــة : ماذا به؟

سلطـــــــان : إنني أراه كلاماً واقعياً ومنطقياً، ثم إن نتائجه مضمونة يا أمي، ونتيجة هذا الكلام هو ما ترين بعينيك..

صليحــــــــة : وليس كل ما تراه العين حقيقي يا ولدي..

(تدخل المدام، وتفاجأ إذ ترى أن الضيوف لم ينصرفوا بعد)

20 - مشهد من الحرب الباردة..

المـــــــدام : (للوزير على انفراد) ألم ينصرف هؤلاء بعد يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : اطمئني.. سينصرفون بعد حين..

عبد العلـــي : (وقد فهم ما تقول المدام للوزير) سننصرف يا مدام، ولكن ليس قبل أن يعرف السيد الوزير لماذا نحن هنا..

الوزيـــــــر : لماذا أنتم هنا؟ الأمر سهل، أنتم في حاجة إلي وإلى تدخلاتي، فأنا اليوم هو السيد الوزير، والكل يخطب ودي..

صليحـــــــة : (لنفسها) أخطأت يا سيادة الوزير.. كعادتك دائماً..

الوزيـــــــر : هذا زمن صعب يا سيدتي، وأنت بلا شك في حاجة إلى أجرة إضافية، وهذا من حقك، ومن حق كل واحد في هذا البلد..

عبد العلـــي : نعم، من حقنا، ولكن من يفهم هذا؟

الوزيـــــــر : ما رأيك يا عزيزتي، أتظنين أن السيدة صليحة تصلح..

المـــــــدام : تصلح؟ تصلح لأي شيء يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : لأن تعطي دروساً خصوصية للأولاد..

المـــــــدام : لا.. هي بالتأكيد لا تصلح، هل نسيت ما قلت لي عنها؟

الوزيـــــــر : بخصوص ماذا يا عزيزتي؟

المـــــــدام : بخصوص علمها الذي لا ينفع يا عزيزي، وبأنها امرأة عتيقة وقديمة قدم الدنيا، وبأنها محنطة و.. لا .. لا.

عبد العلـــي : يا سيادة الوزير، إن السيدة صليحة لم تأت إليك في شأن الدروس الخصوصية..

الوزيـــــــر : آ.. عرفت.. إنها تريد وظيفة محترمة لهذا الولد المحترم.. ماذا أقول لكم؟ إنني لا أنفي إعجابي بهذا الشاب النجيب، في ظني أن أجمل ما فيه، هو أنه لا يشبه السيدة أمه، وهذه حسنة لا تقدر بثمن..

سلطـــــــان : شكراً يا عمي الوزير، هذه شهادة أعتز بها..

الوزيـــــــر : العفو يا ولدي، إنني فعلاً أقدرك، ويؤسفني غاية الأسف أنني لا أقدر أن أفعل شيئاً لأجلك..

سلطـــــــان : ولكن يا عمي الوزير، إنني..

الوزيـــــــر : لو جئتني في غير هذه الظروف لكان الأمر ممكناً، أنتم

تعرفون بلا شك، أننا نعيش اليوم مرحلة صعبة وحرجة جداً، وأن سوق التجارة في كساد، وأن سوق الشغل في كساد، وأن كل شيء في هذه البلاد في كساد، وكل هذا ناتج عن الظرفية الدولية، وعن الأزمة العالمية، وعن الفيضانات التي ضربت البلاد، وعن الإعصار الذي أتى على الأخضر واليابس في هونولولو..

صليحـــــة : يا سيدي الوزير المحترم، لقد ذهبت بعيداً جداً..

الوزيـــــر : (يضحك بخبث) وهكذا أنا دائماً..

صليحـــــة : لماذا تقدم كل هذه الأعذار؟ نحن لم نسألك عن واقع العالم، ولا عن واقع هذا الكون..

الوزيـــــر : (بلهجة خطابية) ومن حقكم أن تسألوا يا سيدتي.. نعم اسألوا، فأنتم مواطنون أحرار، ومن حق المواطنين الأحرار أن يسألوا بكل حرية، وأنا بينكم وأمامكم وزير مسؤول، ومن واجب الوزير أن يجيب.. (صمت) ثم لا تنسي يا سيدتي بأنني تلميذك، ولقد تعلمت منك أن أكون واضحاً دائماً، وأن أكون صريحاً، وأيضاً، تعلمت منك ألا أرضى بغير الحقيقة بديلاً أبداً..

صليحـــــة : ما تسميه حقيقة يا رابح، ليس أكثر من أوهام.. هي أهام يا ولدي، فلا تحاول أن تخدع نفسك..

الوزيـــــر : يا سيدتي المحترمة، هل تعرفين أن أخطر أفكارنا هي التي نسميها أوهاماً؟ لقد أصبحت وزيراً خطيراً جداً، وهذا ليس وهماً..

سلطـــــان : وكيف أصبحت وزيراً يا عمي؟

الوزيـــــر : الأمر سهل.. لقد راهنت يا ولدي وربحت..

سلطـــــان : راهنت؟

الوزيـــــر : نعم، راهنت على الزوجة الرابحة فربحت، وراهنت على الحزب الغالب فغلبت، وراهنت على الأفكار المتحركة فتحركت، وراهنت على الموجة العالية فعلوت وارتفعت، ولو أنني اتبعت أفكار السيدة أمك، ما كنت اليوم أنا هو أنا..

صليحـــــة : وماذا أنت الآن؟ لقد ضيعت الأرض وما أدركت السماء.. أنت

مازلت حائراً وتائهاً كما عرفتك.. مازلت لا تعرف أنت من أنت ولا ماذا تريد..

الوزيـــــــر : ما أريده أدركته .. أدركته كله وزيادة..

صليحـــــــة : لا . يخيل إليك فقط يا ولدي..

الوزيـــــــر : (لسلطان) عيب أمك يا سلطان، أنها لا تعرف هذه الدنيا، ولا تعرف شيئاً فيها، لقد ظلت في المدرسة تعطينا علماً بلا معنى وبلا جدوى، وقد علمتنا تعليم الخرفان وهي تجهل أن ما هذه المدن إلا السباع والضباع والذئاب والثعالب..

صليحـــــــة : مرة أخرى أسألك سيدي، هل تعرف لماذا جئت إليك؟

الوزيـــــــر : لماذا جئت؟ لأنك مدرستي، ولأنني مدين لك بأشياء كثيرة، أليس كذلك؟

صليحـــــــة : أبداً..

الوزيـــــــر : أشياء لها قيمة كبيرة عندك، أما عندي أنا .. (يضحك بدهاء) فليس لها أية قيمة..

صليحـــــــة : لا .. أنت مازلت بعيداً عن الحقيقة..

الوزيـــــــر : إنني مدين لك بحروف وبكلمات وبعبارات ولا شيء أكثر من هذا، ويمكنني اليوم أن أعطيك ثمنها..

صليحـــــــة : حروفي وكلماتي وعباراتي ليس لها ثمن..

الوزيـــــــر : أعطيك ثمنها مضاعفاً عشر مرات أو مائة مرة أو أكثر..

صليحـــــــة : لا أنت لست مديناً لي بشيء، لأنك ما أخذت مني شيئاً، فعلمي مازال علمي، وجهلك مازال جهلك، ولكن أنا.. أنا بالتأكيد مدينة لك بشيء مهم، ولهذا جئت اليوم إليك..

الوزيـــــــر : (لزوجته) هل سمعت يا عزيزتي؟ هي مدينة لي بشيء مهم..

صليحـــــــة : هل تذكر.. ونحن بالقسم، ماذا كنت أقول لك؟

الوزيـــــــر : بالطبع أذكر.. كنت تقولين أشياء كثيرة جداً..

صليحـــــــة : نعم، ولكن هناك جملة واحدة لم يكن من حقك أن تنساها أبداً..

الوزيـــــــر : (مضطرباً) إنني .. ماذا أقول لك؟ لم أعد أذكر هذه الجملة يا سيدتي..

صليحـــــــة : أما أنا فمازلت أذكرها، ولذلك فقد جئت إليك اليوم.. اسمع ماذا كنت أقول لك.. أنت أيها الغشاش لن تكون في يوم من الأيام شيئاً أبداً، ستخسر الدنيا والدين، ولن تفلح في أي شي، وإذا حدثت المعجزة، وكانت منك كائنة، فتعال إلي وابصق في وجهي هذا.. هل نسيت هذا أيها الوزير المحترم؟

سلطــــــان : ماذا تقولين يا أمي؟ ما هكذا يبغي أن تخاطبي السيد الوزير..

الوزيـــــــر : هذا كلام فقط يا سلطان، مجرد كلام، وقد كانت تقوله لكل التلاميذ..

صليحـــــــة : أبداً، أنا ما قلته إلا لك أنت وحدك، أتتذكر هذا؟

الوزيـــــــر : هو كلام يا سيدتي، كلام بلا معنى..

صليحـــــــة : بالنسبة للعقلاء، ليس هناك كلام بلا معنى.. لقد جئت إليك اليوم بعد أن أصبحت رجلاً ناجحاً، وذلك حتى..

الوزيـــــــر : قالت حتى .. حتى ماذا؟

صليحـــــــة : حتى تبصق في وجهي.. هذا من حقك اليوم، فقد ربحت الرهان يا رابح..

الوزيـــــــر : (محرجاً) لا .. لا .. إنني..

صليحـــــــة : (بلهجة آمرة) ابصق في وجهي قلت لك.. هذا أمر.. ابصق أيها الولد..

عبد العلـــي : (بهمس) يا صليحة.. هذا الذي أمامك ليس ولداً، ولكنه الوزير..

المـــــــدام : لا.. هذا كثير.. كثير جداً.. هذه إهانة يا عزيزي، وأنا لا أسمح بها، خصوصاً في بيتي..

الوزيـــــــر : دعيها يا عزيزتي، دعيها، فهي امرأة لا تعرف الآن ما تقول، وما هذا الكلام إلا من تخاريف الشيخوخة..

صليحـــــــة : نعم، قد تشيخ الأجساد، ولكن القلوب التي في الصدور لا تشيخ أبداً..

الوزيـــــــر : للزمن حكمه يا سيدتي، ولا شيء يملك أن يعود من حيث أتى، والدخان الذي هرب من النار، لا يمكن أن يعود إلى أمه النار..

المـــــــدام : اسمع يا عزيزي، يمكنك أن تتسامح مع هذه العجوز المخرفة، فهذا حقك، أما أنا فلا وألف لا.. تفضلي أيتها المرأة ..

سلطـــــــان : إنها تطردها يا أبي..

المـــــــدام : تفضلوا كلكم.. باب الخروج من هنا..

صليحـــــــة : شكراً على هذه المعلومة الخطيرة.. الباب من هنا، كنت أظن الباب من هناك..

المـــــــدام : (تدق الجرس الصغير الذي بيدها) الحاج، موسى ، عيسى، عنتر، تعالوا كلكم.. (يدخل الخدم مسرعين)

رئيس الخدم : سيدتي.. هل تأمرين بشيء؟

صليحـــــــة : نعم، خذ هذه السيد العجوز ومن معها إلى خارج البيت، هل سمعت؟

رئيس الخدم : نعم سمعت يا مدام.. (لنفسه) ولكنني لم أفهم شيئاً..

المـــــــدام : تعال أنت يا عزيزي، فلدي ما أقول لك..

(تخرج، يتبعها الوزير)

21 - في انتظار لحظة الصحو

(يلتف الخدم حول صليحة وزوجها وولدها)

حيـــــــــاة : سيدتي.. ماذا وقع؟

صليحـــــــة : ماذا وقع؟ لا شيء يا بنتي، سوى أن ذلك الذي كان لابد أن يقع قد وقع..

الخــــادم 3 : أعوذ بالله، هل رأيتم ما رأيت أنا؟ إن المدام غاضبة جداً.. غاضبة لحد الانفجار..

الخــــادم 2 : غاضبة؟ ها .. ها.. ومتى كانت سيدتك المدام غير غاضبة؟ دائماً هي هكذا يا سيدتي المدرسة، إن أبرز ما فيها هي أعصابها..

رئيس الخدم : من حقها أن تغضب يا موسى..

الخــــادم 2 : نعم نعم، وذلك ما كنت أقول أنا أيضاً، أليس كذلك أيها الزملاء؟

رئيس الخدم : خصوصاً إذا رأت وسمعت ما يغضب.. (وهو ينظر إلى جهة صليحة ومن معها).. أيها السادة، الزيارة انتهت، ويمكنكم التفضل بالانصراف..

الخــــادم 2 : يا خالي، ما هذا الذي تقول؟ ألا تعرف من تكون هذه المرأة؟

رئيس الخدم : نعم أعرف، ولا يعنيني أن أعرف..

الخــــادم 2 : في هذه الحال يا خالي يمكن..

رئيس الخدم : ما نحن إلا خدم يا ولدي، لا تنس هذا، وأهم شروط الخدمة الطاعة العمياء والبكماء، تذكر هذا أيضاً..

الخــــادم 2 : حقاً، الطاعة في مهنتنا هي كل شيء يا خالي، ولكن، لا بأس من الاجتهاد قليلاً، وبدلاً من أن تكون هذه الطاعة عمياء تماماً، نجعلها فقط عوراء أو حولاء أو.. عمشاء.. إيه، ما رأيك؟

رئيس الخدم : رأيي هو أن تبتعد عني..

سلطـــــــان : يا أمي، متى تفهمين بأن هذه الدنيا قد تغيرت فعلاً ؟ متى ؟

صليحـــــــة : لا شيء تغير يا ولدي سلطان، لا شيء..

سلطـــــــان : ولكن الناس يا أمي، انظري حولك جيداً، انظري هنا وهناك، إنهم لم يعودوا كما كانوا..

صليحـــــــة : أولئك هم أشباه الناس.. إنهم مجرد أشباه وأشباح، فإياك أن تنخدع بهم يا سلطان..

عبد العلــي : ما أتعس حظ هذه الأسرة، لقد وصل كل الناس غيرنا، وأدركوا كل ما يريدون، وبقيت أنت حيث أنت يا صليحة، وبقيت أنا، وبقي معنا ولدنا سلطان.. بقينا في مؤخرة الركب المتحرك..

صليحـــــــة : نعم، لم أصل ياعبد العلي ، وتلك هي المأساة أو هي المهزلة.. لم أصل، مع أنني قضيت العمر كله أجري وأجري.. رأيت الشمس مشرقة في السماء فمشيت نحوها أو خلفها ـ لست أدري ـ وتجري مولاتنا الشمس وأجري، لحظة بعد لحظة، وساعة بعد أخرى، إلى أن تغيب الشمس مساء وتختفي، ترحل هي وأبقى أنا، أبقى وحدي في الظلام..

عبد العلــي : يا صليحة، ليس هذا وقت الكلام، تعالي لنذهب..

صليحـــــــة : (وكأنها تكلم نفسها) من يصدق هذا؟ عاشقة الشمس والنور، تبقى في الظلام بلا شمس ولا نور؟ وعاشقة النظام تخنقها الفوضى.. ما هذا الذي نحياه يا الله؟

سلطـــــــان : يا أمي، ستتعبين كثيراً، إن العالم هو هذا..

صليحـــــــة : نعم، هو هذا، لأن هناك في الظلام من أراد له أن يكون هكذا....

عبد العلــي : يا صليحة، هذا الانفعال يضر بصحتك، فتعالي نعود إلى البيت، وغداً قد يفتح الله علينا من حيث لا ندري.. حقاً، نحن لم نربح اليوم شيئاً، ولكننا ـ أيضاً ـ لم نخسر غير أوهامها المريضة..

صليحـــــــة : أنت تعرف ياعبد العلي أن الله هو الذي صنع هذا الكون..

عبد العلــي : طبعاً أعرف..

صليحـــــــة : ولكنك لا تعرف من يسيره اليوم..

سلطـــــــان : يا أمي، ما هذا الذي تقولين؟ انتظري حتى نعود إلى البيت وأكملي كلامك هذا..

صليحـــــــة : لا، دع يدي أيها الولد، ألا ترى بأنني لم أكمل كلامي بعد..

يجب أن تعرفوا جميعكم أن الذي يحرك هذا العالم المجنون هو الشيطان الرجيم.. الشيطان ومعه عصابته وتلاميذه وحواريوه وسماسرته وأولاده وأحفاده وزبانيته وجلادوه ومجرموه وأعوانه وحراسه وعسسه ..

سلطـــــان : إنني لا أفهم يا أمي، لماذا كل هذا العقوق؟

صليحـــــة : لماذا؟ اعلم يا ولدي أن العقوق في بعض الذوات طبيعة ثانية، هل فهمت الآن؟

سلطـــــان : لا .. لا أظنني فهمت شيئاً من هذا الذي يحدث يا أمي..

رئيس الخدم : سيدتي، مرة أخرى أذكرك بأن الزيارة انتهت..

صليحـــــة : أعرف. أعرف..

سلطـــــان : (وهو ينظر إلى حياة نظرة فيها شيء من الألم ومن الخيبة) هو الوداع إذاً.. الوداع يا كل أحلامي التي بنيت على الرمال..

حيـــــــاة : أرجوك .. بالله لا تقل وداعاً يا سلطان، لأنه لابد أن نلتقي يوماً.. ومن حقنا أن نلتقي، أليس كذلك يا لويزة؟ (مخاطبة الكلبة)

صليحـــــة : هل تأكدت الآن يا سلطان، أن أولاد الريح لا يمكن أن ننتظر منهم إلا العاصفة..

عبد العلـــي : يا صليحة، إن الرزق من عند الرزاق..

صليحـــــة : وهل قلت أنا إلا هذا؟

عبد العلـــي : .. وإن الفتح لا يأتي إلا من عند الفتاح..

صليحـــــة : نعم، ولكن متى ياعبد العلي ؟ أخاف ألا يكون ذلك إلا بعد أن تهوي الفأس على الرأس، وبعد أن يصبح كل هذا العمران أطلالاً وخراباً..

حيـــــــاة : أظن هذه المرأة حزينة جداً، أليس كذلك يا أخي موسى؟

الخـــادم 2 : سبحان الله، وكيف عرفت هذا أيتها الجنية؟ حقاً أنت فتاة ذكية جداً..

حيـــــــاة : (بدلال وخجل) العفو.. العفو.. والله أخجلتني يا أخي موسى..

صليحـــــة : ألا ما أتعس هذه الدنيا ياعبد العلي ، عندما تختلط الأسماء

والأشياء، وتصبح الطيور بحجم الصقور، وتصبح الصقور زواحف تزحف على بطونها، الزيف أضحى اليوم سيداً ومولى..

سلطـــــان : والحقيقة يا أمي، أين هي الحقيقة؟ إنني لم أعد أعرف شيئاً، وأخاف أن أفقد الثقة في كل الناس وفي كل الأشياء..

صليحـــــة : الحقيقة؟ هي اليوم مجرد كلمة من بين الكلمات، كلمة مسلوبة المعنى أو مهربة المعنى..

سلطـــــان : وهذا المعنى المهرب، أين يمكن أن أجده؟

صليحـــــة : ابحث عنه وسوف تجده، ولابد أنك سوف تجده في يوم من الأيام.. ابحث عنه يا سلطان ولا تستسلم أبداً، وإياك إياك أن تفرط في حقك في المعرفة الحقيقية.. (تتأمل ما حولها في صمت) يا الله.. أهذا الذي نحيا اليوم حقيقة حقاً؟ ألا يكون مجرد كابوس مزعج، أو مجرد حلم من الأحلام أو مجرد وهم من الأوهام، وإن كان كابوساً، فإنه لابد سيتبخر قريباً، سيتبخر تحت أشعة الشمس الحارقة.. (صمت) غداً صباحاً يا ولدي سلطان سوف تختفي كل هذه الأرواح والأشباح المرعبة، وسيختفي مصاصو الدماء، وتختفي الخفافيش وكل أعداء الضوء والنور، ويختفي جميع الدجالين والمشعوذين والغشاشين.. يومها، لن يصح إلا الصحيح يا ولدي سلطان..

حيـــــاة : هذه المـرأة تقول كلاماً غريباً، وفي صوتها رنة عجيبة، ألا تكون حزينة يا أخي موسى؟

(على خلفية موال شجي الصوت واللحن تدير صليحة وجهها نحو باب الخروج تتحرك بخطى ثقيلة وبطيئة يمشي خلفها زوجهاعبد العلي وابنها سلطان يظل الخدم واقفين في مكانهم في حالة وجوم وصمت يلتفت سلطان نحو حياة، يبتسم لها ابتسامة حزينة، ويلوح لها بيده ثم يمضي يلوح له كل الخدم بأيديهم مودعين فجأة، تتوقف الحركة على الخشبة، ويبقى المشهد جامداً تماماً يتعالى صوت مغني الموال، ويزحف الظلام على الخشبة شيئاً فشيئاً إلى أن يعمّها تماماً)

نصوص



مسرحية

ديوان الحشاشين

احتفال مسرحي في نفسين

الإهـــداء

إلى كل سحرة المسرح، هنا وهناك
وفي كل زمان ومكان
إلى المسرحيين الذين تعرفهم الحقيقة
ولا يعرفهم الواقع

شخصيات الاحتفال

بديع الزمـــان : المخرج
ضوء المكـــان : المؤلفة
سيف الرحمن : الممثل
موهـــــــوب : التقني المدير الممثل المخرج

التقديم

إنني أدعوكم لأن تنصتوا لهمس الشخصيات ولبوحها في هذا الاحتفال المسرحي، وأعدكم بأنني سأدخل بكم، هذه المرة، إلى فضاءات حلم مسرحي.. فضاءات قد تكون غريبة وعجيبة، ولكنها ممكنة الوجود، سواء على مسرح المسرح أو على مسرح الوجود، وللواقع والواقعية في هذا الاحتفال مفهوم مختلف.. وهذا الحلم المسرحي أو هذا الكابوس المسرحي لم أعشه وحدي، بل عاشته معي شخصيات مسرحية غريبة المظهر والمخبر، وغريبة الفعل والانفعال، وغريبة الأحوال والمقامات والمواقف.. لقد رأت هذه الشخصيات وجوداً غريباً، في عالم غريب، ورأت صوراً غريبة ومثيرة ومدهشة، وكان ضرورياً أن تقول كلاماً غريباً، وأن تأتي بأفعال غريبة، وأن تقول في المؤلف الذي ألفها كلاماً غريباً أيضاً، وكل هذا من حقها، أليست الاحتفالية هي التعبير الحر، للإنسان الحر في المجتمع؟ وهل يمكن أن نتصور عالماً أكثر حرية وديموقراطية وأكثر جمالاً واكتمالاً من العالم المسرحي؟

هذه المسرحية الاحتفال لم يسبق أن قرأها قارئ من القراء، ولم يحدث أن التقى بشخصياتها مشاهد من المشاهدين، ولم يحضر أحداثها ووقائعها شاهد من الشهود. إنها واحدة من المسرحيات التي خرجت إلى الوجود ـ لأول مرة وأطلت على الناس، من شرفات أوراق وصفحات جريدة (الميثاق الوطني) مثلها في ذلك مثل المسرحيات الأخرى التي رافقتها في النشر، مثل مسرحية (صياد النعام) و(ليالي المتنبي) و(على باب الوزير) و(الدجال والقيامة) و(قراقوش الكبير) و(جحا في الرحى)

في هذا التقديم، سأحاول أن أكشف لكم عن بعض أوراقي وعن بعض تساؤلاتي، سواء بخصوص الواقع وما وراء الواقع، أو بخصوصية شعرية هذا الواقع أو شعرية تمثله وتصوره تصوراً سوريالياً وعجائبياً..

ويمكن أن أتساءل الآن أمامكم ومعكم وأن أقول ما يلي:

ـ كيف يلتقي الشعر والواقع؟ وأين تتقاطع خطوط الرؤية الواقعية بخطوط الرؤية الشعرية أو الشاعرية؟ وعند أية نقطة يلتقي الطبيعي والرمزي؟

وعند أية عتبة يمكن أن يقع التماس بين الحياة والفن، وبين الكائن والممكن، وبين المألوف والعجيب، وبين الممكن والمحال؟

- وهل في هذا الواقع في وقائعه الظاهرة والمتكررة والمألوفة أية نسبة من روح الشعر ومن روح الشاعرية الشفافة؟
- وإذا كان ممكناً (شعرنة) هذا الواقع العصي على الشعر فبأي الأدوات يمكن أن يتحقق ذلك؟ وعند أي أفق جمالي ومعرفي يمكن أن تتجه كل الأنظار؟
- وما هو اجتماعي، يومي وعادي، يسكنه الاجترار، ويقيم في جسده التكرار الممل، هل يمكن أن نرتقي به، مسرحياً، وأن نصل بلغته وبمشاهده إلى درجة الغرابة والإدهاش؟
- وهل يمكن أن نبلغ به عتبة الشعر الحق، وأن نصل به ومعه إلى دنيا السحر الواقعي، وإلى دنيا الواقع السحري؟
- وما هي (طبيعة) علاقة الشعر المسرحي بالمجتمع؟
- وما هي حدود هذه العلاقة، وذلك في كل أبعادها ومستوياتها المتعددة والمتنوعة؛ أي أبعادها الظاهرة والخفية، ومستوياتها الكائنة والممكنة، وأبعادها الآنية والآتية، ومستوياتها الطبيعية والأسطورية؟
- وهل تقوم هذه العلاقة على أساس الانعكاس؟ أي على مبدأ إعادة إنتاج هذا الواقع الاجتماعي والتاريخي، تماماً كما هو كائن هذا اليوم، وذلك في كل جزئياته وتفاصيله ومفرداته المشهدية المختلفة والمتنوعة، أو كما كان بالأمس القريب أو البعيد، من خلال الاعتماد على المحكي التاريخي أو المحكي الروائي؟

في المنظر الاحتفالي، لا شيء يعادل محاكاة فعل الخلق، ولا شيء أهم وأخطر من إعادة إنتاج الوجود الإنساني برؤية إبداعية جديدة ومتجددة، وعليه، فإن الإبداع المسرحي، في معناه الاحتفالي، ليس هو تصوير الوقائع كما وقعت، ولكنه تأسيس عالم آخر جديد، عالم مغاير، بشخصيات مسرحية جديدة، وبوقائع وأحداث جديدة، وبمواقف مثيرة جديدة، وبحالات وجدانية جديدة، وبأجواء وطقوس جمالية جديدة ومتجددة. إن الواقع المسرحي ليس هو الواقع الواقعي، ولا ينبغي له أن يكون كذلك، وذلك لأنه لا ينتمي إلى الحقيقة السامية والنبيلة والشفافة، والتي قد تكون بقوة الواقع غائبة أو مغيبة، أو قد تكون معتقلة أو مهربة.

إن المسرح، وبخلاف ما قيل، ليس مرآة عاكسة ، ولو كان كذلك، فإنه لا يمكن أن يكون إلا مرآة مشاغبة ومشاكسة وحربائية وماكرة وزئبقية ومنفلتة. إن المسرح إذاً، في معناه الحقيقي، لا يعطي الواقع، أو ما يشبه الواقع، ولكنه يعطي رؤية لهذا الواقع، ويعطي موقفاً منه، ويقوم هذا الموقف المسرحي، والذي هو موقف نقدي وضدي بالضرورة، على أساس رفض الكائن الساكن والجامد، وذلك لأن مثل هذا الموقف ينطلق أساساً من عين سحرية فوق واقعية، عين تسبق في حركتها حركة الأشخاص، وتتجاوز بسرعتها سرعة كل الأشياء، وهذه العين، هي بالضرورة عين شاعر يعشق الممكن الآتي، ويغرم بالمحال البعيد، وينجذب باتجاه العوالم الغريبة والمثيرة والمدهشة، ومثل هذه العوالم الأخرى.

ويمكن أن نواصل مسيرة التساؤل وأن نقول ما يلي:

- وما هو دور المسرح الحقيقي في عالم غير حقيقي؟
- أن يكون مؤثراً ؟ وبأي شيء يمكن أن يحدث فعل التغيير؟ بجمالياته التي تخاطب العين والأذن وكفى ؟
- أن يكون فاعلاً ومغيراً، وذلك برسائله الأخلاقية، وبخطاباته المحرضة على الجمال ولا شيء غير ذلك؟
- أن يكون فعلاً انقلابياً وتثويرياً، وذلك بشعاراته الأيديولوجية، أو بأحلامه وأوهامه الطوباوية؟

يقول الشاعر المسرحي ممدوح عدوان إن (ما يعرض على الخشبة يجب أن يشبه بشكل أو بآخر، حياة البشر لكي يستطيع البشر أن يتواصلوا معه، حتى ولو صيغة خرافة أو ملحمة أو حدث من التاريخ)

ويمكن أن نتساءل من جديد، وباستغراب هذه المرة، كيف تسللت كلمة (يجب) إلى لغة الشاعر؟ وأين هي الحرية في لغة شاعر (يقترف) الشعر بإرادة حرة؟ وكيف اندست في كلامه هذه الكلمة، مع أنها لا تنتمي إلى القاموس الشعري والحقيقي، ولا إلى القاموس الإبداعي، وذلك لأنه وبكل بساطة لا إكراه في الإبداع الحق، وحيثما تدخل كلمة (يجب) تدخل المدرسية معها، وحيثما تكون المدرسية تكون التبعية أيضاً، ومع هذه التبعية يحضر التكرار دائماً، ويموت الإبداع، وتختنق الشعرية والشاعرية.

النفس الأول

1 - استهــلال

(تفتح ستارة المسرح لندخل منه إلى مسرح آخر.. هو مسرح داخل مسرح إذاً، وكل مسرح داخل هذا المسرح يوجد مسرح آخر غيره، أكبر منه أو أصغر منه، أصدق منه أو أكذب منه، وذلك إلى ما لا نهاية، تماماً كما هو الشأن بالنسبة للمرايا المتقابلة..هذا الفضاء المسرحي تؤثثه الحبال والستارات السوداء والحمراء والكشافات الضوئية المعلقة والمتدلية من فن فوق .يدخل عمال المسرح ويخرجون، وهم يحملون قطعاً مسرحية مفككة.. يركبون منظراً سوريالياً غريباً، وذلك بمواد وأشكال وأحجام غير طبيعية وغير واقعية.المنظر المسرحي لا ينتمي لأي مكان معروف ،ولا لأية حقبة زمنية معينة، وفيه شيء من كل شيء، من الماضي والحاضر، وفيه شيء من الآتي الممكن، وفيه من الجنون أكثر مما فيه من المنطق الهندسي. هو العالم إذاً، لا كما هو هذا العالم في الواقع، ولكن كما يمكن أن يتصوره محموم مجنون أو حشاش..يخرج المخرج بديع الزمان وهو في زي غريب، يتبعه مساعده موهوب وهو ملتصق به ..)

بديع الزمـــان : (يلتفت يمنة ويسرة) أين راح ذلك الرجل؟ عفواً .. سألتموني أي رجل؟ ذلك الآدمي الملتحي.. لقد كان هنا بالقرب مني.. (ينادي بأعلى صوته) أين أنت يا موهوب؟

موهــــــــوب : (بأعلى صوته أيضاً) إنني هنا.. بالقرب منك، ألا تراني؟

بديع الزمـــان : ها ها .. كيف أراك وأنت ملتصق بي .. ابتعد قليلاً .. ابتعد قلت لك، ألا تسمع؟

موهــــــــوب : (وهو يصرخ) لماذا تصرخ يا بديع الزمان.

بديع الزمـــان : إنني فقط أريد أن أطمئن يا أيها الآدمي المتعب. أليس من حقي هذا؟

موهــــــــوب : تطمئن على ماذا يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : أطمئن على سمعك.. نعم .. على سمعك.. ألا تسمع؟ ها ها.. هل تعرفون اسمه؟

موهــــــــوب : اسمي موهوب (منتفخاً في زهو)

بديع الزمـــان : أي نعم ..اسمه موهوب، وحق الله هذا هو اسمه، ولست أنا من سماه ، وعلى الوالدين أن يتحملا كامل مسؤوليتهما في هذه الجريمة..

موهـــــــــوب : هو في هذا المسرح المخرج، وأنا مساعده، وإذا مات أو قتلته، إن شاء الله، فإنني سأصبح المخرج مكانه..

بديع الزمـــان : هو مساعدي أحياناً، ولكنه مساعد الشيطان في كل الأحيان..

موهـــــــــوب : كما أنني ممثل في حال الطوارئ، يعني إذا مرض ممثل من الممثلين أو أصابته مصيبة..

بديع الزمـــان : كما أنه تقني سيئ، وملقن غشاش، وعندما نحتاج إلى مدير يكون هو المدير.. ها ها .. (ينادي بأعلى صوته) موهوب..

موهـــــــــوب : (بصوت مرتفع أيضاً) نعم سيدي المخرج المبجل؟

بديع الزمـــان : هل كل شيء على أسوأ ما يرام؟

موهـــــــــوب : نعم.. تماماً كما أمرتم .. سيدي المبجل..

بديع الزمـــان : رائع .. رائع وفظيع، وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة، هذا ما كنت أريد.. فعلاً أنت موهوب.. (وهو يتأمل المنظر الغريب باندهاش ويصفر)

موهـــــــــوب : انظر يا بديع الزمان، لقد مسخنا لك هذا المكان مسخاً بئيساً، وشوهناه لك تشويهاً فظيعاً..

بديع الزمـــان : الله الله، وهذا هو الفن الحقيقي يا عمي موهوب..

موهـــــــــوب : نعم، الفن هو هذا .. إنه الفوضى، وهو المسخ، أما ذلك الشيء الذي يسمى الإبداع، فما هو إلا قلة الخيال وقلة (الهبال)..

بديع الزمـــان : الآن فقط تيقنت، بأن من سماك «موهوب» لم يكن خاطئاً أبداً.. والجمال يا صاحبي ماذا تقول عنه؟

موهـــــــــوب : الجمال؟ (يحك رأسه) الجمال هو فقدان الذوق، أو هو قتل الذوق..

بديع الزمـــان : الله أكبر.. ما هذا الذي أسمع.. (ينادي بأعلى صوته) يا عمال المسرح اسمعوني .. اقتربوا مني أولاً .. (يدخل عاملان .. يقتربان منه) رتبا لي هذا المسرح كما أعشق

وأهوى.. رتباه بحمق وجنون.. إن هذا العالم يا عمي موهوب هو عالمي أنا، وهو غير عالم الناس، وغير عالم الأشياء المعروفة والمألوفة.. هذا عالمي أنا، وأنا هنا سيده ومولاه، وأرجو أن يكون مختلفاً عن عالم رب العالمين..

2 - قل لي كيف تراني؟

(تدخل امرأة عمياء فجأة، تقف عند أبعد مكان وهي داخل بقعة ضوء.. تضع على عينيها نظارات سوداء، وتمسك بعصا بيضاء، ترتدي معطفاً صوفياً كبيراً وكأنها قادمة من منطقة ثلجية)

ضوء المكـــــان : (للجمهور) لقد رأيتموني، وهذا كرم مني أنا.. كرم أن تروا صورتي، وأن تسمعوا صوتي، وأن تسليكم حكمتي الملونة مرة، والسوداء والبيضاء والرمادية في أغلب المرات.. أنا أيضاً أراكم، رغم هذا العمى أراكم.. إنكم هنا.. نعم هنا، وأنتم تتساءلون في فضول، هذه المرأة المبهمة والغامضة من تكون؟ (تضحك ضحكة باردة وغامضة ومحايدة) هذا فعلاً مسرح .. مسرح داخل مسرح، ولكن أنا .. أنا لست ممثلة ولست .. ولست .. (تختفي بقعة الضوء، فتختفي المرأة أيضاً.. يدخل بديع الزمان وهو يكاد يسقط من شدة الضحك)

بديع الزمـــان : ها .. ها .. إنه .. إنه .. ها ها.. (يدخل موهوب فيزداد ضحكه لرؤيته)

موهـــــــــوب : يا بديع الزمان، ماذا رأيت؟

بديع الزمـــان : رأيت .. رأيت عجباً .. ها ها .. رأيتك أنت ..

موهـــــــــوب : أنا؟ وماذا بي أنا؟

بديع الزمـــان : كل شيء فيك تغير.. لقد أصبحت أنت غير أنت، ووجه غيرك أصبح وجهك أنت..

موهـــــــــوب : يا بديع الزمان، من فينا الذي تغير؟ أهو أنا أم أنت؟

بديع الزمـــان : يا عمي، أنا أو أنت، ليس هذا هو المهم، لأن ما أراه لا يقلقني، بل بالعكس، إنه يضحكني.. ها ها .. اسمع، إن كنت تريد أن تبقى هكذا، فإنه لا مانع عندي.. ها ها.. هذا يناسبك تماماً.. يناسبك أنت ويرضيني ويضحكني أنا ..

موهـــــــــوب : هذا الوجه؟ أي وجه يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : وجهك.. وجهك يا موهوب.. إنه أعجوبة الزمان والعصر

والأوان (ينشد) وجهك يا موهوب فيه طول وفي وجوه الشياطين طول هاها.. في وجهك طول وأنا ليس لدي ما أقول..

موهـــــــوب : سبحان الله.. ماذا أصابك يا بديع الزمان؟ هل أنت محموم؟

بديع الزمـــان : أبداً يا عمي..

موهـــــــوب : إذن فأنت مريض بلا شك؟

بديع الزمـــان : مريض؟ ها ها .. هل سمعتم؟ يا رب العالمين، إن كان هذا الذي أنا فيه مرضاً، فصلّط علينا كل أمراض المسلمين والكافرين والملحدين، وأمراض أهل اليسار ومعهم أصحاب اليمين، آمين يا رب العالمين..

موهـــــــوب : لقد عرفت.. أنت ضيعت عقلك، أين فقدته يا بديع الزمان؟ أين؟ قل حتى أساعدك.. لا تخف، سنجده بلا شك..

بديع الزمـــان : ماذا يقول هذا العجوز المخرف؟

موهـــــــوب : تعال يا بديع الزمان.. إن عقلك موجود.. موجود في هذا المكان أو في ذاك المكان، ومن يدري، فقد يكون موجوداً في اللامكان وأنت لا تدري.. (يجذبه من يده)

بديع الزمـــان : انتظر يا موهوب.. إلى أين تريدنا أن نذهب؟

موهـــــــوب : إلى المدينة.. تعال بسرعة..

بديع الزمـــان : (يضحك) عجباً.. تريد أن تخرج للناس بهذا الوجه؟

موهـــــــوب : وماذا به هذا الوجه؟

بديع الزمـــان : يا عمي موهوب افهمني.. إن المهم ليس هو أنت كما أنت، ولكن المهم هو أنا، وكما يمكن أن أراك أنا ..

موهـــــــوب : آه .. أنت، وهل يمكن أن أعرف يا بديع الزمان كيف تراني الآن؟

بديع الزمـــان : نعم، يمكن جداً.. إنني أراك بعين المبدعين الكبار.. أراك بعين سوريالية محمومة وحمقاء..

موهـــــــوب : يا ويل أمي..

بديع الزمـــان : (يضحك) إنني .. إنني.. أخزاك الله يا ملعون، أبعد عني هذا البلاء.. من أين أتيت بهذا القناع؟

موهـــــــوب : أنا لا أضع قناعاً يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : عجباً..

موهـــــــوب : هذا وجهي.. وجهي الحقيقي..

بديع الزمـــان : ماذا؟ أتريدني أن أكذب عيني، وهي عيني، وأن أصدقك أنت، ومن أنت؟ قسماً باللات والعزى ومولاي بوعزة إن هذا لن يكون أبداً.. هل سمعت؟ اعترف يا عمي موهوب، اعترف، إنه لا شيء أحلى وأبهى من الحقيقة العارية والحافية أيضاً.. (يضحك) الملعون.. لقد أصبح خرتيتاً.. ها ها..

موهـــــــوب : بديع الزمان.. (وهو ينظر إليه نظرة ذات معنى) ماذا أكلت هذه الليلة؟

بديع الزمـــان : أنا؟ أنا لم آكل شيئاً..

موهـــــــوب : إذاً فقد شربت.. شربت شراباً ملعوناً.. اعترف يا بديع الزمان، قل الحقيقة، لأنه لا شيء أحلى وأبهى من الحقيقة العارية والحافية أيضاً.. قل، فأنت والله لست طبيعياً هذا المساء..

بديع الزمـــان : (يضحك) يا عمي موهوب.. أنا لا آكل ولا أشرب، ولكنني فقط أدخن.. نعم أدخن، وقد يحدث أحياناً أن أشم .. ما هذا؟ (وكأنه يشم رائحة ما) إنني أشم رائحة فيك..

موهـــــــوب : (بزهو) إنه .. إنه البارفان يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : ماذا قلت؟ لم أسمع جيداً..

موهـــــــوب : قلت البارفان، ألا تسمع؟ عطر ليس مثله عطر آخر ..

بديع الزمـــان : آه.. البارفان.. ما أعرفه يا عمي موهوب هو أن البارفان أنواع، فأي نوع هو بارفانك؟

موهـــــــوب : إنه عطر باريسي من النوع الرفيع جداً جداً.. أما اسمه فهو .. فهو .. يا ربي.. اسمه على طرف لساني..

بديع الزمـــان : نعم.. هو؟

موهـــــــوب : آه .. أخيراً تذكرت يا بديع الزمان.. اسمه بارفان الرحمان....

بديع الزمـــان : آه .. لم تقل لي، منذ متى لم تدخل الحمام؟

موهـــــــــوب : منذ متى؟ من أزمان وأزمان يا بديع الزمان، من عام الفساد أو من عام الجراد.. لم أعد أذكر، أو ربما من عهد فرعون وهامان.. ها ها .. هذه المرة أنا الذي أضحك..

بديع الزمـــان : إذاً ابتعد عني.. ابتعد يا صاحب البارفان..

موهـــــــــوب : (يضحك) بارفان الرحمان.. ها ها ..

بديع الزمـــان : ابتعد أكثر، ولا تخاطبني إلا من وراء حجاب..

موهـــــــــوب : لم تخبرني يا بديع الزمان، قبل أن تأتي إلى هنا، أين كنت؟

بديع الزمـــان : أين كنت؟ آه لو تعرف يا عمي موهوب أين كنت.. كنت في جلسة ممتعة.. جلسة تاريخية لم يحلم بها هارون الرشيد في زمنه السعيد..

موهـــــــــوب : جلسة؟ جلسة علم يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : لا..

موهـــــــــوب : أو جلسة سياسة؟

بديع الزمـــان : أعوذ بالله، بل هي جلسة حشيش يا عمي الخرتيت.. ها ها..

موهـــــــــوب : هس.. (في خوف) إياك أن يسمعك موهوب الآخر.. موهوب المدير وليس أنا..

بديع الزمـــان : ها ها.. ليسمع.. (بصوت عال) أنا لا أخاف أحداً.. ومن كل أرباب الأرض والسماء، لا أخاف إلا رب العالمين وحده..

موهـــــــــوب : ها .. هل سمعتم؟ إنه يخاف الله، ولكنه يتحشش.. يا بديع الزمان، ألم تقرأ ما قال الإمام ابن تيمية في الحشيشة؟

بديع الزمـــان : الحشيشة؟ هكذا سماها؟

موهـــــــــوب : نعم، وقد قال عنها بالحرف الواحد..

بديع الزمـــان : (يقاطعه) لا تكمل.. رجاء اعفني الله يسترك من سماع رأي الشرع في الحشيش وأهل الحشيش وتجار الحشيش، فأنا فنان جبان.. كبدي رقيق يا عمي موهوب، وقلبي (هشيش)

موهـــــــــوب : ها ها.. لقد جاء دوري لأضحك عليك.. الإمام ابن تيمية قال..

بديع الزمـــان : لا..
موهـــــــوب : نعم . قال لا ، وحق الله قالها.. قال لا يدخل الجنة حشاش..
بديع الزمـــان : كذاب..
موهـــــــوب : سامحك الله يا بديع الزمان..
بديع الزمـــان : كذاب وغشاش ومزور.. أنت لست موهوباً إلا في شيء واحد أوحد وهو الكذب.. يا رب العالمين، ماذا أصاب الناس في دنياك؟ إنني كلما اقتربت من شيء يسعدني ويمتعني وجدت الغربان من حولي تحذر بصوت واحد، هذا حرام، وذاك حرام، وكل شيء حرام، أو هو على الأقل نصف حرام، أو ربع حرام.. حرام .. حرام..
موهـــــــوب : (يضحك بسادية) ها ها.. أخونا لم يعد يضحك.. لقد أرعبته.. وحق الله أرعبته..
بديع الزمـــان : بودي لو كنت أعرف لماذا.. لماذا يا ربي كل هذه الشباك المنصوبة في دنياك؟ هل العذاب هو الحلال وحده؟ هل البشاعة والخيبة؟ هل هو الموت أو ما يشبه الموت؟ بودي لو كنت أعرف.. (يخرج وهو يمسح دمعه ، تشيعه ضحكات موهوب.. يدخل العامل)
موهـــــــوب : (وهو مازال يضحك) لقد .. لقد جن الرجل تماماً.. قلتها لك يا رأس الحلوف ولم تصدقني..
العامـــــــل : جن الرجل؟ أي رجل يا عمي موهوب؟
موهـــــــوب : بديع الزمان .. ألا تراه كيف يمشي، وكيف أصبح ينطق، وكيف يصرخ بأعلى صوته؟ اللهم استرني يا ربي، واستر أولادي وذريتي، واستر حتى ذلك الحلوف، فهو صديقي رغم كل شيء..
العامـــــــل : يا عمي موهوب، لا يصح أن تقول مثل هذا الكلام في بديع الزمان، هل نسيت أنه رجل عبقري؟
موهـــــــوب : هو عبقري؟ من يكون الحمار الذي قال عنه هذا؟
العامـــــــل : لقد سمعتهم يقولون إنه رجل خطير.. رجل ولدته امرأة، واحتضنه هذا الزمان ورباه وعلمه وسماه بديع الزمان..

موهـــــــــوب : هذا كلام ليس له معنى، ولعنة الله على من قاله، وعلى من روّجه، وعلى من صدقه حتى هو.. هل سمعت؟ (يخرج موهوب ليبقى العامل وحده)

العامـــــــــل : يا ويلي.. لقد أنساني هذا العجوز لماذا أنا هنا.. لقد جئت أبحث عن بديع الزمان، لأن السادة المؤلفين يطلبونه حياً أو ميتاً.. إنهم ينتظرون رأيه المحترم في كتاباتهم المحترمة.. (ينادي) يا سيدي بديع الزمان، أين أنت؟ كل العالم في انتظارك ..(يخرج وهو يردد) سيدي بديع الزمان، أين أنت؟

3 - اقرأ (ديوان الحشاشين)

(من وراء ستارة في الخلف، تخرج ضوء المكان، وهي في زي آخر.. تقف داخل بقعة ضوء)

ضوء المكـــان : تنتظرون أن أحييكم، أليس كذلك؟ (للجمهور) أن أقول لكم بكل احترام، صباح الخير أو مساء الخير أو زوال الخير أو أي كلام آخر فيه السعد والخير.. (بلهجة حازمة وصارمة) ولكنني لم أفعل، ولن أفعل ذلك يوماً.. (بكلام هامس) أه.. تريدون معرفة لماذا؟ اطمئنوا.. ستعرفون كل شيء.. (بغضب) قلت لكم من بعد ستعرفون، من بعد وليس الآن، ألا تسمعون؟ كل شيء لدي بأوان، نعم كل شيء، وهذا الأوان هو أوان القراءة فقط، والقراءة تحتاج إلى كتاب، والكتاب كتبه كاتب، والكاتب في أغلب الأحيان غائب، والمهم الآن هو المكتوب..آه، وهل يمكن أن يكون المكتوب إلا كلمات وكلمات تتبعها كلمات وكلمات وكلمات، (تخرج من معطفها حزمة أوراق وتتأملها.. يدخل بديع الزمان وهو يمسك أيضاً بأوراق كثيرة مبعثرة)

ضوء المكـــان : (من مكانها البعيد، ومن غير أن ينتبه بديع الزمان إلى وجودها)يا بديع الزمان، تقول لك ضوء المكان اقرأ ..

بديع الزمـــان : ماذا؟

ضوء المكـــان : قلت لك اقرأ .. اقرأ.. اقرأ ذلك الذي بين يديك ولا تلتفت خلفك.. حقق في الحروف وفي الكلمات والعبارات، وإلا أنزلت عليك اللعنات..

بديع الزمـــان : هذه الأوراق قرأتها كلها، من الألف حتى الهاء، ومن الهاء حتى الطاء، ومن..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان ، ما هكذا يكون الكلام.. لا تقل قرأت، بل قل حاولت..

بديع الزمـــان : نعم.. نعم.. أنا فقط حاولت.. حاولت وفعلت، وليس من السهل قراءة هذه الأوراق الملعونة..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان،تقول لك ضوء المكان إن هذه الأوراق لها اسم، تماماً كما لك اسم، ولأمك اسم، ولكل الناس أسماء، فما اسم هذه الأوراق التي بين يديك؟ ما اسمها؟

بديع الزمـــان : اسمها...اسمها ، كما هو مكتوب هنا (يقرأ) اسمها الديوان..

ضوء المكـــان : نعم، وما اسم هذا الديوان؟

بديع الزمـــان : اسمه «ديوان الحشاشين» (للجمهور) حاشاكم.. ها ها ..

ضوء المكـــان : لا تلتفت خلفك، ألا تسمع؟ لا تلتفت وإلا مسختك حجرة أو شجرة أو محبرة أو بقرة أو طنجرة..

بديع الزمـــان : ولكن، هذه كتابة لا تقرأ.. كتابة مبهمة وغريبة.. لقد كنت أظن، أنه لا أحد أغرب مني، حتى قرأت هذا الديوان الملعون..

ضوء المكـــان : أخطأت يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : أنا أخطأت؟

ضوء المكـــان : نعم، لأن ضوء المكان هي الأغرب دائماً.. الأغرب في كل مكان وزمان.. هكذا شاءت الطبيعة وقدر الرحمان..

بديع الزمـــان : (وهو يحاول أن يقرأ) هذه الكتابة تدعي أنها ديوان، ولكنني لا أصدق هذا، وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة لن أصدق.. هذا كلام يشبه الكلام، وهذه حقائق بحجم الأوهام، إن من خربش هذا الكلام لا يمكن أن يكون إلا رجلاً مجنوناً..

ضوء المكـــان : مرة أخرى أخطأت.. هكذا قالت ضوء المكان لبديع الزمان..

بديع الزمـــان : غير ممكن، فأنا لا يمكن أن أخطئ مرتين..

ضوء المكـــان : إن من كتب هذا الديوان المدهش ليس رجلاً، ولا ينبغي له أن يكون كذلك..

بديع الزمـــان : ليس رجلاً ؟ إذن فهو امرأة..

ضوء المكـــان : وليس امرأة كذلك..

بديع الزمـــان : لم أفهم.. لأول مرة في حياتك يا بديع الزمان لا تفهم..

ضوء المكـــان : إنه .. إنه رجل محترمة، أو محترم .. لست أدري.. لا تلتفت

خلفك، لأنك لن تراني، ولا أحد يمكن أن يراني إلا بإذني، هل سمعت»

بديع الزمـــان : آه.. ولماذا ألتفت؟ أنا مرتاح هكذا.. (وهو ينظر في أوراقه) أنا أقول إن هذا الكاتب هو كاتب فاشل، فما قولك أنت؟

ضوء المكـــان : بل الفاشل هو أنت .. (بغضب) نعم أنت.. ولكنك لا تعرف.. نعم، أنت لا تعرف يا بديع الزمان بأنك لا تعرف، وتلك هي مأساة الجاهلين والأميين والحشاشين وأنصاف المتعلمين..

بديع الزمـــان : لست أدري بأية لغة يكتب هذا الكاتب..

ضوء المكـــان : ضوء المكان ليس رجلاً، ألا تفهم؟

بديع الزمـــان : ليس هذا هو المهم.. المهم هو هذا الخط الغريب.. (وهو يقلب الأوراق) عجباً.. إنه يكتب الحاء كما يكتب الخاء..

ضوء المكـــان : لا.. غير ممكن.. هذه جناية.. (بسخرية)

بديع الزمـــان : يا إلهي، ويكتب الغين كما يكتب العين.. (يضحك)

ضوء المكـــان : هذا تخلف عقلي..

بديع الزمـــان : وأيضاً، هو يرسم التاء كما يرسم الثاء، ولا يفرق بينهما إلا في عدد النقط.. قبحه الله من كاتب أمي.. (يضحك)

ضوء المكـــان : ظننتني عمياء فإذا الأعمى هو أنت .. رغم النظارات السوداء والعصا البيضاء، فإنني أرى.. عجباً.. أرى أنا ولا ترى أنت.. (تنزع النظارات عن عينيها وتخبئها، وتطوي العصا ، وتلقي بها جانباً) يا بديع الزمان، تقول لك ضوء المكان، ما رأيك النهائي في هذا الديوان.. انتظر.. لا تقل شيئاً حتى تفكر.. فكر أولاً، وتكلم ثانياً..

بديع الزمـــان : لقد فكرت.. فكرت وانتهيت إلى أن هذه الأوراق ليس لها معنى، وليس لها قيمة..

ضوء المكـــان : هكذا إذاً؟

بديع الزمـــان : يا عباد الله، في كل ملك الله، ألا تفهمون؟ أنا ليس لدي الوقت لأقرأ كل شيء،خصوصاً خربشات المخربشين وتفاهات التافهين. إن وقتي ليس وقتي ليس ملكي أنا، وإنما هو ملك الإبداع..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان، تقول لك ضوء المكان إن صاحبة هذا الديوان

(مشيرة إلى نفسها) مازالت تنتظر خارج هذا المكان..

بديع الزمـــان : آه .. تنتظر.. إن الحق في الانتظار مكفول للجميع.. نعم، للجميع، خصوصاً للفاعلين والعاطلين ولمرتكبي أحلام اليقظة المذنبين..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان، إن صاحبة هذا الديوان تنتظر كلمة منك، فماذا تقول لها؟

بديع الزمـــان : قولوا لها.. لعنة الله عليها..

ضوء المكـــان : علي أنا؟

بديع الزمـــان : لا، بل عليها هي أو عليه هو.. لست أدري.. أعطوها أوراقها أو أوراقه واطردوهما .. خذوا.. هذا هو (ديوان الحشاشين) حاشاكم .. (يضحك)

ضوء المكـــان : هذا الرجل مصيبة، والجهل ابن الكلب دائماً وراء كل مصيبة..

بديع الزمـــان : إنني أعترف بأنني حقا حشاش .. حشاش محترم.. ولكنني أنزه نفسي عن قراءة مثل هذه السموم القاتلة.. انظروا .. هذا هو الديوان المسرحي المدنس.. (يرمي بالأوراق في السماء.. يخرج وهو يضحك)

ضوء المكـــان : (وحدها) مخرج جاهل وتافه ومغرور، وكل المخرجين مغرورون .. اذهب لا ردك الله.. إن أخطر الجاهلين هو من يجهل جهله، وأكبر الأميين هو من لا يعرف نفسه .. إنه لا يراني، ولكنني أنا أراه.. نعم، إنه أيضاً لا يعرفني، ولكنني أنا .. أنا أعرفه، وأعرفكم كذلك، وأعرف كل الناس.. إنني أعد الصابرين منكم بالمفاجآت، سأكشف لكم أسراراً عجيبة، فاصبروا وصابروا، ولا تستعجلوا الأدباء من أمثالنا.. اعلموا أن كل شيء بأوان. قلت كل شيء.. وهذا الأوان هو أوان الاشتغال، فانظروا معي.. انظروا كلكم كيف يشتغل هذا المخرج المجنون الذي يسمى خطأ بديع الزمان.. (تنزع معطفها الكبير، وتلقي به جانباً.. تختفي بقعة الضوء، فتختفي ببقعة الضوء أيضاً)

4 - ما أروع فني جل شأني ..

(يدخل بديع الزمان وهو يتأبط ملفاً ضخماً، وهو يمشي بسرعة عنيفة تتساقط الأوراق من الملف، يلتقطها موهوب ويعطيها لصاحبها الذي يضعها في الملف، لتسقط بعد ذلك)

بديع الزمـــان : (يلقي بالملف جانباً ويصفق بيديه) أنت.. تعال.. نعم أنت.. اصعد إلى فوق بسرعة.. لا .. ليس أنت أيها المغفل.. أنت.. أريد منك أن تنزل .. تنزل .. انزل إلى حفرة الملقن وابق هناك..

الممثـــــــــل : أبقى هناك؟ إلى متى يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : آه .. يسألني إلى متى.. (يحك رأسه) إلى متى يا بديع الزمان؟ إلى أن يأتي من يذكرني بك.. وأنت أيها التقني.. ماذا تنتظر؟

موهـــــــوب : والتقني هو أنا..

بديع الزمـــان : أعطني إضاءة أخرى.. أريد النهار، ألا تسمع؟

موهـــــــوب : يا بديع الزمان يهديك الله، كيف أعطيك النهار؟

بديع الزمـــان : كيف؟ قلت كيف؟ ها ها.. ذلك شغلك يا موهوب، فكر واجتهد ودبر أمرك، فالتقني هو أنت وليس أنا.. لقد طلبت النهار، من غير شمس، إذن اعطني النهار، وبسرعة، هل سمعت؟

موهـــــــوب : كيف أعطيك النهار.. أنا لست رب العالمين..

بديع الزمـــان : أنت لست أي شيء .. أنت تقني فاشل، فعد إلى مكانك.. عد تصحبك اللعنة الأبدية.. (يبقى موهوب واقفاً في مكانه)

بديع الزمـــان : (يخاطب أشخاصاً وهميين) وأنتم .. يا أيها المساعدون المقربون.. أكثروا لي من الطرابيش.. لا شيء أجمل من الطرابيش ومن الحشيش..

موهـــــــوب : مائة طربوش تكفي يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : ما.. مائة طربوش؟ أنت تسخر مني بلا شك؟

موهـــــــوب : أبداً .. أبداً يا سيدي المخرج المحنك.. وما رأيك في مائتين كبيرتين؟

بديع الزمـــان : قليل جداً هذا العدد.. قليل وصغير وحقير، وأنا مخرج كبير وخطير..

موهـــــــــوب : اسمع .. أزيد عشرين طربوشاً، وسيكون هذا آخر كلام عندي.. هيه.. ماذا تقول؟

بديع الزمـــان : ماذا أقول؟ أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله و .. (الله يربح)

موهـــــــــوب : اتفقنا إذاً؟ (يريد أن ينسحب)

بديع الزمـــان : تعال هنا.. أنا لم أكمل كلامي بعد .. لدي مطالب أخرى.. ملف مطلبي في حجم همي..

موهـــــــــوب : يا بديع الزمان.. قل كل ما لديك دفعة واحة، ودعني أنصرف..

بديع الزمـــان : وأريد أيضاً، يا حبيبي موهوب المحافظ، أن تكثر لي من اللحى الملونة .. اللحى السوداء لا أريدها.. هل فهمت؟ لأنها غير مسرحية ولا جمال فيها.. أريد لحى صفراء تليق بالبالغة الصفراء، وأريد لحى خضراء تليق بالعمامة الخضراء، وأريد لحى زرقاء تليق بالليالي الحمراء، وأريد لحى أخرى وردية وبنفسجية وعسلية وزبدية وقمحية .. (منتبهاً فجأة لشيء) يا ويلتاه.. ما هذا العجب الذي أراه؟

موهـــــــــوب : ماذا رأيت يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : هذا الشعر الذي في وجهك يا موهوب..

موهـــــــــوب : (وهو يتحسس لحيته) ماذا به؟

بديع الزمـــان : إنه شعر غير مسرحي، فمن يكون هذا الذي ركبه في وجهك؟ قل .. من هو؟

موهـــــــــوب : هي .. هي لحيتي يا بديع الزمان.. وحق الله هي لحيتي..

بديع الزمـــان : لحيته؟ ها ها.. هذا زعم باطل وكاذب، ولا يمكن أن أصدقه .. أتظن أنني لم أرَ لحية من قبل.. اذهب .. اذهب وغيرها..

موهـــــــــوب : قلت لك هي لحيتي، فكيف أغيرها؟

بديع الزمـــان : لدينا في المخزن أحسن منها. اذهب إلى هناك وفتش .. فتش عن لحيتك الحقيقية.. اذهب ..

موهـــــــوب : هذه لحيتي يا بديع الزمان، وقد ربيتها..

بديع الزمـــان : عجباً .. ربيت لحيتك؟

موهـــــــوب : أي نعم..

بديع الزمـــان : ونسيت أن تربي نفسك.. ها ها .. (يخرج موهوب)(وهو وحده) يا إلهي .. ما أروعني، وما أعظم علمي وفني.. أنا الواحد الأوحد، وأنا النجم الأبعد، وأنا السعيد والأسعد.. أنا العبقرية التي ليس لها حد.. سأصنع واقعاً سحرياً، وأعطي لهذا الوجود جمالاً إضافياً.. آه..صدق من سماك يا أنا بديع الزمان.. إن ما سأصنعه الآن، لم يأت به من قبل إنس ولا جان، ولا خطر على بال فنان كيفما كان وأينما كان..يا لالالالي أمان.. (يغني) يا لالالالي أمان .. (يدخل موهوب وهو في زي سجين)

موهـــــــوب : يا بديع الزمان .. هذا الزي المسرحي أكبر مني .. انظر..

بديع الزمـــان : آه .. فعلاً .. هو أكبر منك.. إذن جرب غيره يا موهوب..

موهـــــــوب : وكيف؟ ومن أين؟ نحن ليس لدينا إلا هذا..

بديع الزمـــان : الأمر سهل يا موهوب.. أسهل مما تظن.. جرب لبس القاضي مثلاً، وإذا كان على مقاسك، فكن أنت القاضي..

موهـــــــوب : ماذا قلت يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : ما قلته أنا، سمعته أنت.. سمعته جيداً أيها اللئيم، إذاً ابتعد عني .. ابتعد، وعد إلى عملك.. هيا.. (يريد أن يخرج موهوب فيمسك به) تعال هنا أيها التقني التعس..

موهـــــــوب : يا بديع الزمان ..أنا لست التقني..

بديع الزمـــان : بل أنت هو، وهو أنت.. لقد قلت كلمتي، ولا يمكن أن أسحبها أبداً .. اسمع.. أوقد لي ناراً حامية.. أوقدها حالاً حالاً ..

موهـــــــوب : أوقد النار. هنا يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : نعم.. هنا.. ألا تعرف أن هذه خشبة، وأنه لا شيء أحب إلى النار من الخشب؟

موهـــــــوب : تصور يا بديع الزمان أنني أوقدت النار.. انظر.. ها هي ذي ألسنة اللهب تتراقص أمام أعيننا، فماذا يمكن أن أفعل الآن؟

بديع الزمـــان : ماذا يمكن أن تفعل؟ الق بنفسك في النار.. وبسرعة يا موهوب.. بسرعة.. ألم تسمع قول من قال، إن من يحفر حفرة يسقط فيها، وإن من يوقد ناراً يحترق بها.. ها ها .. سيكون مشهد الاحتراق رائعاً وبديعاً.. ومضحكاً ومسلياً أيضاً.. (يغني) أتقلب على جمر النار .. على جمر النار..

موهـــــــــوب : يا ويل أمي.. أتريدني أن أحترق يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : لا تخف يا جبان، فأنت لن تحترق إلا مسرحياً، ونارك لن تكون إلا ناراً مسرحية، هي نار وليست ناراً..

موهـــــــــوب : إنك تدفع بي إلى الموت أيها المجرم..

بديع الزمـــان : لا تصرخ هكذا.. ألا تعرف أيها المغفل أن الممثلين لا يموتون؟

موهـــــــــوب : م ... م... ماذا؟

بديع الزمـــان : نعم، لا يموتون.. وإذا حدث وماتوا، فإنهم لا يموتون موتاً نهائياً.. إنهم يموتون في هذه المسرحية أو في تلك المسرحية، أما في المسرحيات الأخرى فأنت تجدهم أحياء.. نعم أحياء وعند المحاسب يرزقون.. هيا .. هيا .. أوقد النار والق نفسك فيها.. إنه لا شيء أجمل من النار وأنت فيها..

موهـــــــــوب : (يأتي بحركات إيمائية) انظر يا بديع الزمان .. لقد أوقدت النار.. نعم أشعلتها، ألا تراها؟

بديع الزمـــان : بلى .. بلى.. إنني أراها..

موهـــــــــوب : إنني أقف في وسط اللهب الأحمر.. أقف هكذا، تغمرني الفرحة الكبرى، وتلسعني المصائب الكبرى ..

بديع الزمـــان : إنني حقا أرى النار، ولكنني لا أراها بشكل جيد.. ربما كان هذا بسبب جود النهار وضوء النهار.. أنزل هذا الضوء يا موهوب.. أنزله بسرعة، ألا ترى أنه يصادر ضوء النار .. أريد الليل.. أعطني الليل..

موهـــــــــوب : أعطيك الليل؟

بديع الزمـــان : نعم.. وركب لي في هذا الليل قمراً مستطيلاً أو مربعاً أو مكعباً.. أريد قمراً أخضر .. وأريد أن تميل خضرته قليلاً إلى الصفرة والحمرة..

موهـــــــوب : يا ويل أمي.. لقد جن الرجل .. جن هذه المرة جنوناً رسمياً..

بديع الزمـــان : اعطني جواً شاعرياً يا موهوب..

موهـــــــوب : أعطيك؟ العاطي هو الله وحده..

بديع الزمـــان : أريد جواً هادئاً ومطمئناً وشفافاً.. إن من حق الأعصاب المتعبة في هذا الزمن المتعب أن ترتاح.. ومن حق القلوب المدمرة أن تنعم بالأفراح وبالليالي الملاح.. هيئ لي يا موهوب فضاء آخر، وأعطني إنسانا غير هذا.. مع هؤلاء الناس السيئين لا يمكن أن أفعل شيئاً جيداً.. تطلبون مني إبداعاً عظيماً.. ولكن بمن؟ بمن؟ بهذا الموهوب الذي ليس موهوباً (مشيراً إلى موهوب)

موهـــــــوب : لا .. هذا كثير.. كثيراً جداً.. ينبغي أن أفعل شيئاً، وأخبر السيد المدير .. موهوب الآخر ينبغي أن يعرف.. يعرف كل شيء، وإلا خسرت أنا كل شيء.. (يخرج)

بديع الزمـــان : يا أيها المحتفلون .. هنا والآن وفي كل مكان وزمان، كيف تنامون في خوف، وترقصون بلا أفراح؟ كيف تسعدون بلا سعادة، وتموتون بلا شهادة، وتطربون بلا أنغام ولا ألحان شجية؟ كيف؟ افرحوا أولاً.. فرحاً حقيقياً وليس مزيفاً، ثم احتفلوا بعد ذلك.. الفرح أولاً.. الفرح أولاً .. الفرح أولاً .. (ظلام تام.. تسمع قهقهة ضوء المكان في الظلام)

5 - حان أوان الخروج ..

(بعد عودة الإضاءة، يكون بديع الزمان قد اختفى من المسرح.. وحدها ضوء المكان تقف في أعلى مكان وفي أقصى مكان، وهي تضحك.. تظهر هذه المرة وهي ترتدي زياً آخر..تمسك بيدها محفظة جلدية كبيرة جداً)

ضوء المكـــــان : إنني أضحك.. نعم أضحك.. ولأول مرة أضحك، ولا أظنني بعد الآن يمكن أن أضحك.. إنني أضحك على حمق هذا الزمان.. عفواً.. إنني أضحك على بديع الزمان.. إنه.. (تضحك) لن أقول إنه مجنون، لأن الجنون أكبر منه وأشرف منه وأنبل منه.. الجنون الحق منحة ربانية، إنه .. لا .. لن أقول شيئاً.. من بعد؟؟ قلت من بعد.. ألا تسمعون؟ أما الآن فلا ولا وألف لا وكلا .. كل شيء لدي بأوان وهذا الأوان هو أوان الخروج.. نعم، قلت الخروج.. خروج الروح من الجسد، وخروج الجسد من الباب، ولكن.. أين هو الباب؟ إنني لا أراه، فأين هو؟ أريد أن أخرج .. المسرح هو هذا، واحد يدخل وآخر يخرج ، واحد يحضر والثاني يغيب.. هذا الفضاء محدود.. محدود وضيق ولا يمكن أن يسع الجميع.. سأخرج الآن.. ولكنني حتماً سوف أعود.. إنني دائماً موجودة، فلا تنسوا هذا.. لا تنسوه.. لأن قمة المأساة أو الملهاة تكمن في النسيان دائماً.. نسيان ضوء المكان التي لا يخلو منها مكان.. إذا حضرت أو غبت فإنني موجودة، وإذا ظهرت أو اختفيت فإنني موجودة أيضاً.. موجودة وفي يدي حقيبتي.. وفي حقيبتي تسكن أوراقي، وفي أوراقي تختبئ كلماتي، وفي كلماتي تعيش أسراري.. أسراري التي تقف خلف الباب وخلف الحجاب ولكن.. أين الباب؟ ها هو الباب قد جاء إليكم، فادخلوه.. ادخلوه

(تخرج من جهة ليدخل العامل من الجهة الأخرى، وهو يدفع باباً متحركاً.. يدخل موهوب خلفه وهو في زي ودور مدير المسرح .. يدخل بعدهما بديع الزمان وهو يجري)

بديع الزمـــان : إيه.. ماذا تفعل أنت؟

موهــــــــوب : إنه يدفع الباب.. ألا ترى ذلك؟ الباب الخلفي للمسرح..

بديع الزمـــان : آه .. الباب.. أنا ظننته يدفع .. الباب.. (يقول الكلمة الثانية بشكل مختلف) ولماذا الباب يا موهوب؟

موهــــــــوب : لماذا؟ سؤال غريب..

بديع الزمـــان : قصدت أن أقول.. ماذا تريد أن تفعل بهذا الباب؟

موهــــــــوب : سبحان الله، ألا تعرف ماذا يفعل الناس بالأبواب يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : آه.. أخيراً عرفت .. والصحيح أن أقول.. أظن أنني عرفت.. نعم، أظن..

موهــــــــوب : والحمد لله أنك عرفت.. أو ..

بديع الزمـــان : لقد أوجد الناس الأبواب حتى يشتغل النجارون..

موهــــــــوب : خطأ..

بديع الزمـــان : أو .. حتى يدخل ويخرج منها السارقون..

موهــــــــوب : لا. أنت تدعي الغباء يا حشاش..

بديع الزمـــان : آه فهمت.. أخيراً فهمت..

موهــــــــوب : ماذا فهمت يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : لقد أحضرت أنت هذا الباب، حتى يقف عنده البوابون.. نعم .. نعم، إنه لا يعقل وجود بواب بلا باب.. أليس كذلك يا موهوب.. المحبوب؟

موهــــــــوب : أنت أحمق.. أنت مجنون.. أنت مصيبة.. أنت كارثة.. أنت لا تعرف شيئاً.. أو لا تريد أن تعرف شيئاً..

بديع الزمـــان : والله يا سيدي موهوب.. المحبوب، لست أدري ماذا أقول لك..

موهــــــــوب : لا تقل شيئاً.. رجاء لا تقل شيئاً..

بديع الزمـــان : مهما يكن علمي كبيراً وخطيراً، فإنه لا يمكن أن يكون أكبر من علمك، فأنت هنا السيد والمولى..

موهــــــــوب : آه.. الحمد لله أنك مازلت تعرف من أنا..

بديع الزمـــان : أنت المدير.. المدير الكبير الذي يسير هذا الـ.. مرة أخرى نسيت..

موهـــــــوب : وأنت.. هل تذكر من أنت؟

بديع الزمـــان : شيء طبيعي أنني أتذكر من أنا.. أنا يا سيدي واحد من خدامك الأوفياء والتعساء..

موهـــــــوب : إذن اسمع.. اسمع جيداً يا بديع الزمان والعصر والأوان.. لقد أحضرت هذا الباب لأطردك.. أنت تعرف.. أنه بغير باب لا معنى للطرد.. أليس كذلك يا عبقري؟

بديع الزمـــان : تطردني؟ ولكن.. لماذا؟ وماذا فعلت؟ وماذا جنيت؟

موهـــــــوب : لا شيء.. أنت لم تفعل شيئاً..

بديع الزمـــان : لم أفهم يا سيدي المدير..

موهـــــــوب : أنت لم تفعل شيئاً، ولهذا فإنني أطردك، هل فهمت الآن يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : الله أكبر.. إذن فأنا بريء .. بريء يا سيدي، وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة.. أنا ..الآن يحق لي أن أفرح ، فقد ظهر الحق، وزهق الباطل.. تعال أقبل رأسك يا .. موهوب المحبوب.. تعال..

موهـــــــوب : ابتعد عني، ولا تقبل رأسي..

بديع الزمـــان : لا أقبل رأسك؟ هل تريد أن أقبلك من فمك؟ إذن تعال يا ..

موهـــــــوب : ابتعد عني.. أنا في حاجة لمن يعمل، ألا تفهم؟

بديع الزمـــان : حتى التقبيل عمل يا سيدي موهوب.. عمل جميل ونبيل..

موهـــــــوب : اخرج من هذا الباب يا بديع الزمان.. اخرج..

بديع الزمـــان : أخرج؟ لا أقدر يا سيدي..

موهـــــــوب : اخرج من مسرحي وعالمي وكوني.. اخرج ولا تعد إلي مرة أخرى.. اخرج أيها الحشاش الغشاش.. لقد غضبت عليك وعلى ذريتك من بعدك.. اخرج فقد حقت عليك لعنتي الأبدية.. إنه لا مكان للحشاشين في هذه الدنيا.. هل سمعت؟

بديع الزمـــان : في هذه الدنيا ؟ أية دنيا يا سيدي المدير؟

موهـــــــوب : دنيا المسرح يا حشاش/ ومسرح الدنيا.. مسرحي أنا.. اسمع يا بديع الزمان.. يحق لك أن تنسى كل شيء.. نعم كل شيء، إلا شيئاً واحداً، وهو أنني رب هذا المسرح..

بديع الزمـــان : سبحانك سبحانك، ما أعظم مسرحك يا مولانا الذي في الأرض.. في الأرض وليس في السماء..

موهـــــــوب : الزيارة انتهت، يمكنك أن تعود إلى بيتك.. تفضل.. رافقتك السلامة..

بديع الزمـــان : سيدي.. قبل أن أعود إلى بيتي، وتعود أنت إلى برجك، أريد أن أقول كلمتين، فهل تسمح ؟

موهـــــــوب : يمكنك أن تقول ثلاث كلمات..

بديع الزمـــان : شكراً يا مولانا موهوب على هذا الكرم..

موهـــــــوب : أو قل أربع كلمات.. قل كل ما لديك.. قله وانصرف إلى غير رجعة..

بديع الزمـــان : ما هذا؟ إنني أراك.. ماذا أقول يا ربي؟ كأنك غاضب يا مولانا موهوب..

موهـــــــوب : كأنني غاضب.. نعم، كان هذا أول، فماذا عن الباقي، تكلم وارحمني..

بديع الزمـــان : ثانياً.. أظنني قد فهمت شيئاً من الأشياء..

موهـــــــوب : ماذا فهمت؟

بديع الزمـــان : آ .. فهمت لماذا أحضرت الباب يا خبيث..

موهـــــــوب : أخيراً جاء الفرج..

بديع الزمـــان : تريد أن تطردني من مسرحك، أليس كذلك يا ولد الحرام؟

موهـــــــوب : تماما.. أريد أن أطردك..

بديع الزمـــان : ولكن مثل هذا الفعل لا يليق بك.. إنه فعل الجبناء التافهين وأنت لست منهم، أنت من الجبناء غير التافهين، ألا تعرف هذا؟

موهـــــــوب : ماذا؟ أتشتمني في حضوري أيها الملعون؟

بديع الزمـــان : يا موهوب المحبوب، أنت رجل محترم.. نعم، محترم لولا أنك غير محترم، ثم إنك رجل خطير رغم أنك حقير.. أنت المدير هنا، ولو لم تكن أنت المدير لكنت أنا أو كان أي أحد غيرنا.. وكل مسرح يا سيدي لابد له من مخرج، والمخرج هو أنا.. ولأنني المخرج، فإنه لا يعقل أن أخرج.. اخرج أنت إذا

شئت، أما أنا فلا ولا وألف لا وكلا..

موهـــــــــوب : أرجوك..أتوسل إليك.. ابتعد عني.. اخرج من هذا المسرح.. اخرج منه قبل أن (تخرج) علي عليه وعليه..

بديع الزمـــان : ولكن.. لماذا؟ من حقي أن أعرف..لماذا أخرج وأنا بريء .. بريء مثل براءة الذهب من دم بني كلبون..

موهـــــــــوب : لقد أكلت منها أيها المذنب العاصي..

بديع الزمـــان : أكلت منها؟ آ.. تقصد التفاحة المحرمة؟ ليكن في علمك يا سيدي أنني لست الجد آدم..(يضحك)

موهـــــــــوب : أنا أقصد العشبة الممنوعة والمحرمة، والتي من بين أسمائها الحشيش.. أنت حقاً فنان مبدع، ولكنك فنان غير منضبط، وتنقصك روح المسؤولية، وتلك هي المشكلة.. ألف مرة أنذرتك وحذرتك، ولكنك لا تسمع، أو لا تريد أن تسمع.. إنني لا أفهم..

بديع الزمـــان : حتى أنا لا أفهم..

موهـــــــــوب : لماذا تتناول الحشيش يا بديع الزمان؟ لماذا؟ هل أنت دابة من الدواب؟ هل أنت بهيمة من البهائم؟

بديع الزمـــان : أنا دابة بشرية وبهيمة آدمية .. ها ها..

موهـــــــــوب : (يكلم العامل الذي في الكواليس) تعال أنت .. نعم أنت .. (يدخل العامل) ادفع هذا الباب وعد به إلى مكانه.. هذا المشهد انتهى.. نعم انتهى ولم يبق سوى أن أقول وداعاً..

بديع الزمـــان : (يمسك بثيابه) لا لا .. بالله لا تقلها.. لا تقل وداعاً أرجوك.. أتوسل إليك.. ارحمني وارحم ضعفي، وارحم دموعي ودموع امرأة أرملة..

موهـــــــــوب : ماذا يقول هذا المخلوق الحشاش؟

بديع الزمـــان : يا موهوب.. المحبوب رغم كل شيء ألا تعرف أعزك الله بأنني من عائلة تعسة ومنكوبة؟

موهـــــــــوب : أنت؟

بديع الزمـــان : ألم أقل لك؟ أبي مات..

موهـــــــــوب : أعرف.. أبوك مات وأنت ستلحق به قريباً..

بديع الزمـــان : وأمي الآن يتيمة، وأنا أصبحت أرمل.. أرمل ويتيم.. وأختي

يتيمة وأخي يتيم وعمي يتيم وحتى جارنا عبد الجبار يتيم، نحن كلنا في العائلة يتامى ومساكين.. (يبكي بتصنع .. يخرج موهوب ويبقى بديع الزمان وحده) يا ويلتاه .. أين أذهب، وليس لي بيت غير هذا البيت؟ أين أذهب؟ أين أذهب؟

(يخرج . ظلام)

6 - ذكرني باللّه عليك من أنت ومن أنا..

(يدخل عمال المسرح لسحب عناصر المشهد السابق.. تقف ضوء المكان وسط الحركة من غير أن ينتبه إليها أحد من العمال، وكأنه لا أحد يراها، أو لا أحد يريد أن يراها.. بعد لحظات يصبح المسرح فارغاً تماماً)

ضوء المكـــان : (وهي تتأمل الفضاء الفارغ) لقد تغير المكان.. نعم.. حتى هذا المسرح تغير.. إنه مسرح آخر.. مسرح غير ذلك المسرح.. إنه بناية أخرى، وفضاء آخر، وجنون آخر و.. موهوب آخر.. آه من هذا الموهوب.. إنه مثلي، لا يمكن أن يخلو منه مكان أو زمان (يرن جرس المسرح إيذاناً بقرب بداية المسرحية) هس.. المسرحية ستبدأ بعد حين.. (في أحد زوايا المسرح تسقط بقعة ضوء على رجلين) هذا هو سيف الرحمن الممثل.. (مشيرة إلى أحد الرجلين)

سيف الرحمن : ماذا قلت يا.. لم أسمعك جيداً (وهو في زي مسرحي ينتمي لحقبة تاريخية قديمة)

عريـــــــس : أنا؟ أنا لم أقل شيئاً..

سيف الرحمن : عجباً.. كأنني سمعتك تقول، هذا هو.. أو هو هذا.. لست أدري..

عريـــــــس : لا.. يخيل إليك فقط.. هكذا هم الممثلون دائماً، يتوهمون كل شيء، خصوصاً في اللحظات الحاسمة مثل هذه..

سيف الرحمن : (في الجانب الآخر) أما هذا الرجل، فهو مدير الخشبة، واسمه عريس..

عريـــــــس : كان من المفروض أن تسمى أنت العريس.. نعم أنت وليس أنا، فهذا الحفل البهيج هو أساساً عرس الممثل .. عرسك أنت.. إذاً، ماذا تنتظر أيها البطل المغوار؟ المسرح هو هذا، فادخل عوالمه المضاءة بالأنوار..

سيف الرحمن : أدخل؟ وماذا أقول لكل هؤلاء لناس؟ لقد ضيعت كل شيء..

عريـــــــس : غير ممكن.. أنت تمزح بلا شك..

سيف الرحمن : أبداً.. وحق الله لقد ضيعت روحي وجسدي، وهربت مني كل

الحروف والكلمات وهجرتني كل العبارات وكل الحوارات.. أين أنت يا..؟ حتى اسمك ضيعته.. أسعفني يا حامل الكتاب.. بحق السماء أسعفني..

عريـــــــس : ماذا تريد يا سيف الرحمن؟ (وهو يحمل كتاباً كبيراً بين يديه)

سيف الرحمن : ذكرني.. بالله عليك، من أنت، ومن أنا، وأين أنت وأين أنا؟ ومن يكون كل هؤلاء الناس؟ قل لي أيضاً، ماذا سأفعل، وماذا سأقول؟

عريـــــــس : اسمع.. أنت في الأصل اسمك سيف الرحمن..

سيف الرحمن : هذا شيء أعرفه.. فهات غيره..

عريـــــــس : جمل إذاً.. جميل جداً.. أما اسمك في هذه المسرحية فهو .. انتظر.. (يفتح الكتاب ويقرأ) آه.. اسمك خيبان..

سيف الرحمن : (يضحك) والله صدقت.. أنا لا يمكن أن أكون إلا خيبان، وخيبان العظيم لا يمكن أن يكون إلا أنا.. يا إلهي.. كيف لم أنتبه لهذه الحقيقة، مع أنها واضحة وضوح خيبتي الأبدية..

عريـــــــس : يا سيف الرحمن.. الآن لا تقل شيئاً.. يكفيك أن تفتح أذنيك.. وأن تسمع جيداً ما أقول.. هل فهمت؟

سيف الرحمن : أقول فهمت، والله أعلم..

عريـــــــس : أنت الآن عائد من بلاد بعيدة.. إيه.. ماذا تنتظر؟ افتح قلبك وذراعيك لأهلك وصحبك في وطنك.. هكذا.. (يفتح ذراعيه)

سيف الرحمن : (يعانقه) هكذا؟

عريـــــــس : لا .. لا تلمسني أنا، فأنا لست من أهلك، ولا من عالمك المسرحي.. إن أهلك هم الذين هناك.. على الخشبة وتحت الأضواء، هل فهمت؟

سيف الرحمن : لم يبق إلا القليل جداً وأفهم..

عريـــــــس : لقد عدت اللحظة من بلاد الغربة.. عدت بعد سنوات طويلة من الغياب.. من حقك أن تمتلئ يا خيبان أن تمتلئ شوقاً وحنيناً، وأن يفرح قلبك باللقاء، وأن تدمع عيناك..

سيف الرحمن : يا إلهي.. سيكون الموقف مؤثراً بلا شك، خصوصاً وأنا أرتمي في حضن أمي وأبكي بكاء مراً.. أبكي أنا وتبكي هي، وتبكي معنا السماء، وتبكي الرياح، ويبكي كل الناس في المسرح..

عريـــــــس : يا خيبان.. أنت لم تعد لك أم .. أمك ماتت قبل أن ترحل إلى بلاد الغربة..

سيف الرحمن : ماتت؟ كيف ماتت؟ ولماذا ماتت؟ أريد أن أعرف، ثم أيضاً، من الذي أماتها؟ وبأي حق؟

عريـــــــس : ماذا أقول لك؟ تلك إرادة المؤلف يا خيبان، ولا إله إلا الله..

سيف الرحمن : المجرم.. قتلها المجرم.. قتل أمي .. لقد سماني خيبان، وغربني عن الأهل والأوطان، وحرمني من الدفء والحنان.. (يبكي) يا ويح عمري.. أنا الغريب اليتيم.. أنا اللعين الرجيم.. أنا الجريح السقيم.. إنني أحتج.. أحتج يا عريس، ألا تسمع؟

عريـــــــس : لقد سمعت.. سمعت، فلماذا تصرخ؟

سيف الرحمن : أنا وحدي الذي أعرف، لماذا أصرخ.. أصرخ وأبكي وأندب حظي التعس.. اسمع أنت يا..

عريـــــــس : عريس .. اسمي عريس..

سيف الرحمن : اسمع يا عريس، أبلغ مؤلفك الفاشل بأنني أحتج عليه..

عريـــــــس : تحتج عليه؟ ماذا أقول لك يا.. خيبان أو يا سيف الرحمن؟ والله لقد احترت كيف أسميك وأناديك..

سيف الرحمن : إنني أحتج عليه، وأحتج على كل المؤلفين السفاكين.. إنهم كلهم عصبة مجرمين وعصبة مجانين.. إنهم يوزعون العاهات العاهات بالمجان، ويزرعون بذور الموت في كل مكان.. الموت الموت لكل المؤلفين..

عريـــــــس : يا ويلي.. ماذا شرب هذا الرجل؟

سيف الرحمن : أنا لم أشرب شيئاً.. ولكنني أكلت.. أكلت والحمد لله حتى امتلأ رأسي.. ها ها..

عريـــــــس : يا .. يا هذا الرجل.. (وهو يقلب أوراق الكتاب) من أين أتيت بهذا الكلام؟ إنه غير موجود هنا..

سيف الرحمن : آه .. من أين؟ أتيت به من هنا.. (مشيراً إلى صدره) من

قلبي، ولا شيء أصدق من قلبي إلا .. قلبي.. الق كتابك يا عريس .الق به في النار، واقترب مني.. اقترب لتسمع أحلى الكلام وأبهى الكلام..

عريـــــــس : يا خيبان.. انظر.. لقد فتحت الستارة.. استعد للدخول.. استعد..

سيف الرحمن : (محتجاً) خيبان؟ أنا اسمي سيف الرحمن..

عريـــــــس : أعرف.. أعرف.. أنت اسمك سيف الرحمن ولكن .. ليس هنا، وليس الآن.. هل فهمت؟

سيف الرحمن : نعم فهمت.. وكل المتاعب لا تأتيني إلا لأنني فهمت.. ليتني يا ربي ما عرفت شيئاً، ولا فهمت شيئاً، وكنت في هذا الوجود نسياً منسياً..

عريـــــــس : إذن ادخل.. ادخل يا سيف الرحمن.. الجمهور ينتظر..

سيف الرحمن : نعم .. سأدخل، ولكن.. ألا ترى معي يا أخي عريس، بأنه ينبغي الإعلان عن هذا الدخول أولاً؟ الإعلان عنه مثلاً بموسيقى تقديمية، أو بدقات الطبول، فنسمع .. طررررر .. ثم أدخل أنا. أدخل دخول النجوم الكبار تحت عاصفة من التصفيق والزغاريد والهتاف..

عريـــــــس : يا سيف الرحمن أو يا خيبان.. ادخل أنت، ولا تهتم بشغل غيرك.. ادخل ..

سيف الرحمن : أبداً.. أبداً لن أدخل .. الضوء أولاً.. المسرح مظلم يا عريس وهو في حاجة إلى الكثير من الضوء، وإذا دخلت هكذا، فلن يراني أحد.. إنني أعرف أنه لا معنى للمعجزات إن كان لا يراها أحد.. أعطوني الضوء حتى أرى الناس ويراني الناس..

عريـــــــس : ادخل..(يدفعه بحركة قوية ثم يختفي..)

7 - الخروج من الغربة إلى الغربة..

(يضاء المسرح كله.. تصفيق جمهور وهمي يصاحبه عزف موسيقا)

سيف الرحمن : (وهو يحيي جمهوره الوهمي.. يهمس لنفسه) وبعد التحية والسلام على خير الأنام، لابد أن أقول شيئاً.. آه.. إنني أراهم ينظرون إلي.. ينتظرون أن أقول كلاماً، وأن أفعل شيئاً.. المهم الآن هو رأس الخيط.. هو البداية، ولا شيء صعب في مهنتنا إلا البداية.. يا ذاكرتي.. باللّه أسعفيني.. (في فرح) حمداً وشكراً لك يا اللّه.. أخيراً تذكرت.. (يمثل) اللّه اللّه .. ما أجمل العودة إلى الوطن.. سنوات القهر في الغربة قتلتني ودمرتني تدميراً.. انظروا إلي.. هل فيكم من يعرفني؟ لقد تغيرت كثيراً بلا شك.. كنت إنساناً وأصبحت شبحاً.. كان اسمي سيف الرحمن وأصبحت ظلاً من ظلال الشيطان.. يا لغرابة الدنيا ولعبة الزمان.. (ينتبه فجأة لما يقول) ويلي.. ما هذا الذي أقول؟ أظنه حواراً من مسرحية أخرى، أو من فيلم هندي.. يا رب العالمين.. أأكون عارفاً باللغة الهندية وأنا لا أدري؟ ثم أيضاً.. أين أنا؟ ومن أنا؟ وماذا أفعل هنا؟ ومن أنتم الذين تنظرون إلينا؟ وحق اللّه، أنا ما أتيت بمحض إرادتي، ولو خيروني ما كنت جئت.. ذلك الملعون دفعني دفعاً، وأدخلني إلى هذه البلاد الغريبة.. (ينادي بأعلى صوته) يا صاحب الكتاب.. دلني على الباب.. أريد أن أهرب.. (يلتفت خلفه وكأنه يبحث عن شيء) يظهر أنني ضيعت شيئاً.. يدي اليمنى كان بها شيء مصنوع من شيء وبداخله أشياء.. (يلقون إليه من الكواليس بصرة) وجدتها.. وجدتها، أو هي التي وجدتني.. لست أدري.. الرزق الحلال لا يمكن أن يضيع أبداً.. أليس كذلك يا أولاد الحلال؟

عريــــــــس : (يخرج رأسه من حفرة الملقن) عد إلى النص.. عد إلى المسرحية.. المفروض أن تدخل الآن بيتك..

سيف الرحمن : تماماً.. أنا أيضاً اشتقت إلى بيتي وإلى أولادي..

عريـــــس : يا خيبان.. أنت ليس لديك أولاد..

سيف الرحمن : غير ممكن..

عريـــــس : لقد ماتوا كلهم في حادثة سير، ألا تذكر؟

سيف الرحمن : يا ويلي.. أيكون معنى هذا أنني لن أرى إلا أمهم؟

عريـــــس : حتى أمهم ماتت..

سيف الرحمن : الله أكبر..إذاً مادام الأمر هكذا، فهذه ليست مسرحية.. إنها فيلم هندي طويل وممل..

عريـــــس : (يقرأ في الكتاب) إنها فيلم هندي.. هذا الكلام غير موجود في النص يا خيبان..

سيف الرحمن : يا إلهي.. ما أتعس هؤلاء المؤلفين..

عريـــــس : ادخل بيتك يا خيبان .. ادخل بسرعة..

سيف الرحمن : حقاً.. ينبغي أن أدخل إلى بيتي، ولكن.. أين هو بيتي؟ (يطل على عريس في حفرته) أنا لا أرى بيوتاً في هذا المكان .. يا صاحب الحفرة العميقة جداً، قل لهم أن يعطوني بيتي.. (يدخل أحد العمال وهو يدفع باباً متحركاً) آه .. أخيراً أرى شيئاً يأتي إلي.. وحق الله، إنه شيء في صورة باب.. أهلاً وسهلاً وشرفت..(لمن في الحفرة) لا .. ليس لك أقول أهلاً وسهلاً.. أقولها لبابي الذي جاء من غير بيتي.. يا سبحان الله.. جاء وحده.. قديماً لم تكن البيوت تمشي وتجري.. حقا لقد تغيرت الدنيا، وما هكذا تركت البلاد عندما رحلت عنها.. (يتأمل الباب) هذا باب غريب.. إنه مركب في الفراغ.. أقسم بأنني لم أرَ بابا مثله من قبل..

عريـــــس : (يطل من الحفرة) هو باب بيتك يا خيبان..

سيف الرحمن : أبداً.. باب بيتي أشرف من هذا الباب وأنبل من كل الأبواب.. يا صاحب الحفرة.. لآخر مرة أقول لك.. اعطني بيتي الحقيقي.. بيتي الذي سكنته زمناً طويلاً، وسكن هو روحي إلى الأبد..

(يدفع العامل الباب المتحرك و يخرج.. يدخل عامل آخر وهو يدفع باباً آخر)

عريـــــــــس : (من حفرته) ادخل يا خيبان.. فهذا هو بيتك الحقيقي..

سيف الرحمن : هذا بيتي؟ ها ها.. وكيف عرفته وأنت مدفون في هذا القبر؟ ها ..ها..

عريـــــــــس : كيف عرفت؟ كل شيء في النص.. وهو مكتوب لدي بأنه بيتك.. ادخله يا خيبان.. ادخل قبل أن تدمر هذه المسرحية..

سيف الرحمن : نعم..سأتوكل على الله وأدخل.. إن المرحومة أمي.. أمي التي قتلها المؤلف.. كانت تقول لي دائماً.. يا سيف الرحمن.. (لمن في الحفرة) عفواً.. نسيت.. يا خيبان.. هذا هو اسمي في هذه المسرحية الملعونة.. كانت تقول،الأسبقية دائماً لليد اليمنى وللقدم اليمنى.. باسم الله.. يدخل.. ثم يتمدد بفرح على أرضية المسرح.. موسيقا حزينة) يا ويل أمي.. ليس في هذا البيت شيء.. نعم لا شيء.. وحتى البيت لا وجود له.. لقد دخلت فضاء فارغاً ومرعباً ولم أجدني فيه..

عريـــــــــس : (يخرج رأسه من الحفرة) هو بيتك يا خيبان، فادخله من جديد.. ادخل..

سيف الرحمن : هو بيتي؟ وكيف؟ كيف يكون بيتي يا سفيه وأنا لست فيه؟ كيف؟

عريـــــــــس : يا ملائكة الرحمن.. لقد بدأ الممثل يمثل في المثيل، وتلك هي الطامة الكبرى..

سيف الرحمن : واحر قلباه من زي المزيفين ومن خداع المؤلفين والمخرجين.. لقد قالوا لي ارحل بعيداً بعيداً ثم عد إلى بيتك وأهلك.. لقد أرجعوني من الغربة التي هناك إلى الغربة التي هنا، فما الفرق بين غربة وغربة، وبين منفى ومنفى؟ لقد طلبوا مني هناك.. في الكواليس أن أعود، فقلت أهلاً وسهلاً.. حرضوني على الشوق والحنين، فامتلأت شوقاً وحنيناً وعدت.. عدت إلى الوطن، وما وجدت الوطن، وعدت إلى البيت وما وجدت البيت، وعدت إلى الأهل وما وجدت الأهل، فلماذا إذن عدت؟ لماذا؟ تكلم يا صاحب الحفرة.. قل شيئاً.. أجبني.. كل هذا الشوق، وكل هذا الحب لمن؟ لمن؟

عريـــــــــس : ماذا يقول هذا المجنون الحشاش؟ إنه يمثل مسرحية أخرى..

سيف الرحمن : وقالوا لي في الكواليس دائماً خذ هذه الصرة، وخبئ بها ،بداخلها الهدايا.. وفعلت.. (يفتح الصرة، ويخرج ما بداخلها، ويلقي به في السماء) وكل هذه الهدايا يا صاحب الحفرة لمن؟ لمن؟ يا أيها المؤلف.. المؤلف الذي في الأرض وليس في السماء.. ما الحكمة في عودة ليس لها معنى؟ لقد حرمتني الزوجة والبيت والأولاد، فلمن أعود؟ لمن؟ ما أنا إلا حبة رمل ضائعة بين الرمال.. لم يبق لي سوى أن أضع هذه الصرة تحت رأسي وأن أستسلم لنومة عميقة وطويلة جداً.. من حق هذا المحارب القديم أن يستريح .. يستريح قليلاً أو كثيراً.. أريد الظلام .. شيئاً من الظلام .. يا صاحب الحفرة.. قل لهم أن يعطوني حقي من الظلام.. الظلام.. الظلام..

(تظلم الخشبة كلياً)

8 - الخروج الآخر في المكان الآخر..

(ضوء المكان.. وحدها، وهي تتأمل رد فعل الجمهور الوهمي.. صياح وصراخ وصفير وأشياء تلقى على المسرح من الكواليس)

ضوء المكـــان : يا إلهي.. ما أجمل هذه التحية.. (وهي تلتقط الورود من هنا ومن هناك) إنه لا شيء أبلغ من تحية الورود.. آه.. وهذه تحية أخرى.. (تسقط أحذية بالية) تحية الأحذية هذه المرة..إنني أظن نعم قلت أظن بأنه ليس هناك أقسى ولا أفظع ولا أبشع من التحية بالأحذية، خصوصاً إذا كانت هذه الأحذية أحذية عسكرية ثقيلة.. (تسقط على المسرح أشياء مختلفة.. بعد لحظات يهدأ كل شيء)هذا جزاء الظالمين الذين يخرجون عن النص، ولا يحترمون حدود النص.. المكتوب، المكتوب.. ومن لا يؤمن بالمكتوب بأنه لا يمكن أن يجني إلا المعاصي والذنوب .. تلك هي اللعبة، وتلك حدودها، ومن يتعداها فقد ظلم نفسه..(تدخل وسط المسرح ترافقها هالة ضوء متحركة.. يستقبلها الجمهور الوهمي بالهتاف والتصفيق) ما هذا؟ لأول مرة أرى من يصفق لي.. يظهر أنهم لا يعرفون من أكون.. ولو أنهم عرفوا ما صفقوا ولا هللوا.. (منتبهة للضوء الذي يتبعها) إيه.. ما هذا الوسخ اللامع؟ أيكون هو ذلك الشيء الذي يسمونه الضوء؟ نعم.. هو الضوء.. إنه يلاحقني.. (تضربه بقدميها) إليك عني .. ابتعد عني.. ابتعد قلت لك.. خذوا عني هذا الضوء الملعون.. خذوه وانصرفوا، فلست في حاجة إليه.. تكفيني ظلمتي الجحيمية وأضوائي السوداء.. خذوه.. ألا تسمعون؟ قد يكون الضوء محبوباً لديكم، أو لديهم، أما بالنسبة لي، فإن الأمر يختلف.. إنه لا شيء أبهى ولا شيء أحلى من العتمة، ورغم أن أسمي ضوء المكان، فإنني لا أعشق إلا الظلمة..إياكم أن يخدعكم هذا الضوء، فأنا لست مغنية ولا ممثلة ولا ساحرة ولا مقدمة سهرات.. نعم؟

مرة أخرى تسألون من أكون؟ فيما بعد.. قلت فيما بعد.. ألا تسمعون؟كل شيء بأوان.. نعم بأوان، وهذا أوان الخروج .. الخروج الثاني هذه المرة.. خروج سيف الرحمن ..

(تخرج ضوء المكان بعد أن تسمع صوت شخص قادم من الكواليس)

سيف الرحمن : لا تدفعوني.. إنني أقدر أن أمشي وحدي.. (لموهوب الذي ظهر في جلد شخصية أخرى جديدة)

موهـــــــوب : تقدر؟ إذاً امش.. تحرك.. إن الباب من هناك . هل رأيته؟

سيف الرحمن : يمكنك أن تقول، إنني تقريباً رأيته.. (يتجه نحو جهة من الجهات)

موهـــــــوب : لا .. انتظر.. الباب من هنا أيها النمس..

سيف الرحمن : يا سيدي.. سيدي الذي أنت كل الناس، وكل الناس أنت.. من هنا أو من هناك .. ماذا يميز هذا عن ذاك؟ هذه البناية كلها أبواب .. باب خلف باب خلف باب خلف باب.. يا إلهي.. إنني لا أرى أي فرق بين هذه الأبواب..

موهـــــــوب : ألا تريد أن تفعل معروفاً، وأن تتركني لحالي؟

سيف الرحمن : إنني وحق الله أريد أن أتركك.. ولكنني أخاف عليك، وأخاف على هذا المكان أيضاً.. غداً.. إذا اعتدى عليك المعتدون يا صاحبي، فسوف تعرف قيمتي.. قيمة سيف الرحمن، ضامن النصر المبين على الفاسدين والظالمين..

موهـــــــوب : يا سيف الرحمن.. ما كان بيننا انتهى .. انتهى تماماً، وإلى الأبد، فماذا تنتظر لترحل؟

سيف الرحمن : ماذا أنتظر؟ أنتظر أن أقول لك وداعاً.. وداعاً يا ابن أمي وأبي .. إنني راحل عنك، وسوف تبقى وحدك.. أعرف أنك ستشقى في غيابي، وأعرف أن الشوق ابن كلب، وأنه لا يرحم أحداً..

موهـــــــوب : أنا أشتاق إليك؟ ها ها.. هذا شيء لن يحدث أبداً..

سيف الرحمن : مادام الأمر هكذا، فإنني أضغط على قلبي وأقولها.. وداعاً يا صاحبي.. وداعاً أيها الخاسر الأكبر..

موهـــــــــوب : الحمد لله.. أخيراً قلت وداعاً.. قلتها أنت وسمعتها أنا، ولم يبق سوى أن تنصرف..

سيف الرحمن : سمعتها كلاماً فقط.. كلاماً عارياً ويابساً وجافاً.. والمفروض يا صاحبي أن تسمعها غناء وشدواً.. اعطني لحظة أخرى، وسأغني لك موال الفراق والهجران.. (يغني) يا ليلي .. يا عيني..

موهـــــــــوب : يا .. ربي.. ألا تفهم يا هذا بأن التمثيل انتهى؟ قلنا انتهى..

سيف الرحمن : هذا ليس تمثيلاً.. قسماً بشرفي، ليس تمثيلاً..

موهـــــــــوب : قسماً بشرفك؟ اقسم بشي آخر أصدقك..

سيف الرحمن : ليس لي غير شرفي.. من أجله أحيا، ومن أجله أموت.. ودفاعاً عنه أحمل سيفي ورمحي وأحارب.. (يلوح بسيف وهمي) ألا تعرف من أكون؟ أنا صعصعة بن أبي شيبان.. أنا فارس بني غضبان.. أنا العاصفة والإعصار.. أنا حامي الحمى وحامي الشوارع والديار..

موهـــــــــوب : يا سيف الرحمن..أنت لم تعد ممثلاً، هل فهمت؟ إدارة المسرح استغنت عن خدماتك، وبعبارة أخرى، أنت مطرود .. مطرود..

سيف الرحمن : هذا خطأ.. خطأ لا يغفر.. أنا يا سيدي يمكن أن أستقيل، لأن هذا من حقي، ولكنه أبداً لا يمكن أن أطرد.. وإنني الآن، وأمام كل الدنيا، أقدم استقالتي العظيمة.. أقدمها بصفة رسمية وعلنية.. إنني أنفصل عنك بإرادتي أنا.. لأن إرادتي فوق، فوق كل شيء.. لقد قررت أنا الموقع أعلاه أن أهجر هذا المخلوق، وأنا في كامل وعيي..

موهـــــــــوب : ها ها.. في كامل وعيه؟ أنت متى كنت في كامل وعيك أيها الحشاش؟

سيف الرحمن : آه.. إنه يسأل متى؟ وهذا من حقه.. متى؟ الآن .. الآن يا ابن أمي وأبي .. وقد اتخذت هذا القرار الصائب والصحيح (يضحك) أنا دائماً مصيب، وآرائي دائماً مصيبة..

موهـــــــــوب : اسمع يا سيف الرحمن.. هذه الخطبة العصماء يمكن أن تكملها في بيتك..

سيف الرحمن : آه ثم آه.. ماذا أقول لكم يا أحبتي؟ ماذا أقول سوى أنكم جهلة.. وأميون.. ومتخلفون.. أنتم لا تعرفون شيئاً، ولا تقدرون الأشياء حق قدرها.. واحر قلباه.. لقد انقلبت الدنيا، وأصبحت الكلمة العليا للسفلة ولأصحاب الحضيض..

موهـــــوب : ماذا يقول هذا الحشاش؟ أظن أنه يشتمنا..

سيف الرحمن : إنكم تقتلون الجياد أيها القتلة..

موهـــــوب : نقتل الجياد؟

سيف الرحمن : نعم، تقتلونها، من أجل أن تحيا الحمير والبغال والخنازير البرية.. أنتم لا تقدرون المواهب الخطيرة..

موهـــــوب : ها ها.. يظن نفسه فناناً كبيراً، مع أنه لا يحفظ دوره..

سيف الرحمن : ولماذا أحفظ دوري وحواري؟ لماذا؟ خصوصاً إذا كنت موهوباً وقادراً على الخلق والابتكار.. إنني أجتهد.. نعم أجتهد.. ألا هذا يا أيها المخلوق السطحي.. وقديماً قال الفقهاء.. قالوا.. قالوا .. لم أعد أذكر..قبح الله الذاكرة..

موهـــــوب : بل قل، قبح الله الحشيش.. أنت لم تعد تعرف ماذا تقول ولا ماذا تفعل.. أنت دائماً وأبداً خارج النص..

سيف الرحمن : النص سجن.. ومن يحب السجن؟ من؟

موهـــــوب : أنت دائماً خارج النص، وخارج السياق، وخارج ذاتك ونفسك، وخارج الناس .. كل الناس، وخارج المكان والزمان، وخارج التاريخ، وخارج كل الدنيا.. أنت أغرب ممثل عرفته البشرية..

سيف الرحمن : (في تواضع مفتعل) أخجلت تواضعي يا سيدي المحترم..

موهـــــوب : إنني أقول لك ادخل من هنا، لتخرج أنت من هناك..

سيف الرحمن : إنه الاجتهاد .. الاجتهاد يا ابن أمي وأبي..

موهـــــوب : أقول لك اصعد إلى فوق، فتنزل أنت إلى الأسفل ..

سيف الرحمن : أنا ممثل يفكر.. لا تنس هذا عافاك الله

موهـــــوب : نمثل نحن مسرحية، وتمثل أنت مسرحية أخرى.. نتحدث نحن عن الزبرجد، وتتغزل أنت في السفرجل..

سيف الرحمن : السفرجل؟ وماذا به السفرجل؟ أليس حلواً ولذيذاً؟ ثم إنه مفيد جداً، خصوصاً لمعالجة البواسير المريضة .. ها ها..

موهـــــــــوب : يا سيف الرحمن.. افهمني جيداً.. أنا ما يهمني هو الانضباط التام..

سيف الرحمن : يا ابن أمي وأبي، لا تؤاخذني على حماقاتي الجميلة والبريئة، فهي في كل الأحوال حماقات صبيانية وغير مؤذية..

موهـــــــــوب : غير مؤذية؟ أنت كل ما فيك يؤذي..

سيف الرحمن : أنا يا سيدي مازلت أحمل براءة الأطفال.. هل تعرف لماذا؟ لأنني بعون الله مازلت طفلاً..

موهـــــــــوب : مازلت طفلاً ؟ أنت ؟

سيف الرحمن : نعم.. في عين السيدة أمي يا ابن أمي..

موهـــــــــوب : آه.. هكذا إذاً؟ لم أكن أعرف هذا..

سيف الرحمن : أنا أصغر أخوتي يا سيدي.. آخر العنقود كما يقولون .. العنقود البشري طبعاً، وليس عنقود العنب.. أنا في البيت ولد مدلل .. أفعل ما يحلو لي، وأقول ما أشاء.. أنا ما سمعت أحداً ينهرني كما تنهرني أنت أيها الظالم..

موهـــــــــوب : مادام الأمر هكذا، فيمكنك أن تعود إلى بيتك.. عد إليه، ومثل فيه كما تشاء.. وداعاً يا صاحبي.. رافقتك السلامة.. (يخرج)

سيف الرحمن : (وحده) مصيبتي الكبرى، في هذه الدنيا الصغرى، أنني إنسان طيب وابن حلال .. إنني لا أفعل إلا الأشياء الحسنة، ولكنني لسوء حظي أفعلها بشكل سيئ، وليس هذا بيدي، ولا من اختياري.. فماذا أفعل يا ربي؟ ماذا أفعل؟ لقد أردت أن أكون ملاكاً، فأصبحت دابة.. الآن .. إلى أين أذهب؟ وإلى أين أسير؟

(يخرج وهو حزين)

9 - أستقيل من التمثيل ..

(يدخل موهوب وهو يلاحق ببصره خروج سيف الرحمن .. هو الآن في زي موهوب المدير)

موهـــــــوب : سأبقى وراءه لأعرف كل شيء.. أعرف إلى تنتهي الليلة .. ليس هذا بدافع الفضول.. لا .. لأنني ، رغم كل شيء، أحب هذا الرجل، وأشفق عليه.. لقد أوصتني السيدة أمه به خيراً.. إنه عائد .. وينبغي أن أختبئ .. (ينزل موهوب إلى الجمهور ليجلس بين الناس، ويتابع بقية المسرحية)

سيف الرحمن : أنا أطرد؟ سيف الرحمن يطرد؟ ألا ما أغبى هؤلاء المخرجين الملاعين.. إنهم لا يعرفون شيئاً، ولا يفهمون شيئاً، ومع ذلك، فهم دائماً منتفخون كالطواويس الملونة.. إنه لا شيء داخلهم إلا الهواء .. الهواء الفاسد والرديء .. قبحهم الله أجمعين.. آمين يا رب العالمين.. إنني في هذا اليوم ويعلم الله أي يوم هو هذا اليوم وفي هذه اللحظة التاريخية بالذات، ومن هذا المكان العمومي، أعلن للناس كافة. الأموات والأحياء، وحتى أنصاف الأحياء اعتزالي فن التمثيل اللعين.. هذا هو قراري التاريخي ولن أتراجع عنه أبداً.. من الآن لن أمثل.. نعم.. لن أمثل، وسأنسحب من هذا المسرح، ومن كل مسرح، لأترك الفرصة لهم.. تسألون من أقصد؟ أقصد التافهين طبعاً، وأنصاف الموهوبين والحمقى والمجانين والمهرجين والبهلوانيين.. آه وآه .. ما أتعس حظك يا سيف الرحمن، احترقت أنت وأضأت هذا الزمان.. كنت الآخرين.. كل الآخرين، وضيعت نفسك.. ضيعتها وبقيت بلا وجه ولا ذات.. هل تدري يا أنا، أنك والهباء سواء.. أنت لا شيء.. نعم. لا شيء .. يا إلهي.. ما هذا الكلام الذي أقول؟ يظهر أنني مازلت أمثل.. هذا الكلام ليس كلامي، ومن يقوله ليس أنا.. هذا حوار في مسرحية.. حوار شخصية وهمية.. يا الله.. كيف أتحرر من وجوه ليس فيها وجهي؟ كيف أهرب

من كلام ليس كلامي؟ كيف أسترد ذاتي الحقيقية؟ لم يبق لي الآن إلا أن أقول، هذا الكلام ليس كلامي.. إنه حوار آخر.. حوار في مسرحية أخرى.. آه ما أشد غباء الممثلين.. لقد دخلت الوهم يوماً.. لم أعد أذكر متى.. دخلته وأنا في كامل وعيي.. كنت واحداً من الناس مثل كل الناس ولكنني الآن .. أصبحت أنا ومعي غيري في ذاتي.. أصبحت كل الناس.. يا الله.. من يحررني؟ من؟ هذا الكلام كلامي.. اطمئنوا.. من يخرج مني هذه الأصوات التي تسكنني؟ من؟ من؟ اللعنة على المؤلفين.. كل المؤلفين..إنهم يدسون كلامهم في لساني، ويهربون أفكارهم داخل جلدي.. آه ما أشقاني.. لقد سكنوا لحمي وعظمي، وعششوا هنا (مشيراً إلى رأسه) اخرجوا مني.. اخرجوا قلت لكم.. (ينطح عموداً كهربائياً عمومياً) اخرجوا .. اللعنة عليكم.. دعوني أكون أنا.. أكون نفسي فقط ولا أحد غيري.. لا أريد أن أكون أميراً ولا قائداً ولا ملاكاً ولا شيطاناً.. فقط أريد أن أكون أنا.. نعم. أكون أنا.. اخرجوا مني .. ألا تسمعون؟ اخرجوا أيها المعمرون الغزاة.. من الآن .. سأخوض حرباً مقدسة.. سأقاتل كل المؤلفين.. إنهم مهربون وقطاع طرق.. لقد سرقوا وجهي وتفكيري .. سرقوا إحساسي وخيالي.. سرقوا كل شيء جميل بداخلي.. (يدخل بديع الزمان وهو يحبو على يديه وركبتيه.. يظهر أنه يبحث عن شيء ضاع منه.. يمسك بساق سيف الرحمن)

سيف الرحمن : (دون أن ينتبه لمن يمسك به) ما هذا؟

بديع الزمـــان : هذا أنا، فلا تخف يا سيد..

سيف الرحمن : يا ربي.. هذا الشيء الغريب يمشي على الأرض.. وينطق أيضاً..

بديع الزمـــان : أنا لست شيئاً.. ولست غريباً يا ابن الكلب..

سيف الرحمن : سبحان الله.. الشيء الغريب يمشي، وينطق، ويشتم أيضاً، ومن يدري، فقد يضرب أيضاً..

بديع الزمـــان : لن أضربك فقط، بل سأقتلك أيضاً أيها الأحمق..

سيف الرحمن : يا ويلي.. الشيء الغريب يمشي، وينطق، ويشتم، ويضرب، ويقتل أيضاً.. الرحمة.. الرحمة يا رحمان يا رحيم.. إن هذا الشيء يقتل الأبرياء والشرفاء.. يا أمي.. أين أنت؟ احمني من هذا الشيء العجيب..

بديع الزمان : ماذا تقول أيها الأحمق؟ (يقف على قدميه) هذا أنا.. نعم أنا.. انظر إلي جيداً..

سيف الرحمن : آه. هذا أنت.. أنت من؟

بديع الزمان : بديع الزمان.. ألا تعرفني؟

سيف الرحمن : كيف لا أعرفك؟ أنت بديع الزمان.. بديع الزمان من؟

بديع الزمان : بديع الزمان المخرج.. أنا معروف ومشهور.. وينبغي أن تعرفني..

سيف الرحمن : يا ويلي.. أنت مخرج مثلهم..

بديع الزمان : نعم.. أنا مخرج.. هل لديك مانع؟

سيف الرحمن : ابتعد عني.. (في غضب) ابتعد قلت لك.. أنا لم يعد يربطني بكم أي شيء.. لقد قدمت استقالتي، وأصبحت ملك نفسي.. قدمت استقالتي بنفسي، ولم يطردني أحد.. وإن أخبروك بغير هذا عن سيف الرحمن فلا تصدقهم.. وسيف الرحمن هو أنا..

بديع الزمان : أما أنا فقد طردوني..

سيف الرحمن : طردوك؟

بديع الزمان : طردني موهوب المدير..

سيف الرحمن : و.. حتى أنا طردت.. طردني موهوب آخر في مسرح آخر .. طردني موهوب المخرج..

بديع الزمان : أنا الآن يا.. سيف الرحمن مخرج عاطل.. مخرج يحيا خارج عالمه ودنياه..

سيف الرحمن : أما أنا فلا يمكن أن أعود إلى التمثيل.. لقد طلقته بالثلاث.. نعم طلقته.. وإنني أبحث عن شغل جديد وعن مهنة أخرى.. لابد أن أفعل شيئاً آخر.. أفعل أي شيء.. إلا أن يكون تمثيلاً.. قبح الله التمثيل..

بديع الزمان : أنا أقول لك ماذا تشتغل..

سيف الرحمن : ها.. ولماذا أنت الذي تقول.. لماذا؟ هل لأنك السيد المخرج؟ أنت المخرج وأنا الممثل.. تقول أنت وأسمع أنا.. لا .. كان هذا قديماً يا صاحبي.. في الجاهلية الجهلاء، أما الآن فلا وألف لا وكلا .. هل تسمع؟

بديع الزمـــان : لقد فهمتني خطأ يا سيف الرحمن.. أنا لم يكن قصدي..

سيف الرحمن : هذا ما تقولونه دائماً.. (يقلده) فهمتني خطأ يا سيف الرحمن..

بديع الزمـــان : اسمك مسرحي بامتياز.. سيف الرحمن..

سيف الرحمن : ..وحتى إذا فهمت، فإن فهمك خاطئ دائماً، ومغلوط وأحول وأعرج.. فهمك دائماً معوق.. هكذا تقولون دائماً عني..

بديع الزمـــان : لا .. لا .. أنا لست مثل المخرجين الآخرين.. ولو كنت مثلهم يا سيف الرحمن لما طردوني .. أنا مخرج منور ومتفهم، وغير مستبد..

سيف الرحمن : حقا ؟

بديع الزمـــان : نعم.. أنا لا أعطي تعليمات ولكنني أقترح أفكاراً.. أقترح فقط..

سيف الرحمن : آه.. هكذا إذاً؟ وماذا تقترح علي الآن أن افعل؟

بديع الزمـــان : أقترح عليك أن تشتغل متسولاً محترفاً..

سيف الرحمن : ماذا؟ أنا متسول؟ ها .. ها.. ليت أمي تسمعك يا ..

بديع الزمـــان : بديع الزمان .. هذا هو اسمي..

سيف الرحمن : آه أنت هو بديع الزمان.. لقد سمعت عنك كثيراً..

بديع الزمـــان : تأكد يا صاحبي أن مهنة التسول مربحة، وهي من أهم المهن المدرة للدخل السهل والسريع..

سيف الرحمن : لا .. اربح وحدك..

بديع الزمـــان : ثم إنها مهنة عريقة وغير متعبة، هذا بالإضافة إلى أنه لا ضرائب عليها، وذلك هو الأهم يا سيف الرحمن..

سيف الرحمن : لا .. لا .. ماذا تقول يا بديع الزمان؟ ألا تعرف أن المتسولين هم أخطر الممثلين؟ إنهم يمثلون أيضاً، وأنا لا أريد تمثيلاً..

بديع الزمـــان : المتسلون ممثلون؟ هذا شيء لم أسمع به من قبل..

سيف الرحمن : نعم.. وهم يمثلون في الشارع العام، على مسرح المدينة

المفتوح ليلاً ونهاراً.. وهذا هو المسرح البلدي الحقيقي في هذه البلاد، والممثلون فيه لهم ملابس مسرحية.. وملحقات مسرحية ويرتجلون حوارات مسرحية، ويعيشون مواقف مسرحية . إنني أعرف أنهم أحسن مني وضعاً، وأكثر ربحاً، ولكنني لا أختار مهنتهم.. نعم.. لا أختارها..

بديع الزمـــان : آه.. وجدتها.. وما رأيك لو تشتغل سمساراً ؟

سيف الرحمن : حتى السمسار يمثل يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : آه.. وحق الله صدقت.. وماذا تقول في مهنة المشعوذين المحترفين؟

سيف الرحمن : والمشعوذون ممثلون كذلك..

بديع الزمـــان : لم يبق سوى أن تشتغل سياسياً محترفاً.. هذه مهنة ليس فيها تمثيل..

سيف الرحمن : نعم.. ليس فيها للناس، ولكن.. فيها تمثيل عليهم.. فيها زيف وشعوذة وتدجيل.. ألا تعرف يا بديع الزمان.. أن هذه المهنة هي أسوأ مهنة أوجدها الإنسان؟

بديع الزمـــان : والله أتعبتني يا سيف الرحمن.. أتعبتني وقتلتني.. أنت لا تعرف خطورتك أيها الممثل.. ألم تسمع كما سمعت أنا بأن ممثلاً فاشلاً، في بلد من البلدان، قد أصبح رئيس جمهورية؟

سيف الرحمن : لا.. هذه إشاعة.. إشاعة فقط.. ولن أصدقها.. (يضحك)

بديع الزمـــان : لدي اقتراح آخر.. وهو الأخير.. هل سمعت؟ بعده لن أقول شيئاً.. لن أضيف كلمة واحدة..

سيف الرحمن : نعم.. وماذا تقترح؟

بديع الزمـــان : أقترح أن تشتغل شاهداً محترفاً..

سيف الرحمن : الله أكبر .. الله أكبر.. فتح ونصر..

بديع الزمـــان : شاهد زور في المحاكم العليا المحترمة.. شاهد يحكي عن أشياء لم يرها ولم يسمعها، وبهذا تقول ما تشاء، كما تشاء، وتكون بهذا مؤلف مسرحيتك، وصاحب كلامك..

سيف الرحمن : أنا.. أنا لست مؤلفاً.. ثم إنني أكره المؤلفين.. أكرههم كلهم..

بديع الزمـــان : وما دخلنا نحن بالمؤلفين؟ أنا اقترحت عليك أن تشتغل شاهد زور..

سيف الرحمن : وحتى هذا الشاهد الملعون يشتغل بالتأليف.. تماماً كما يشتغل بالتمثيل.. وتمثيله يا بديع الزمان هو أسوأ كل تمثيل وأحقره.. إنه تمثيل لا نبل فيه ولا شرف فيه.. ألا قبح الله كل الممثلين المقنعين.. نحن على الأقل .. يا صاحبي.. نمارس التمثيل جهراً وعلانية، ونقول للناس.. انظروا.. نحن فقط نمثل، وإياكم أن تنخدعوا.. نحن أكثر صدقاً من كل الممثلين الآخرين يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : إذن.. لم يبق سوى أن نفترق..

سيف الرحمن : نفترق؟

بديع الزمـــان : نعم.. تأخذ أنت طريقاً.. وأسلك أنا طريقاً آخر.. نفترق الآن، وليكن لكل واحد منا ما يشاء.. أو ما يقدر عليه..لست أدري..

سيف الرحمن : يا إلهي.. وماذا يمكن أن أكون أنا؟

بديع الزمـــان : كن ما تريد يا سيف الرحمن، ثم من بعد نلتقي أو لا نلتقي.. من يدري.. فقد نلتقي غداً أو بعد غد.. نلتقي بغير سابق موعد، لتعرف أنت وأعرف أنا، أين وصلت أنت وأين وصلت أنا.. إيه .. ما رأيك يا سيف الرحمن؟

سيف الرحمن : رأيي أن نفترق.. لقد ذهبت يا بديع الزمان من هذا الطريق، فادع لي..

بديع الزمـــان : رافقتك السلامـــة يا ســـيف الرحمـــن.. (يخرج سيف الرحمن)

10 - ضوء المكان ترفع الحجاب..

(يبقى بديع الزمان وحده.. يتأمل المكان حوله في اندهاش واستغراب)

بديع الزمـــان : قبل أن أسير إلى أي مكان، لابد أن أعرف أين أنا.. يهمني أن أعرف اسم هذا المكان.. يا إلهي.. أين أنا؟ أأكون في عين المكان وأنا لا أدري؟ أخيراً عرفت.. نعم.. أنا في عين المكان.. ها ها.. وقريباً إن شاء الله، سأصل إلى حاجبيه وأذنيه.. (فجأة يلف المكان ضباب كثيف.. تظهر ضوء المكان وهي تمسك بيدها الكتاب نفسه)يا الله.. من أين أتى كل هذا الضباب؟

ضوء المكـــان : أتى من النص.. من هذا النص الذي ترى بين يدي..

بديع الزمـــان : وأنت.. من أنت؟ ومن أين خرجت لي؟ وهل أنت وهم أم حقيقة؟ إنسية أم جنية؟

ضوء المكـــان : من أنا؟ أنا التي رأيت كل شيء في هذه الدنيا..

بديع الزمـــان : أنت؟ أنت رأيت كل شيء؟

ضوء المكـــان : نعم.. رأيت وسمعت كل شيء.. وقرأت أيضاً.. قرأت ألواح الغيب وحدي..

بديع الزمـــان : (ينادي بأعلى صوته) سيف الرحمن.. أين أنت؟ لا تتركني وحدي في ظلمة هذا الليل..

ضوء المكـــان : رأيت كيف تنمو الأزهار، وكيف تخرج من بين التربة والأحجار، وكيف تنطفئ الأعمار.. (تقترب منه)

بديع الزمـــان : ابتعدي عني.. (ينادي وهو خائف) سيف الرحمن .. تعال يا سيف الرحمن إنني مازلت هنا في عين المكان..

ضوء المكـــان : أنا التي رأيت كيف تتشكل الأشكال، وكيف تتحجر الأحجار، وكيف تولد الرياح وكيف يتفجر الإعصار.. (تقترب منه أكثر) أنا العمياء المبصرة.. (تضع نظارات سوداء على عينيها) انظر إلي جيداً.. إنني أراك.. نعم أراك ولا أراك..

بديع الزمـــان : (لنفسه) ماذا تقول هذه الحمقاء؟

ضوء المكـــان : صدقني، إنني أنا العمياء المبصرة، وأنا المقعدة التي تمشي وتجري، وتسابق الريح والروح، والتي يمكنها أن تطير وأن تحلق عالياً في السماء .. أنا التي بعيوني المغمضة رأيت..

بديع الزمـــان : آه.. رأيت.. وماذا رأيت يا سيدتي؟

ضوء المكـــان : رأيت كيف يموت النهار في واضحة النهار، وكيف يخرج الضوء من رحم الظلام..

بديع الزمـــان : (لنفسه) أظن المرأة ممثلة.. نعم.. هي ممثلة بلا شك، وهذا الذي تقول ما هو إلا حوار مسرحي غريب.. حوار كتبه مؤلف أحمق.. يا ويل أمي.. هل كتب علي أن أخرج من المسرح إلى المسرح، وأن أغادر الحوار إلى الحوار، وأن أنتقل من الجنون إلى الجنون، ومن الهذيان إلى الهذيان؟

ضوء المكـــان : ماذا تقول أيها الكائن المحدود؟ أنت الآن أمام شخصية غريبة وعجيبة..

بديع الزمـــان : آه.. هذه عرفتها..

ضوء المكـــان : شخصية أنا غير بشرية وغير طبيعية وغير عادية..

بديع الزمـــان : يا أيتها المرأة ابتعدي عني..

ضوء المكـــان : ما هذا الغلط يا ابن آدم؟ أنا لا يقال لي أيتها المرأة.. هل تعرف لماذا؟ لأنني شخصية فوق طبيعية.. إنني أعرف ما لا تعرف أيها الكائن المعتوه..

بديع الزمـــان : كل هذا الكلام لا يعنيني.. أنا فقط، أريد أن أعرف من أنت..

ضوء المكـــان : من أنا؟ أنا المؤلفة..

بديع الزمـــان : يا إلهي.. كيف لم أنتبه لهذا؟

ضوء المكـــان : أنا وحدي المؤلفة والآخرون كذابون ومزيفون ومدعون ومنتحلون..

بديع الزمـــان : أنت مؤلفة.. إذن ابتعدي.. سيقتلك سيف الرحمن إذا رآك، لأنه يكره المؤلفين..

ضوء المكـــان : يقتلني؟ (تضحك) أنا غير قابلة للقتل أيها الكائن المحدود.. أنا المؤلفة التي لا تراها العيون..

بديع الزمـــان : في هذه صدقت يا امرأة.. ومن يمكن أن يرى السادة

المؤلفين؟ إنهم أشباح وأساطير وخرافات وهمية..

ضوء المكـــان : يا سيدي.. ألا تسمع؟ قلت لك لا وجود إلا لمؤلفة واحدة، هل فهمت؟ واحدة فقط، وهي أنا.. نعم أنا..

بديع الزمـــان : أنت المِؤلفة.. وماذا تؤلفين يا سيدتي؟

ضوء المكـــان : أؤلف قصصاً وحكايات غريبة..

بديع الزمـــان : ها.. عرفتك..أنت مؤلفة خيالية..

ضوء المكـــان : أبداً، بل أنا مؤلفة واقعية.. المؤلفة الواقعية في كل هذا الكون.. يا بديع الزمان.

بديع الزمـــان : يا ويلي.. إنها تعرف اسمي..

ضوء المكـــان : هل تعرف أن الوراقين يعيدون نسخ ما أكتب، إنهم غشاشون ومزيفون يقتبسون مني كل شيء من غير أن يعيدوا إلي أي شيء..

بديع الزمـــان : عفواً سيدتي، أنا مازلت لم أفهم شيئاً..

ضوء المكـــان : أنا الكاتبة الأولى، قلت لك،ألا تفهم؟

بديع الزمـــان : يا ويل أمي، من تكون هذه المرأة الغامضة؟

ضوء المكـــان : أنا ؟ أنا الموت يا ولدي..

بديع الزمـــان : ماذا؟ لم أسمع جيداً يا سيدتي..

ضوء المكـــان : (بصوت مرتفع) أنا الموت، الموت يا بديع الزمان، أنا كاتبة المكتوب الذي ليس للناس منه هروب..

بديع الزمـــان : (ينظر حوله) ها ها.. أين أنا يا ربي؟ أين أنا؟ أظنني انتهيت من المسرح، ومن جنون المسرح، انتهيت منهما نهائياً.. هذا المكان.. أيكون اسمه المسرح؟ وأنت يا سيدتي.. ألست شخصية مسرحية؟ شخصية اسمها الموت؟

ضوء المكـــان : لا لا.. أنا المؤلفة التي تؤلف نهايات فيها سخرية وخيال.. أنا الموت الذي يمشي..

بديع الزمـــان : وأنا.. أنا بديع الزمان الذي يمشي أيضاً. يمشي ويهرب. وداعاً يا عمتي..(يخرج هارباً وضوء المكان تجري خلفه)

ضوء المكـــان : تعال يا بديع الزمان.. تعال. فلن يصيبك مني مكروه.. تعال.. لا تهرب مني..(تخرج من جهة ليدخل موهوب من الجهة الأخرى وهو يكاد يسقط من شدة الضحك).

موهـــــــــوب : إنه يجري وهي تجري خلفه.. يعلم اللّه كيف ستنتهي هذه الليلة العجيبة، ستكون ممتعة بلا شك، خصوصاً في النفس الثاني من هذا الاحتفال.. سألحق بهما، من غير أن يراني أي واحد منهما.. ينبغي أن أكون قريباً حتى أرى وأسمع كل شيء..(يخرج ويضحك).

النفس الثاني

11 - بنت اسمها بوعزة ..

(يدخل بديع الزمان وهو يهرول، تجري ضوء المكان خلفه)

بديع الزمـــان : لا لا .. لن أصدقك، ما أنت إلا ممثلة .. ممثلة بلاشك ..

ضوء المكـــان : أبدا يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : أو أنك أكلت شيئاً، أو شربت شيئاً .. من يدري ؟

ضوء المكـــان : أنا لا آكل، ولكنني أشم، وهناك من الناس من يشمني.. يشم الموت على بعد مسافات كبيرة ..

بديع الزمـــان : آه لو قلت إنك ممثلة لصدقتك .. (يضحك) قالت هي الموت..

ضوء المكـــان : نعم أنا الموت.. انظر إلي جيداً يا بديع الزمان .. انظر ولا تخف، لأن ساعتك لم تحن بعد ..

بديع الزمـــان : ساعتي؟. ها ها .. أنا ليس لدي ساعة.. انظري وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة . ليس لدي ساعة ولا نصف ساعة ولا حتى ربع ساعة، وما أنا إلا مخرج مسرحي فاشل .. فاشل بامتياز كبير..

ضوء المكـــان : هذه حقائق أعرفها . إنني أعرف عنك كل شيء .. كل المعلومات مبرمجة في الحاسوب .. لا تعجب، حتى الموت أصبح يشتغل بالحاسوب، إنه لا شيء أصبح سهلاً كما كان .. آه ، رحم الله أيام زمان يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : يا سيدتي الفاضلة..

ضوء المكـــان : أنا لست سيدة أحد، ولست فاضلة، ولا أسمح لأي أحد أن يشتمني، وأن يقول عني فاضلة.. اسمي المؤقت هو ضوء المكان، هل سمعت؟

بديع الزمـــان : ضوء المكان؟ أنت؟ إن هذا الذي تقولين لا يمكن أن يصدقه عقل .. عفوا .. يمكن أن يصدقه عقل الحمقى وعقل المجانين والمغفلين ..

ضوء المكـــان : وعقل الحشاشين أيضاً، لا تنس هذا.. (تبتسم للفراغ

وكأنها رأت أشخاصاً وهميين) .. وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ..

بديع الزمـــان : من تكلم هذه المرأة ؟ أنا لم أقل لها السلام عليها ..

ضوء المكـــان : أنت لم تقل، ولكن هم .. هم قالوا .. إنهم مؤدبون جداً ..

بديع الزمـــان : هم؟ (ينظر حوله)

ضوء المكـــان : شيء طبيعي يا بديع الزمان أن أرد على التحية بأحسن منها ..

بديع الزمـــان : ولكنني .. يا ضوء المكان .. يا ربي.. ماذا أقول؟ أنا لا أرى أحداً هنا، فمن تكلمين ؟

ضوء المكـــان : أكلم هؤلاء السادة المحترمين ..

بديع الزمـــان : آه .. تقصدين الجمهور ؟

ضوء المكـــان : لا .. إنني أكلم الذين أراهم وحدي.. هذا الرجل الوقور هو الشيخ الزبير .. (مشيرة إلى الفراغ)

بديع الزمـــان : الشيخ الزبير .. الكاتب والشاعر؟

ضوء المكـــان : هو في الواقع ليس الشيخ الزبير، وإنما هو شبحه، لأن الشيخ الزبيرالذي تعرفه أنت، ويعرفه كل الناس، توفيته منذ أزمان يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : يا ويلي .. القضية فيها الأشباح والأرواح ..

ضوء المكـــان : لا تخف.. قلت لك لا تخف . إن أشباحي لا تؤذي، ألا تسمع؟ انظر إلي جيداً يا بديع الزمان .. هؤلاء الناس هم الذين اقتبسوا مني كل شيء، واختلسوا مني كل شيء، وإن قالوا لك إنهم زملائي في مهنة التأليف فلا تصدقهم، لأن في عملي ليس لي مشارك، وليس لي زميل، وليس لي منافس .. هذه المهنة النبيلة هي مهنتي وحدي، ولا يمكن أن يقوم بها أحد غيري .. (وهي تنظر إلى الفراغ) وهذا الرجل اسمه بودلير.. وأما الآخر هو فلوبير.. أما ذلك الشخص الثالث، فهو المسيو فولتير .. آه .. أما ذلك العفريت الذي في الخلف فاسمه أوفقير، والأخطر في كل هؤلاء الكتاب يا بديع الزمان هو هذا الأخير.. إنه كاتب تراجيدي..

بديع الزمـــان : (يحيي هذه الشخصيات الوهمية بانحناءات متكررة)

تشرفنا يا محترمين .. دامت لكم الأفراح والمسرات، وعاشت لكم الكتابات والإبداعات..

ضوء المكـــان : هل تعرف يا بديع الزمان بأنني صاحبة نظرية مهمة في المسرح؟ نظرية تسمى المأتمية ..

بديع الزمـــان : أظنني سمعت عنها يا سيدتي ..

ضوء المكـــان : سمعت عنها ؟

بديع الزمـــان : ليس تماماً، لأنني في الحقيقة سمعت عن شيء آخر .. سمعت عن نظرية بشرية تسمى الاحتفالية ..

ضوء المكـــان : آهاه .. الاحتفالية تزوير وغش وكذب وبهتان .. إنها تشويه ومسخ للمأتمية، التي هي الأصل يا بديع الزمان .. الاحتفالية اعتداء سافر على عبقريتي .. الموت هي وحدها الكاتبة والمبدعة . إنها تكتب هزليات ضاحكة، ويخرج المخرجون مآسي باكية .. أنا لا أحد يفهمني في دنياكم يا بديع الزمان، ولا أحد يقدر موهبتي وعبقريتي .. ألا ما أتعسني من كاتبة شقية ..

بديع الزمـــان : اسمعي يا سيدتي .. إن كنت الموت حقاً، فيمكنني أن أقول لك ما يلي ..

ضوء المكـــان : قل يا بديع الزمان ما تشاء ..

بديع الزمـــان : إن النهايات التي تكتبين هي أسوأ ما تكتبين ..

ضوء المكـــان : لا ..أنت خاطئ ..

بديع الزمـــان : إنها نهايات سخيفة ومفتعلة وغير منطقية ..

ضوء المكـــان : خيبت ظني فيك يا بديع الزمان . ظننتك تحسن قراءة الإبداع، وتقدر المبدعين ولكنك أحمق بهلول، وجاهل جهلول.. جاهل وأمي، مثل السيدة أمي ..

بديع الزمـــان : عجباً .. ألديك أم يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : نعم، لدي أم وزوج وبنت أيضاً .. بنت يا بديع الزمان أجمل وأبهى من بنات السلاطين في حكايات الأولين والآخرين، وهي تحبني قليلاً قليلاً ، وتحب المال كثيراً كثيراً ، وفي ذلك شقائي وتعاستي وخيبتي ..

بديع الزمـــان : (لنفسه) هي الموت زوجة الموت و أم الموت ؟ هذا شيء لا

يعرفه أحد ..

ضوء المكـــان : نعم، وأنت أول واحد في التاريخ يعرفه .. يمكن أن تعتبر نفسك محظوظاً، هل تريد أن تعرف لماذا؟ لأنه لا أحد غيرك أنت، رأى ما رأيت أنت، أو سمع ما سمعت أنت، أو عرف ما عرفت أنت ..

بديع الزمـــان : يا إلهي .. من يصدق هذا؟ الموت أيضا لها ابنة جميلة؟

ضوء المكـــان : وهي من جنس نسائي غريب، فهي يا ولدي - أنثى، ولكنها ليست امرأة ..

بديع الزمـــان : ليست امرأة ؟

ضوء المكـــان : ابنتي أنا لها شخصية قوية، وهي ساحرة وجذابة، وبها مسحة جمال شيطاني مدمر ومخرب وقاتل، ولعل أغرب ما فيها هو اسمها.. بالنسبة إليكم طبعاً، وليس بالنسبة لنا ..

بديع الزمـــان : وما الغريب في اسمها ؟

ضوء المكـــان : كل ما فيه غريب ومدهش، ففيه يا ولدي مغناطيس وشاعرية، وفيه رنة وموسيقا، وفيه أنوثة صاخبة ومتفجرة، وفيه ..

بديع الزمـــان : نعم نعم؟ وما هو اسمها يا سيدتي الموت؟

ضوء المكـــان : اسمها .. اسمها .. عبد القادر .. ليس عبد القادر الجيلاني طبعاً ..

بديع الزمـــان : مـ...ماذا . أتسخرين مني؟ هذا الاسم اسم رجل .. رجل ليس به جاذبية ولا أنوثة، ولا يمكن أن تكون به ذرة جمال..

ضوء المكـــان : قد يكون ذلك عندكم أنتم، في الدنيا الفانية يا بديع الزمان.. أما عندنا فالأمر يختلف .. هل تعرف ملكة الجمال عندنا، ما هو اسمها ؟

بديع الزمـــان : ما هو اسمها ؟ اسمها قدور ..

ضوء المكـــان : لا ..

بديع الزمـــان : أو بوشعيب..

ضوء المكـــان : لا لا .. اسمها .. بوعزة، وحق الله هذا هو اسمها ..

بديع الزمـــان : (يضحك) ما أغربك يا سيدتي ..

ضوء المكـــان : بل قل، ما أغرب دنياكم .. أنتم أيها الناس لا تفهمون شيئاً، ومع ذلك فإنكم تصرون على أنكم تفهمون كل شيء .. إنني

أكتب لكم شيئاً، وتعيشون أشياء أخرى مختلفة .. أكتب مسرحيات ساخرة، يحولها المخرجون المغفلون إلى مآس دامعة ..

بديع الزمـــان : أحم ..

ضوء المكـــان : طبعاً طبعاً، أنت لست منهم.. أنت مخرج ذكي ومتفهم، أعرف هذا جيداً .. أنت مخرج حقيقي.. أنت مخرج يبحث عن مسرحية، وأنا التي سأعطيك هذه المسرحية .. هل تعرف يا بديع الزمان، في أي شهر نحن اليوم؟

بديع الزمـــان : في أي شهر؟ أظننا والله أعلم في شهر رجب ..

ضوء المكـــان : نعم ، ولأننا في شهر رجب، فإنني سأريك العجب .. انتظر هنا لحظة وسوف أدخلك مملكتي السحرية .. اجلس و لا تتحرك، فأنا عائدة إليك بسرعةالبرق .. (تخرج)

بديع الزمـــان : (وحده) أظن أن أحسن شيء يمكن أن أقوم به الآن هو أن أهرب .. (يتحرك ليهرب ، ولكنه يلتقي بضوء المكان وهي عائدة)

12 - في التابوت أوراق وفي الأوراق أعمار ..

(تدخل ضوء المكان وهي تجر خلفها نعشاً)

بديع الزمـــان : ما هذا يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : من حقك أن تقول ما هذا يا ضوء المكان، لأنك يا ولدي لا تعرف شيئاً ..هذا الشيء الخشبي، يمكنك أن تقول عنه تابوت ..

بديع الزمـــان : تابوت ؟ تابوت موتى ؟

ضوء المكـــان : نعم .. وإذا شئت فهو مجرد صندوق فقط . صندوق طويل وجميل . أنت حر يا بديع الزمان.. سمه كما تشاء .. (تفتح الصندوق) خذ .. أمسك (تلقي إليه بجمجمة)

بديع الزمـــان : يا ويلي .. إنها جمجمة حقيقية ..

ضوء المكـــان : لا تخف يا ولدي ، لأن هذا المخلوق الإنسي قد كف عن ارتكاب المعاصي وصناعة المآسي . لقد طغى وبغى ، وقهر العباد وتجبر ، وانتفخ وتكبر ، ولكنه الآن وكما ترى أصبح مجرد عظام فقط .. عظام ليس فيها لحم ولا شحم، ولا حتى .. قطرة دم ..

بديع الزمـــان : ومع ذلك أبعديها عني .. أبعديها ، فأنا أكره العظام وأخشاها ..

ضوء المكـــان : (وهي تعيد الجمجمة إلى الصندوق) آه لو تعرف يا بديع الزمان ، كم من الأرواح تسكن هذا التابوت.. عفواً .. هذا الصندوق ..

بديع الزمـــان : في هذا الصندوق أرواح ؟

ضوء المكـــان : نعم .. أرواح شخصياتي المسرحية ، ففيه أخبئ كتاباتي الغريبة والعجيبة . و لا أحد قبلك رأى هذه الكتابات ، أو سمع عنها .. أنت محظوظ يا ولد للا حليمة .. ها .. ها ..

بديع الزمـــان : يا ويل أمي . إنها تعرف حتى اسم أمي .. (تخرج ضوء المكان كتباً من الصندوق) ما هذا ؟ كتب في التابوت ؟ هذا شيء لم أره قبل الآن ..

ضوء المكـــان : (تضحك) نعم، ولن تراه بعد الآن أبداً .. إن كل أشيائي

الثمينة أضعها في هذا الصندوق السحري . أضع ملابسي وأدوات الحمام والمطبخ وأدوات الزينة أيضاً .. يا بديع الزمان ، أنا ، من دون الناس جميعاً أعرف ما لايعرفون وأبصر ما لا يبصرون . أعرف أن هذا التابوت الخشبي هو بيتنا الحقيقي ..

بديع الزمـــان : أعوذ بالله . مالنا وهذا الكلام الذي لا يسر القلب ؟

ضوء المكـــان : خذ .. (تعطيه كتاباً) اقرأ يا بديع الزمان . إنني أسمح لك أن تدخل عالمي وأوهامي ، وأن تبحر في خيالي المجنون .. خذ .. (تعطيه كتباً بعناوين غريبة)

بديع الزمـــان : (يقرأ) موت في الظهيرة، مسرحية كوميدية ضاحكة .. هذا العنوان، متفائل يا ضوء المكان، أليس كذلك ؟

ضوء المكـــان : نعم . متفائل جداً .. تابع القراءة، ولكن بلا تعليق .. اقرأ العناوين فقط ، ومن بعد ستعرف ما خلفها ..

بديع الزمـــان : (يقرأ) (الطاعون والصابون) مسرحية اجتماعية فكاهية واقعية رمزية وسوريالية، في سبعة وعشرين قرناً .. التعليق من بعد .. أليس كذلك ؟

ضوء المكـــان : اقرأ يا بديع الزمان .. قلت لك اقرأ ، فأمامك فرصة لا تتكرر مرتين..

بديع الزمـــان : (يقرأ) ماراً .. فات، وأهداني برقوقة ومات، مسرحيتان ضاحكتان حتى .. المات ..

ضوء المكـــان : اقرأ هذا العنوان أيضاً وقل لي، أليس رائعاً ؟

بديع الزمـــان : ديوان الحشاشين .. أظنني قرأت هذا العنوان من قبل، ولكن .. متى.وأين ؟ لم أعد أذكر ..

ضوء المكـــان : هذه آخر ما كتبت ، وهي أروع وأبدع مسرحياتي كلها . ولعل أجمل ما فيها يا بديع الزمان أنها مسرحية واقعية، وعندما أقول عنها واقعية، فإن ذلك معناه أنها تقع الآن ، أو أنها سوف تقع بعد الآن ، أو أنها يمكن أن تقع ، في أي زمن من الأزمان . لست أدري .. خذ.. اقرأ أيضاً هذا العنوان .. هو عنوان كما ترى مشحون بالدلالات والمعاني .. اقرأ .. اقرأ..

بديع الزمـــان : (يقرأ) الطب القاتل .. تقصدين المرض القاتل . أليس

كذلك يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : أبداً .. إنني أعرف ما أقول وما أكتب ، ففي المسرحية طبيب سيئ الحظ ، اسمه.. لا يهم اسمه .. يريد أن يقضي على المرض، فيقضي على المريض، أليس هذا موقفاً مضحكاً ؟

بديع الزمـــان : فعلاً . هو موقف مضحك .. مضحك إلى حد البكاء دماً ..

ضوء المكـــان : أنا في كل كتاباتي لا أكتب إلا ما هو هزلي ، ولكن الناس لا يفهمون .. ما أتعس حظي . أنا أكتب الهازل ، وهم يمثلون المآسي . إنه الجهل والأمية يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : فعلاً هو الجهل.. الجهل المبني دائماً على المجهول ..

ضوء المكـــان : من حقك أن تعرف ، أن لا شيء أحب لدي من أن يضحك الناس ..

بديع الزمـــان : هذا شيء واضح .. واضح كالنار ..

ضوء المكـــان : ولكنهم لا يضحكون، وهذا شيء يقلقني ويعذبني ، ويصيبني بالاكتئاب هناك خلل بلا شك . خلل ليس في الكتابة طبعاً ، ولكن في الناس .. في عقولهم المتحجرة ، وفي نفوسهم المريضة ..

بديع الزمـــان : أنا في رأيي المتواضع أنه لو كتبت بشكل آخر لفهموا، أستسمحك ، فقد أكون خاطئاً ..

ضوء المكـــان : وأنت دائماً خاطئ .. خاطئ حتى النخاع . إن هؤلاء الناس لن يفهموا شيئاً .. هل تريد أن تعرف لماذا ؟

بديع الزمـــان : نعم ، لماذا ؟

ضوء المكـــان : لأنهم مغفلون ومنغلقون ومتقوقعون وهلاميون وشبحيون وظلاميون ورجعيون وسلفيون ومتخلفون وانتهازيون ووصوليون وحربائيون وغائبون و منفيون..

بديع الزمـــان : و لكنه مع ذلك يا ضوء المكان يمكن أن أقول ..

ضوء المكـــان : لا تقل شيئاً ، لأنني أعرف الناس أحسن منك ، فهم لن يكفوا عن الشكوى أبداً.. الشكوى من الأشياء الطبيعية والمنطقية.. لماذا؟ قل يا بديع الزمان، هل يصح أن تغضب من النار ، إذا وجدت هذه النار محرقة؟

بديع الزمـــان : أبداً لا يعقل ..

ضوء المكـــان : حسناً ، أومن مياه البحر أو المحيط ، إذا كانت هذه المياه

مالحة ، وكانت مغرقة؟

بديع الزمـــان : كيف أغضب ؟ تلك هي طبيعة البحر يا مولاتي ..

ضوء المكـــان : رائع .. أنا لو جئت الناس يا بديع الزمان وسألتهم ، كيف تريدون أن تكون مسرحيتكم لما كتبت إلا مسرحية واحدة . مسرحية طويلة وبلا نهاية .. صدقني إذا قلت لك، لا أحد يفكر في الحبكة العامة والكلية إلا المؤلف.. يعني .. إلا أنا..

بديع الزمـــان : لن نتفاهم يا ضوء المكان ، لأنك لا تسمعين ما أقول ..

ضوء المكـــان : لا .. إنني وحق الله أسمع ..

بديع الزمـــان : عجباً . وماذا تسمعين ؟

ضوء المكـــان : أسمع ما أقول أنا . نعم . لأنني وحدي التي تنطق وتقول، ثم إنني أيضاً ، أكتب وأقرأ .. أقرأ ما أكتب .. خذ هذه المسرحية واقرأ .. (تعطيه كتاباً آخر) عنوانها لا يهم .. يمكنك أن تعطيها عنواناً من عندك إذا شئت .. اقرأ .. من أول صفحة ..

بديع الزمـــان : (يقرأ بصوت مرتفع) تفتح الستارة على رجل عجوز ، وهو على سرير الموت (يفتح مسرح داخل المسرح) ما هذا ؟ (يكف عن القراءة) لقد جرت العادة أن تأتي الموت في ختام المسرحية .. في الختام يا ضوءالمكان وليس في البداية ..

ضوء المكـــان : تابع القراءة يا ولدي . تابع وستعرف كل شيء في حينه ..

بديع الزمـــان : (يقرأ) يدخل أولاد الرجل وأحفاده و هم يبكون (يشخص في المسرح الآخر ما يقرأ بديع الزمان) و حق الله حرام عليك يا ضوء المكان .. انظري .. إنهم يبكون ..

ضوء المكـــان : أنت لا تفهم شيئاً يا بديع الزمان ، فهذا العجوز المحتضر غني .. غني جداً ، هل فهمت ؟

بديع الزمـــان : نعم، وما الضرر في ذلك ؟

ضوء المكـــان : الضرر ليس في ماله ولكن في بخله .. هذا العجوز يضطهد ذريته ببخله الشديد ، إنه لا خلاص لهم إلا بموته؛ ذلك هو اقتناعهم ، وأنا أشاطرهم فيه .. ماذا تنتظر؟ تابع القراءة ولا تقل شيئاً .. (ينتقل الضوء إلى الخلف ليبقى بديع الزمان وضوء المكان في شبه ظلمة)

13 - فراش الموت أم فراش البعث ؟

(الجد العجوز في السرير لا يتحرك)

الابـــــن 1 : يا رب العالمين.. ارحم ضعفنا ..

الابـــــن 2 : انظر يا أخي . إنه لم يعد يتنفس إلا بصعوبة ..

الحفيـــــد1: تلك حشرجة الموت بلا شك ، فادع له يا عمي ..

الحفيـــــد2 : (وهو يضع يده على قلب العجوز ليجس نبضه) الله أكبر .. قلب جدكم انتهى .لقد توقف عن الحركة يا أخوتي ويا أبناء أعمامي .. (يبعد العجوز يده عن صدره)

الابـــــن 1 : إذاً ، هي ساعة الموت ولحظة الوداع .. يا أيها المقرئ ، أتل عليه آيات بينات من كتاب الله تعالى ..

المقــــرئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. بسم الله الرحمن الرحيم ..

العجـــــوز : (يفتح عينيه ، وينظر في غضب إلى المقرئ) أعوذ بالله منك أنت .. إيه .. أين تظن نفسك؟ في ضريح سيدي أحمد أبركان؟ وأنتم؟ لماذا تتحلقون حولي؟ وماذا تريدون مني؟ أنا ليس لدي ما أعطيكم .. لقد أعطيت ما يكفي .. أعطيت وأعطيت حتى أصبحت عجوزاً مريضاً ..

الحفيـــــد1: يا جدي .. ارحم ضعفك .. إن هذا الصراخ لا يليق بك ، خصوصاً وأنت في هذه اللحظة المشهودة ..

العجـــــوز : هذه اللحظة ؟ ماذا بها هذه اللحظة ؟ ماذا بها ؟ ثم أيضاً، لماذا تنظرون إلي هكذا ؟ إنني .. إنني .. (يضع يده على صدره وكأنه يمسك بشيء يخاف عليه)

الابـــــن 1 : هذه المرة ، أظنه مات حقاً .. (وقد أغمي على العجوز)

الحفيـــــد1: مـات ؟

الابـــــن 2 : نعم ، وبشكل نهائي ورسمي هذه المرة .. يا أيها الأولاد والأحفاد ، هنا وهناك وفي كل البلاد ، من حقكم الآن أن تبكوا زين الشباب . رأس العائلة مات..

(يبكون عند رأسه، فيحرك العجوز يده طالباً منهم ألا يصرخوا عند أذنيه)

الحفيـــــــد1: إيه .. توقفوا .. توقفوا قليلاً . لقد رأيت جدكم يتحرك ..

الحفيـــــــد2 : لا .. يخيل إليك فقط يا ابن عمي .. استمروا في البكاء.. ابكوا بحرقة شديدة ولكم عند رب العرش العظيم أجر عظيم ..

الحفيـــــــد1: وحق الله رأيته .. رأيته فعلاً يتحرك ، ألا تسمعون ؟

الحفيـــــــد2 : آه . ومتى كان الموتى يتحركون ؟ غطوا وجه جدكم باللحاف، واستمروا في مأدبة البكاء ..

(يغطيه أحدهم فينزع العجوز الغطاء عن وجهه)

العجـــــــوز : (يفتح عينيه) عجباً . أمازلتم هنا ؟ يا ويلي .. إنكم تبكون. هل مات أحد من أفراد العائلة ؟ أخبروني .. حتى أبكي معكم ..

الحفيـــــــد2 : يا جدي .. نحن لا نبكي لأن شخصاً مات ، ولكن ، لأن شخصاً عزيزاً سامحه الله لم يمت بعد ، هل فهمت ؟

العجـــــــوز : ماذا أقول لك يا ولدي ؟ إذا أردت الحقيقة فأنا لم أفهم ..

الابـــــــن 1 : لم تفهم أم أنك لا تريد أن تفهم ؟

العجـــــــوز : آه .. آه قلبي .. قلبي .. (وهو يضع يده على صدره)

الحفيـــــــد1: ماذا به قلبك يا جدي ؟ (يضع يده على صدر العجوز، فيدفعها له بعيداً)

العجـــــــوز : أبعد يدك، ماذا تريد مني ؟ ابتعدوا عني كلكم .. ابتعدوا، ودعوني وحدي .. أعطوني لحظة .. لحظة واحدة فقط، حتى أفكر في مستقبلي في هدوء .

الحفيـــــــد2 : هاها .. هل سمعتم ما قال جدكم ؟ إنه مازال يفكر في المستقبل ..

الحفيـــــــد1: هوفعلاً يفكر في المستقبل ،وهذا من حقه ،ولكن المستقبل.. هل يفكر فيه ؟ تلك هي المسألة يا أعمامي ويا أبناء أعمامي ..

الحفيـــــــد2 : إنه يفكر في مستقبل غريب وعجيب .. مستقبل اسمه .. اسمه ..

الحفيـــــــد1: اسمه الماضي الذي لا يمضي .. (لنفسه) هذا العجوز لعنة ربانية لا خلاص منها إلا بارتكاب جريمة ..

الابــــــــن 1 : إنني أريد أن أعرف شيئاً ، وهو لماذا يضع يده على صدره . أظنه يخفي عنا شيئاً

العجــــــــوز : أبدا . أنا لا أخفي عنكم إلا عورتي . ابتعدوا عني .. ابتعدوا أيها المساخيط الملاعين ..

الحفيـــــــد2 : أنا أقول ولا أظنني سأكون خاطئاً إنها رزمة أوراق مالية مهمة وكبيرة جداً ..

العجــــــــوز : لا لا .. ومن أين يأتيني المال يا أولاد الحلال ؟ من أين ، وأنا رجل رقيق الحال؟

الحفيـــــــد1: أما أنا يا ابن عمي فأقول ، إن ذلك الشيء الذي في صدره ذهب ..

العجــــــــوز : ذهب ؟ أنا أملك الذهب يا أولاد الكلب ؟

الحفيـــــــد1: ذهب خالص ، من العيار الممتاز يا ابن عمي .. آه .. متى نراه يا الله ؟ متى . . متى ؟

العجــــــــوز : ابتعدوا عني .. ابتعدوا وإلا ناديت رجال الإطفاء، واستنجدت بالوقاية المدنية ..

الحفيـــــــد2 : من حقنا أن نعرف يا جدي ماذا تخفي ..(ينتزعون من صدره شيئاً وهو يقاوم ويصرخ كالأطفال)

العجــــــــوز : لا .. لا .. دعوها ولا تأخذوها مني . إنها ملكي أنا .. ملكي وحدي ، ولن يشاركني فيها أحد ..

الحفيـــــــد1: ما هذا ؟ مجرد صورة ملونة ؟

العجــــــــوز : يا مغفل .. المهم ليس الصورة ، ولكن صاحبة الصورة . انظروا إليها جيدا وأخبروني، ألا تليق هذه الحسناء الفاتنة بجدكم ؟

الابــــــــن 1 : قل يا أبي .. هذه الصورة، هي صورة من؟

العجــــــــوز : صورة من؟ إنها بالتأكيد ليست صورة أمك .. ها ها .. أنا لن أبوح بأسراري ، ولن أكشف لكم أبداً، عن تلك التي أشعلت

ناري .. لن أقول شيئاً ، وسأدع الحسد يأكل قلوبكم أكلاً ..
ها ها ..

الحفيــــــد2 : (وهو يتأمل الصورة عن قرب) آه .. عرفتها .. هذه صورة ممثلة سينمائية مشهورة ..

الحفيــــــد1: نعم نعم .. هذه .. ليلى حسني . من أعطاك الصورة يا جدي؟

العجــــــوز : هي .. وحق لا إله إلا الله هي ..

الابــــــن 1 : يا أيها النمس ، ما هذا الذي تفعل ؟ ألا تعرف أنك الآن خارج العمر وخارج الدنيا و خارج التاريخ ..؟

الحفيــــــد2 : ولم يبق سوى أن يخرج من الجغرافيا أيضاً .. (يضحك)

العجــــــوز : ماذا أفعل؟ إنني أعيش حياتي يا أعداء الله .. أعيش مراهقتي على طريقتي الخاصة دعوني .. دعو وو نـــي أ..
(يغمى عليه من جديد)

الحفيــــــد1: هذه هي غفوة الموت الأخيرة . لقد قال لكم دعوني أ .. أموت، ومات .. انظروا.لقد رفع أصبعه للتشهد . يا مولانا المقرئ أين أنت ؟ سبحان الله ..

المقــــــرئ : لا إله إلا الله و لا يدوم إلا وجه الله ..

الابــــــن 2 : ساعده يا مولانا على النطق بالشهادة ..

المقــــــرئ : (وهو يمسك بيد العجوز) قل ورائي يا سيدي ..لا إله إلا الله. قل .. (يحرك العجوز رأسه بالنفي وهو مغمض العينين)

الحفيــــــد1: يا جدي .. انطق بالشهادة قبل فوات الأوان، انطق، إن الموت لا ينتظر أحداً ..

الحفيــــــد2 : ألا تلاحظون أنه يريد أن يقول شيئاً ؟ شيئاً ما ..

الحفيــــــد1: نعم نعم ، ولكن يظهر أنه غير قادر على ذلك ..

الحفيــــــد2 : يا إلهي .. ماذا يريد هذا العجوز أن يقول ؟ ليتني كنت أعرف ..

الحفيــــــد1 : الأمر سهل . أبوكم وجدنا خبآ مالاً كثيراً ، لكم ولنا ، ويريد أن يطلعنا كلنا على مكان الكنز ..

أصـــــــوات : كنز؟ في الأمر كنز إذاً؟ أين هو الكنز ؟ كنت أعرف أن أمواله أوفر من ذنوبه ..

الابـــــــن 1 : يكفي ثرثرة ، وساعدوا جدكم على الكلام . ساعدوه لينطق ..

الابـــــــن 2 : انطق يا أبي العزيز .. انطق ..

الحفيـــــــد1: اكشف عن أسرارك ، واسترح ..

الحفيـــــــد2 : قل أين خبأت المال .. أين ؟ في المقبرة ؟ تحت جذع الشجرة؟ فوق السطح ؟ تحت السطح ؟ قل ..

العجـــــــوز : أريد .. (وهو ينطق بصعوبة شديدة)

الحفيـــــــد1: (في فرح) هل سمعتم ؟ إنه يحاول أن يتكلم . لقد قال أريد.. وحق الله قالها . لقد سمعته، يا جدي العزيز، هل تريد أن نأخذك إلى مكان ما ؟

الحفيـــــــد2 : مكان وضعت فيه شيئاً ..

العجـــــــوز : لا لا ..

الحفيـــــــد1: يا أعمامي ويا أولاد أعمامي . أخيراً نطق الجد .. (في فرح)

العجـــــــوز : أنا لا أريدها إلا هي .. هي أو لا أحد ..

الجميـــــــع : هي ؟ هي من ؟

العجـــــــوز : القايدة .. القايدة بنت الباشا حمو .. هي .. هي الجرح والطبيب والداء والشفاء وهي الحر والظل (يغني وهو يحاول بصعوبة أن يهتز مع الغناء)هي هي و جايا تحمار وتخضار أنا وليدي هي هي وطالقة السالف علكتف أنا وليدي

الحفيـــــــد2 : جدي .. جدي .. سبحان الله ..

العجـــــــوز : أنا لست جد أحد .. ألا تسمعون ؟ أنا فقط حبيب القايدة و .. حبيب المخزن..حبيبها هي وحدها .. هي هي وجايا تحمار وتخضار (يغني)

الحفيـــــــد1: القايدة ؟ ولكن القايدة لاتزال صبية ..

العجـــــــوز : أعرف، وقلبي أنا ما تعلقها إلا لأنها صبية.. هل تريدون أن أتزوج عجوزاً شمطاء؟

الحفيـــــــد2 : يا جدي .. تأكد بأن هذه الصبية لا يمكن أن تخدمك أحسن منا ..

العجـــــــوز : يا هذا المغفل .. ألا تفهم بأنني أريدها للزواج ؟

الجميـــــــع : (في صوت واحد) للزواج ؟

العجـــــوز : الزواج الحلال .. قلت الحلال . ألا تفهمون يا أولاد الحرام؟

الابـــــن 2 : ولكنك يا أبي على فراش الموت ..

العجـــــوز : غيرت رأيي . نعم . غيرته، واستبدلت فراش المرض وفراش المرض بفراش الحلال .. الحلال حبيب الله يا عباد الله .. لقد عدلت عن فكرة الموت لأنها .. لأنها فكرة بليدة، وقررت أن أتزوج . أخبروني .. أليس الزواج أحسن من الموت يا أولادي وأحفادي ؟

الابـــــن 1 : أحسن منه بالتأكيد ، ولكن ، لكل شيء أوان ..

العجـــــوز : سأتزوجها يا ولدي ، ويعود لي شبابي . لقد كنت مريضاً، وقد اقتنعت الآن بأن المرض لا يليق بي .. لقد شفيت يا أصحابي .. شفيت وأصبحت كالبغل..

الحفيـــــد2 : سبحان الله . أصبحنا أصحابه ..

الابـــــن 1 : هذا الذي بك يا أبي ليس مرضاً ، وإنما هو ..

العجـــــوز : (في غضب) لا.. بل هو مرض .. مرض قلت لكم . أما اسمه فهو.. فهو..آه.. تذكرت .. شلل الأطفال .. (يتحلقون حوله وهم يبكون . يبقى المشهد جامداً ، بينما تنتقل الإضاءة كاملة إلى ضوء المكان وبديع الزمان)

14 - محمد قالوا مات ..

(تضحك ضوء المكان بصوت مرتفع ، بينما يبقى بديع الزمان واقفاً في مكانه وهو جامد الملامح)

ضوء المكـــان : هذا مشهد مضحك .. يقتل من شدة الضحك . أليس كذلك يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : ماذا أقول لك ؟ سامحك الله يا ضوء المكان ..

ضوء المكـــان : أظنك لم تفهمني، ولا هؤلاء الناس فهموني .. كان قصدي أن أقول إن هذا المشهد كان ينبغي أن يكون مضحكاً، ولكنهم لم يضحكوا، وأنت أيضاً لم تضحك ، فلماذا ؟ لماذا يا بديع الزمان ؟

بديع الزمـــان : لست أدري لماذا . ربما لأننا نميل إلى نوع آخر من الكوميديا ..

ضوء المكـــان : أي نوع ؟ أنا لدي كل الأنواع ، وأي شيء تريده فهو حاضر، وهذا الصندوق يسع كل ألوان الضحك .. الضحك الأبيض والضحك الأسود والضحك الأصفر والضحك الرمادي .. هاها .. كل شيء هنا .. (مشيرة إلى الصندوق)

بديع الزمـــان : ولكن ..

ضوء المكـــان : لا تقل ولكن .. هل نسيت من أكون؟ أنا المؤلفة الحقيقية . المؤلفة لكل ما كتب الكاتبون ولكل ما سوف يكتبون ..

بديع الزمـــان : أعرف .. أعرف ..

ضوء المكـــان : المؤلفة التي هي الموت .. أنا أكتب بالدم كوميديا حمراء، هل فهمت الآن؟

بديع الزمـــان : تقريباً ..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان افهمني كثيراً.. المؤلفون المزيفون يكتبون كما أكتب، فمنهم من يكتب بماء الورد، ومنهم من يكتب بماء الذهب، وأسوأ كل المؤلفين هم أولئك الذين يكتبون بالحبر الجاف أو بقلم الرصاص ..

بديع الزمـــان : نعم نعم. وما رأيك يا ضوء المكان لو نعود لهؤلاء الناس المساكين؟ فلا يصح أن يظلوا هكذا كالتماثيل ..

ضوء المكـــان : طبعاً لا يصح .. فلابد أن أحركهم، وإنني لقادرة على ذلك، وحتى على ما هو أكثر من ذلك .. إنني مازلت أفكر لهم في نهاية محترمة ومعقولة ، نهاية تكون ضاحكة جداً جداً ..

بديع الزمـــان : إذاً، ماذا تنتظرين يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : كل ما لدي الآن هو اقتراحات فقط .. اقتراحات مؤقتة .. قلت اقتراحات .هل سمعت؟ أما الخاتمة النهائية فلم أقرر فيها بعد .. هاك .. هذا هو الإقتراح الأول .. (تشير بيدها إلى المشهد الجامد فيعود إليه الضوء والحركة)

الحفيـــــــد2 : (وهو يهم بالخروج) وداعاً يا أعمامي ويا أولاد أعمامي.. وداعاً ..

أصـــــــوات : إلى أين يا« السي امحمد» ؟ إلى أين ؟ ابق معنا يا ولد العم .. ابق معنا ولا تغادرنا، فخيمة البؤس تسع الجميع ..

الحفيـــــــد2 : (بطريقة مسرحية فيها شاعرية مفتعلة) سأغادر .. أغادر هذا التراب، وأركب متن السحاب ، وأقول وداعاً .. وداعاً يا كل الأهل والأحباب ، وداعاً ..

الحفيـــــــد1: ماذا تخرف يا السي امحمد ؟ ألا تعرف ، أن مثل هذا الكلام الجميل لا يمكن أن يقال إلا في التمثيل؟

الحفيـــــــد2 : (وهو ينظر إلى السماء) يا أيتها الملائكة التي في السماء خذيني إليك خذيني..

العجـــــــوز : (في فرح) خذيه .. خذيه . ألا تسمعين ؟ خذيه هو واتركيني أنا . خذيهم كلهم ، لأنهم لا يعرفون فن العيش .. ها ها .. تريدون موتي يا أولاد الأبالسة؟

الحفيـــــــد1: أبداً .. أبداً يا جدنا العزيز ..

العجـــــــوز : اسمعوا .. اسمعوني كلكم . من الآن فصاعداً (تنتابه نوبة، فيتوقف لحظة عن الكلام) ماذا كنت أقول لكم ؟

الابــــــن 1 : كنت تقول يا أبي . من الآن فنازلاً .. (مشيراً بيده إلى الأرض فيضحك الجميع)

الحفيـــــــد2 : يا أيتها الملائكة قربيني إليك . مدي إلي من العلياء سلماً لأصعد إليك . دنيا الناس ظالمة وقاسية .. غداً ، يا أولاد العم ، يغني المغني في الراديو و يقول (يغني) ياك امحمد

قالوا مات (يتكلم) ويحكي الناس .. كل الناس .. في القرى والمدائن وفي كل الأماكن، ويبكي الحمام، وتبكي العصافير والسواقي وتبكى العذارى (سلطان لعزارى) والذي هو أنا .. (يغني من جديد) ياك امحمد قالوا مات.. (يبكي الجميع بينما الجد يقهقه) ألا إن سألوكم عني فقولوا، ياك امحمد قتلته القلوب الحجرية ، ودمرته الأكباد الصخرية .. (وهو ينظر إلى الجد) أنا ..

العجـــــوز : أنت .. ماذا بك أنت ؟ وما الذي دهاك ؟

الحفيـــــد2 : يا جدي . أنا ما عذبني ولا قتلني أحد سواك ..

العجـــــوز : عجباً . أنا ؟

الحفيـــــد2 : نعم أنت .. أنت الذي تدوس الورد والزهر ، وتزرع الحنظل والشوك ، وتطعمنا من شجر الزقوم ..

العجـــــوز : الزقوم ؟

الحفيـــــد2 : لست أنا الذي يقول هذا ، ولكنه المغني ..

العجـــــوز : آه .. المغني . وماذا يقول هذا المغني ؟

الحفيـــــد1: يقول (يغني) ياك امحمد قالوا مات .. (يبكي الجميع. يضع الحفيد2 وشاحا أخضر، ويمشي بخطى متثاقلة نحو الكواليس ، ويختفي . يتعالى صوت الغناء والبكاء ، ثم يتجمد المشهد)

ضوء المكـــان : (تضحك وحدها) لقد .. لقد توفيته يا بديع الزمان .. توفيته ..

بديع الزمـــان : عجباً .. تضحكين، مع أن الولد انتحر ..

ضوء المكـــان : نعم . انتحر . انتحر لأنه مغفل ، والموت يا بديع الزمان لا يحترم المغفلين ولايحترم حتى العباقرة ، وعلى العموم فإن الموت لا يحترم أحداً .. هل فهمت ؟

بديع الزمـــان : ما أغربك يا ضوء المكان ..

ضوء المكـــان : ليس في الأمر غرابة ، وهذه هي الدنيا ، فافهموها كما هي. افهموها وافهموني .. قل يا بديع الزمان ، هل يعقل، أن هذا الصبي وهو في مقتبل العمر هل يعقل أن يرهن حياته بموت الآخرين؟ لقد ربط وجوده بالعدم فكانت النتيجة هي

العدم، ومن يزرع الهباء يجني الخواء، ولو فكرت قليلا، لوجدتها نتيجة معقولة ومنطقية و .. عادلة ..

بديع الزمـــان : أعترف لك يا ضوء المكان أنني ما فهمت شيئاً ..

ضوء المكـــان : أعرف .. أعرف بأنك لم تفهم ، ولذلك فإنك لم تضحك كما ضحكت أنا ... حتى هؤلاء الناس أيضاً لم يفهموا . لم يفهموا قصدي، ولذلك فهم يبكون ..آه . لو فهموني يا بديع الزمان كما فهمت نفسي ، لماتوا من شدة الضحك ..لقد قلت لك إن هذه نهاية مؤثرة .. أتذكر؟ ويمكنني أن أعطيك نهاية أخرى ، أو نهايات أخرى .. أنت وما تشاء .. اطلب ما تريد ..

بديع الزمـــان : لالا .. هذه النهاية العجيبة تكفي ..

ضوء المكـــان : إن كان الأمر هكذا، فينبغي أن أحرر هؤلاء الناس، وأن أجعل هذه النهاية نهاية رسمية ونهائية (تمسك بقلم و تكتب في دفتر كبير) يخرج الولد السي امحمد ، وقد لف جسده في وشاح أخضر .. (يعاد تشخيص المشهد السابق نفسه بشكل صامت) يشيعه أهله وأحبابه بالبكاء والنحيب.. البكاء الحار والمضحك .. تخفت الإضاءة شيئاً فشيئاً . تصاحبها موسيقا حزينة ومضحكة ثم .. تنزل الستارة الحمراء .. (تنزل ستارة المسرح الداخلي ، ثم تفتح من جديد لنجد أن كل الشخصيات واقفة ، وكأنها تنتظر شيئاً)ما هذا ؟ ألم تسمعوا ما قلت وكتبت ؟ لقد وضعت النهاية ، وهي نهاية نهائية ، ولن أتراجع عنها أبداً . هل فهمتم ؟

الحفيـــــــد1: إن كان على الفهم فقد فهمنا ، ولكننا نريد .. تكلم أنت يا السي امحمد . قل ماذا نريد ..

الحفيـــــــد2 : نريد نهاية أخرى . نهاية نلقى فيها المسرات والأفراح والليالي الملاح ..

الحفيـــــــد1: (ها العار) يا ضوء المكان .. أعطينا نهاية أخرى ..

الحفيـــــــد2 : أعطينا خاتمة ترضي أحبابنا وترضينا ..

العجـــــوز : (من سريره) وماذا بها هذه النهاية ؟ أليست جميلة ورائعة؟ إنها نهاية احتفالية ومأتمية ، ضاحكة وباكية ..

الحفيـــــــد1: أسكت أنت يا جدنا ، ولا تفسد علينا مطالبنا النقابية ..

ضوء المكـــان : ها .. لديكم مطالب ؟

الحفيـــــد2 : نعم ، ولعلمك يا سيدتي ، ولعلم كل الناس ، فإن مطالبنا هاته ، هي مطالب عادلة ومشروعة ..

أصـــــوات : (تأتي من جمع الجهات) يا أيتها المؤلفة أعطينا وجوداً آخر ..نريد أعماراً أخرى و نهايات أخرى ومسرحيات أخرى نريد مسرحاً احتفالياً حقيقياً ..المأتمية لا تليق بنا ، ولا تليق بهذا الزمن .. حررينا منا ومن جلدنا حررينا من نهايات فيها الموت والأموات ..

ضوء المكـــان : ما هذا ؟ شخصياتي تناقشني ، وترفع أصواتها في وجهي؟ لن أسمح بمثل هذه الفوضى .. هل سمعتم؟ اخرجوا كلكم .. اخرجوا . لعنة الله عليكم أجمعين ..اخرجوا .. (ترميهم بالكتب والأوراق ، فيخرجون وهم يجرون) لم تعد الشخصيات المسرحية تستحي كما كانت . قبحه الله من زمن ..

العجـــــوز : (وحده في السرير) خذوني معكم .. لا أريد أن أبقى هنا وحدي .. خذوني إلى حبيبتي القايدة .. القايدة بنت الباشا حمو.. (يعود الحفيد 1 يدفع السرير ، ويخرج به .. تنزل الستارة الداخلية من جديد)

15 - قالوا ..أعذب التمثيل أكذبه

بديع الزمـــان : هل سمعت يا ضوء المكان ما سمعت أنا ؟

ضوء المكـــان : وماذا سمعت أنت ؟

بديع الزمـــان : زغاريد الفرح .. إنه عرس بلا شك .. عرس يا ضوء المكان ..

ضوء المكـــان : آه .. العرس ليس اختصاصي والفرح ليس مهنتي ..

بديع الزمـــان : ما رأيك ؟ هل نذهب إليه ، فقد نجد فيه ما يضحك ؟

ضوء المكـــان : ما يضحك ؟ ها .. متى تفهم يا هذا أن العيب في الناس أنهم يترجمون كل شيء ترجمة سيئة . إنهم يحولون الفرح نكداً ، ويجعلون المضحك مبكياً والمفتوح مغلقاً .. سندخل الآن بيتاً ، كل ما فيه يضحك ، ويدعو للضحك ،ولكن الناس فيه لا يضحكون . تسألني لماذا، أقول لك لا أدري ، ولا أحد غير رب العالمين يدري .. (تجر التابوت الخشبي وتخرج ، يتبعها بديع الزمان . في الخلف يظهر سيف الرحمان وهو في زي تاريخي قديم . على رأسه عمامة كبيرة جداً .. كبيرة بشكل مبالغ فيه . يجلس وكأنه أعمى . يضع عكازه تحت ساقه ، ويتحسسه بين الحين والحين)

سيف الرحمن : (يجهش بالبكاء) إيه .. ملعون من يثق بهذه الدنيا ..

الرجـــل الأول : (للرجل الثاني) الله الله . ما أصدق هذا الرجل وما أنبله . نحن بكينا وانتهينا إلا هو ..

الرجـل الثاني : نعم . هكذا يكون الوفاء وإلا فلا ..

الرجـــل الأول : قل لي ، مثل هذا النموذج البشري أين تجده الآن ؟ لقد انقرض يا صاحبي .انقرض تماماً ، وهذا بلا شك واحد من البقية الباقية ..

الرجـل الثاني : تأمل وجهه يا صاحبي ، وقل ، ماذا رأيت ..

الرجـــل الأول : يا الله .. لقد رأيت نوراً على نور . ألوانه وأنواره تسحر الأبصار ..

الرجـل الثاني : إنه بلا شك عبد من عباد الله الصالحين . لنقترب منه خطوات ، فهو رجل رباني ، كله خير وبركات ..

الرجـــل الأول : لقد رأيته يقرأ مع المقرئين ، ويصلي مع المصلين ، ويبكي مع

الباكين ، ويدعو مع الداعين ..

سيف الرحمن : إيه .. كان اللّه ويبقى اللّه . لك الحمد والشكر يا اللّه ، على ما أعطيت ، على ما أخذت ، ولا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك (يشهق باكياً . يقترب الرجلان)

الرجل الأول : يا مولانا الشيخ . لم تقل لنا ، لماذا تبكي ؟

سيف الرحمن : يا ولدي .. أنا وحدي الذي أعرف لماذا أبكي ..

الرجل الثاني : المرحوم يا مولانا .. المرحوم أبوك ؟

سيف الرحمن : بل هو أحب وأعز يا ولدي . إن هذا المرحوم الذي بكيناه هو أنا ..

الرجل الثاني : هو أنت؟

سيف الرحمن : نعم، وهو أنت أيضاً ، وهو كل أهله وصحبه وأحبابه وجيرانه. إن الذين نحبهم لا يموتون وحدهم ، ولا أحد يدفن وحده ، نعم، لا أحد.. (يبكي . تدخل ضوء المكان وبديع الزمان . تتوقف الحركة في المشهد السابق ، ويبقى سيف الرحمن والرجلان بلا حراك)

بديع الزمان : يا ضوء المكان . إنني أشم رائحة البخور .. (منزعجاً)

ضوء المكان : وماذا بها رائحة البخور؟

بديع الزمان : إنها .. إنها تذكرني بالتي لا تهمني .. تذكرني بالموت ..

ضوء المكان : وماذا بها الموت ؟ أليست امرأة مثل كل النساء ؟ امرأة جميلة ووقورة ومحترمة ؟ أنت مثلاً . لقد عرفتني ، وصاحبتني ، وخبرتني هل أسأت إليك مرة ؟ قل .. انطق ولا تخف ..

بديع الزمان : واللّه ما رأيت منك إلا العجب .. أنت فعلاً امرأة رائعة و مدهشة ، وهذا ما يحيرني ..

ضوء المكان : يحيرك ؟ كيف ؟

بديع الزمان : إن كنت طيبة ، كما أعرف أنا ، فلماذا يبكي هؤلاء الناس منك ؟ ولماذا كل هذا الخوف والفزع والهلع ؟ لماذا ؟

ضوء المكان : إنهم يبكون من غبائهم يا بديع الزمان .. انظر حولك وأخبرني . أليس هذاالبكاء المزيف مسلياً ومضحكاً ؟

بديع الزمان : يا إلهي ..(و قد اكتشف شيئاً ما) هذا الشيخ الأعمى ..

ضوء المكان : ماذا به ؟ أتعرفه ؟

بديع الزمـــان : إنه .. إنه سيف الرحمن ، ممثل فاشل . نعم . إنه هو ..

ضوء المكــــان : ها .. ألم أقل لك إن كل شيء يدعو إلى الضحك ؟ هو الآن مقرئ ومحدث وعالم ،وغداً هو زمار أو طبال ، وتلك هي مسرحية الدنيا الضاحكة ..

بديع الزمـــان : ولد الحرام ..

ضوء المكــــان : تعال نقترب منه أكثر ، حتى نسمع ما يقول للناس .. (يقتربان، فيتحرك المشهد الجامد)

سيف الرحمـن : (وقد تحلقت حوله جماعة من الناس) الموت .. الموت .. اسألوني عنه أنا . فلا أحد يمكن أن يحدثكم عنه أحسن مني . أنا عرفته، وهو يعرفني ، وقد رأيته، ورآني..

ضوء المكــــان : الملعون (لبديع الزمان) قال يعرفني وأعرفه ، وهذا كذب . وحق الله كذب ..

سيف الرحمـن : أنا جربت الموت وخبرته وذقت مرارته .. جربت الموت فعلاً ، صدقوني . لقد وصلت أعتاب الآخرة ، ثم عدت إلى بيتي . عدت هاربا، أجري وأجري ..

الرجــل الأول : وصلت بوابة الآخرة؟

الرجـل الثاني : كيف ذلك يا شيخنا ؟ كيف ؟

الرجــل الأول : نريد أن نعرف ..

سيف الرحمـن : كيف ؟ لقد دفنوني يا أحباب الله خطأ . دفنوني وما بي موت ولا شبه موت (يكفكف دمعه) لقد رأيت بعيني أولادي من حولي وهم يبكون . رأيت أمي وعمي وكل أهلي وهم يذرفون الدمع الحار . ورأيت صديقي الخائن وهو يعرض الزواج على زوجتي، كل هذا وأنا أرى وأسمع .. كان الفقيه عند رأسي يقرأ القرآن . صوته كان مزعجاً حقاً . ثم إنه كان يلحن في القراءة ، وهذا شيء ضايقني كثيراً، خصوصاً وأنني أحفظ كتاب الله ..

ضوء المكــــان : ماذا يقول صاحبك يا بديع الزمان ؟

بديع الزمـــان : (مفتوناً بما يرى ويسمع) يا إلـهي . إنه يؤدي بشكل رائع ..

سيف الرحمـن : لقد رأيت الموت بعيني . ذلك اليوم يا أحباب الله لم أكن أعمى ، ولم أصبح أعمى إلا بعد أن وضعوني في الحفرة،

وأهالوا علي التراب.. الموت بشع . بشع وقذر ومرعب .. مرعب يا أحباب الله ، وتفوح منه رائحة قاتلة ..

ضوء المكـــان : صاحبك هذا كذاب . وحق الله كذاب ..

بديع الزمـــان : أعرف . أعرف ، وأعذب التمثيل أكذبه يا ضوء المكان . هو كذاب فعلاً ولكنه موهوب .. موهوب حقاً .. كنت غبياً وظالماً يا ضوء المكان . ظننته ممثلاً فاشلاً ..

سيف الرحمن : الموت.. الموت .. اسألوني عنه أنا . إن وجهه لا يشبه الوجوه، له أنياب تقطردماً ، وله مخالب تقطر دماً ، وفي صدره عيون كالجمر تقطر دماً ، وكل عضو في جسده يقطر دماً ..

ضوء المكـــان : الملعون .. لقد أرعب الناس . انظر إلى وجوههم يا بديع الزمان . انظر . إنهم يرتعدون من الخوف ..

سيف الرحمن : لقد غسلوني وأنا عار تماماً .. أردت أن أستر عورتي ، فلم أقدر . ضمخوني بالمسك والطيب ثم كفنوني .. لقد وضعوني على لوح وساروا بي إلى المسجد .. لا إله إلا الله محمد رسول الله . أخرجت من بيتي ، ولا شيء في أذني إلا صراخ النسوة وكلام كثير من الرجال ليس له معنى .. (يبكي) أخرجت من أجل ألا أعود أبداً . وفي المسجد صلوا علي صلاة الجنازة ، وسمعت صوتاً يقول: (صلاة الجنازة وهو رجل) وتحسست حفرة مظلمة وباردة وضيقة؛ حفرة ليس لها قرار .. أنزلوني فيها ثم .. وضعوا اللحد علي ثم غابوا . رجعوا إلى بيوتهم الدافئة ، وبقيت أنا . بقيت وحدي أصرخ وأصرخ وأصرخ .. (يبكي فيبكي الناس معه) الموت الموت.. إنه لا شيء صحيح إلا الموت ، ولا شيءحقيقي إلا الموت ولا شيء فظيع ومخيف أكثر من الموت .. (يجهش بالبكاء)

ضوء المكـــان : بديع الزمان .. هل رأيت ؟ إنهم يبكون بحرقة ..

بديع الزمـــان : نعم . وهذا شيء مضحك حقاً . مضحك إلى حد البكاء دماً (يضحك) قبحك الله أيها الدجال ..

سيف الرحمن : في ظلمة القبر ، يا أحباب الله ، لم أكن أشم غير التراب .. التراب في عيني والتراب في حلقي وفي رئتي، ومن التراب خرجت لي جيوش من الدود . جيوش خلف جيوش خلف

جيوش .. (يبكون) وكل دودة يا عباد الرحمان في حجم ثعبان، ولولا أن تداركتني العناية الربانية ، وسمع بعض السكارى صراخي ، لكان الدود قد افترسني .. (يبكي) لقد أخرجوني من قبري ، وحرروني من موتي.. حرروني فعلاً ، ولكن ، إلى متى ؟ إلى متى ؟ ففي يوم من أيام اللّه لابد أن أعود إلى الحفرة نفسها.. أرجع و ترجعون ، وما أقسى وأفظع تلك الساعة أيها الغافلون .. (يجهشون بالبكاء . ينخرط معهم ضوء المكان وبديع الزمان ولكن ، بشكل ساخر)

16 - إيش تقول يا شيخ العربان ؟

(تقترب ضوء المكان وبديع الزمان من المصطبة التي يتربع عليها سيف الرحمن)

ضوء المكـــان : إيش تقول يا شيخ العربان؟ كلامك هذا كلام غريب . إنه غريب والكعبة ، وما سمعنا به أبداً، لا في بلاد العجم ولا في ديار العربان ..

سيف الرحمن : (وهو يتصنع العمى) من تكون هذه المرأة يا أحباب الله؟

ضوء المكـــان : عجباً.. أما عرفتني ؟ أنا حقيقة الحقائق يا سيف الرحمن (لنفسها) والله جميل هذا الاسم، سيف الرحمن ، خوصاً وأن الرجل بهذه العمامة المسرحية .. عمامته تلف بلداً كاملاً يا بديع الزمان ..

سيف الرحمن : غداً يا ابنتي سوف تعلمك الدنيا ، وستعرفين ما عرفت أنا..

ضوء المكـــان : يا شيخ العربان . أنت لا تعرف شيئاً ، وما كلامك هذا إلا كذب ..

سيف الرحمن : ماذا .. كلامي أنا كذب ؟

ضوء المكـــان : نعم كذب وبهتان يا شيخ العربان ..

سيف الرحمن : لن أرد عليك يا ابنتي . هل تعرفين لماذا ؟ أولاً لأنك امرأة ..

ضوء المكـــان : أنا لست امرأة ..

سيف الرحمن : وثانياً لأن المرحوم أبي أوصاني يوماً وقال ..كن أعمى يا ولدي عندما يحضر الحقراء ، وكن أصماً عندما ينطق السفهاء ، وكن حليماً عندما تشتمك النساء، ثقي يا مولاتي وتأكدي بأني ما سمعت ، ولا رأيت الآن شيئاً ..

ضوء المكـــان : أما أنا ، ولسوء حظي ، فقد سمعت ورأيت ..

سيف الرحمن : سمعت؟ وماذا سمعت يا مولاتي؟

ضوء المكـــان : سمعت أتفه التفاهات وأسخف السخافات .. أنت يا شيخ العربان أكذب الناس أجمعين ، من شنغهاي إلى برلين ..

سيف الرحمن : (لنفســـه) يا ويح أمي . من أين خرجـــت لي هذه

(المسخوطة) ؟

ضوء المكـــان : ماذا قلت يا سيف الرحمن ؟

سيف الرحمن : إنها تعرف اسمي .. لقد قلت . أنت أخت الشيطان . أخته أو أمه أو زوجه ،لست أدري . يا أحباب اللّه. أكثروا من ذكر اللّه ، وقولوا معي .. أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ..

الجميـــــــع : (بصوت واحد) أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ..

سيف الرحمن : اقرأوا القرآن ، وسوف تذوب في الحال . قولوا معي ، باسم اللّه الرحمن الرحيم ، وستختفي في لمح البصر ..(يقرأ) قل هو اللّه أحد قولوا معي اللّه الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفؤاً أحد . صدق اللّه العظيم ، وبلغ رسوله المصطفى الكريم .. هيه . أخبروني يا من تبصرون . هل احترق ذلك الروح الخبيث ؟ هل ذاب في الهباء؟

ضوء المكـــان : (تهمس له في أذنه) لا .. إنه مازال هنا يا شيخ العربان .. (تضحك) أخزاك اللّه أيها الملعون ..

سيف الرحمن : ابتعدي عني .. ابتعدي قلت لك . إنني مسلح .. (يضرب بالعصا يميناً ويساراً)

ضوء المكـــان : هل رأيت يا بديع الزمان . صاحبك هذا لم يعد كما كان .. يا سبحان اللّه .لقد أصبح يضرب بالعكاز، مع أن اسمه سيف الرحمن .

الرجـــل الأول : واللّه العظيم هذه وقاحة . وقاحة كبيرة جداً ..

الرجـل الثاني : أفي مثل هذا الموقف الرهيب يضحك الناس أيتها المرأة ؟

ضوء المكـــان : وماذا به هذا الموقف ؟ أليس مضحكاً ؟ (تضحك)

بديع الزمـــان : (لنفسه) فعلاً . مثل هذه المواقف لا تضحك الناس ، ولكن ضوء المكان ،هل هي من الناس ؟ آه لو كانوا يعرفون الذي أعرف أنا ..

الرجـــل الأول : أتضحكين أيتها السيدة ، ونحن نبكي ؟

ضوء المكـــان : وأنتم . لماذا تفسدون علي لذة الضحك ، بهذا البكاء المزيف؟ لماذا؟

الرجـــل الأول : إن كنت لا تحترميننا نحن ، فاحترمي الموت على الأقل ..

بديع الزمـــان : الموت؟ هاها .. الموت هو .. لا الموت هي .. هل أقول لهم يا

ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : لا تقل شيئاً ، وكل شيء بأوان ..

الرجـل الثاني : يا سيدتي . إن كنت تريدين أن نحترمك ، فاحترمي شعورنا ..

ضوء المكـــان : وكيف ، وشعوركم مزيف يا عباد الله ؟

الرجـــل الأول : ماذا ؟

ضوء المكـــان : مزيف .. ألا تسمع؟ والرجل المزيف موجود هنا بينكم ، ولكنكم لا تبصرون ولا تسمعون ..

بديع الزمـــان : آه لو كانوا يعرفون ما أعرف أنا .. هل أقول لهم يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : قلت لك لا تقل .. ألا تسمع ؟

سيف الرحمن : هذه المرأة ليست إنسية .. وحق الله ليست إنسية .. هي جنية وابنة جنية .. لقدعرفتها ..

ضوء المكـــان : عرفتني؟ عجباً .. وبهذه السرعة ؟ عرفتني أنا ، ونسيت نفسك . أنا جنية ولكن أنت .. إن كنت شجاعاً فقل للناس من أنت ؟

سيف الرحمن : أنا .. أنا ..

ضوء المكـــان : أنت أعمى ، والعمى ألوان شتى ..

سيف الرحمن : نعم نعم . أنا هو ذاك الذي تقولين ، وإن كنت تعرفين يا سيدتي ، فلم تسألين؟

ضوء المكـــان : أنت أعمى وابن أعمى ، ومن قبيلة كلها عوران وحولان وعميان . أليس كذلك يا شيخ العربان ؟

سيف الرحمن : ارحميني ، يا هذه المرأة ، وابتعدي عني .. ابتعدي ..

ضوء المكـــان : أعمى ، وتدعي بأنك رأيتني؟ رأيتني في قبرك أم في منامك؟ قل .. متى كان هذا يا شيخ البهتان ؟ متى؟ (يمسك بها ويقربها منه)

سيف الرحمن : (بهمس) هل تريدين معرفة الحقيقة أيتها المرأة ؟

ضوء المكـــان : نعم .. ولا شيء إلا الحقيقة ..

سيف الرحمن : (يهمس لها في أذنها) لقد رأيت الذي رأيت في المنام . استرحت الآن ؟ إذاً ابتعدي عني، ودعيني أشتغل .. ابتعدي أيتها المرأة وابحثي لك عن مكان غير هذا ، فمشعوذان اثنان

لا يجتمعان في مكان واحد ..

ضوء المكـــان : والله أيها الناس ، وبالله وتالله ، ما رأيت في حياتي كلها موقفاً يحرض على الضحك أحسن من هذا، إذاً اضحكوا.. ماذا تنتظرون؟ اضحكوا على مسؤوليتي ، وتأكدوا بأنه لا شيء يستحق كل هذا البكاء البليد .. يا شيخ العربان ، ماذا تنتظر ؟ قل لهؤلاء الناس أن يضحكوا . عرفهم بأسرار اللعبة . إذا عرفوها ، فإنهم لابد سيضحكون .. نعم . يضحكون كما أضحك أنا .. (تضحك .. لبديع الزمان) اضحك أنت أيضا .هذا أمر .. أمر (موتوي) لايناقش .. هل سمعت ؟ اضحكوا كلكم ..

بديع الزمـــان : (يضحك) مواهبك تفتحت كثيراً يا .. عدو الرحمن .. لم تقل لي ، من كتب لك هذا الدور ؟

سيف الرحمـن : من كتبه ؟ كتبه علي رب العرش العظيم ..

بديع الزمـــان : ماذا أقول فيك يا ابن الجنية ؟ والله يليق بك دور الميت.. يا سبحان الله . تفشل في دور الأحياء ، وتنجح في دور الأموات..

سيف الرحمـن : إيه .. من يكون هذا الغريب الذي يكلمني ؟ يظهر أن المكان قد امتلأ بالدجالين والمشعوذين ..

بديع الزمـــان : المساكين . إنهم لا يعرفون ما أعرف أنا .. يقولون ما يقولون وهم يجهلون كل شيء . آه لو كانوا يعرفون . حقاً . الجهل نعمة الجهلاء، والعلم محنة العلماء..

سيف الرحمـن : هذه المرأة أيها الناس أفسدت علينا حزننا الجميل ..

الرجـــل الأول : إنها امرأة ملعونة ، ولابد لها من عقاب ..

سيف الرحمـن : نعم، ولا تنسوا في العقاب صاحبها هذا.. (وهو يدفع بديع الزمان بعكازه) إنه ملعون أيضاً ..

الرجـل الثاني : أخرجوها إلى الخارج ، واشبعوها ضرباً ..

سيف الرحمـن : حتى هذا النمس، اضربوه فهو رأس البلاء .. اضربوه بالعصا هكذا .. (يضربه بعكازه)

بديع الزمـــان : ماذا تفعل يا ملعون؟ أتريد أن تموت حقاً هذه المرة ؟

سيف الرحمـن : أخرجوهما .. إلى أين أنت ذاهب بهما ؟ (للرجل الأول)

الباب من هنا . ألاتراه يا أعمى ؟

بديع الزمـــان : انتظروا .. انتظروا قبل فوات الأوان .. انتظروا وإلا ..

الرجـــل الأول : وإلا ؟ هل سمعتم؟ لقد قال وإلا ..

الرجـل الثاني : نعم ، وأظنه بهذا يتهددنا .. يتهددنا ونحن عصبة ..

الرجـــل الأول : انتظر يا صاحبي .. لم تقل لنا ، وإلا ماذا سوف يكون ؟

بديع الزمـــان : وإلا .. وإلا أصبحتم على ما فعلتم نادمين .. ينبغي أن تعرفوا كلكم بأنكم أمام شخصيتين غير طبيعيتين ..

الرجـــل الأول : آه .. في هذه أنت على حق، وهل هناك شخص طبيعي يضحك في مأتم؟ طردوهما حالاً (يحملهما الناس بعنف ويخرجون بهما .. يفتح سيف الرحمن عينيه في حذر .. يتأمل المشهد في فرح وهو يكتم ضحكه)

سيف الرحمن : اضربوهما ..اضربوهما بشدة، حتى يكونا عبرة لكل الناس (يأتي صراخ من الكواليس وضجيج وأشياء تتكسر)

17 - حتى الموت يطرد ويشرد ؟

(ضوء المكان وبديع الزمان وهما يتوجعان من شدة الألم)

بديع الزمـــان : آه .. ضلوعي ..
ضوء المكـــان : آه . ضلوعي العزيزة . ماذا فعلوا فيك ؟
بديع الزمـــان : عجباً . أنت يا ضوء المكان ، لماذا تقولين آه ؟
ضوء المكـــان : لماذا ؟ وأنت .. لماذا تقول آه ضلوعي ؟
بديع الزمـــان : أنا أقولها لأنني أتألم ، فأنا من لحم ودم ، ولي ضلوع في صدري قابلة للكسر ،وما أظنها إلا تكسرت يا ضوء المكان..
ضوء المكـــان : وأنا أيضاً مثلك يا بديع الزمان ..
بديع الزمـــان : غير ممكن .. أنت مثلي ؟
ضوء المكـــان : وإنني ،كما ترى ، وتسمع يا بديع الزمان . أتألم مثلك ، أو ربما أكثر منك ، فأنا امرأة ضعيفة ، وإنني أقول آه وآه .. يا عيني .. (تقول آه وكأنها موال غنائي) آه .. ما أقسى الناس في دنيا الناس . ما أقساكم يا أولاد الحرام ..
بديع الزمـــان : يا رب العالمين ، ما هذا الذي أسمع ؟ أنا من حقي أن أتألم يا ضوء المكان لأنني .. لأنني إنسي أما أنت فلا وألف لا .. هل نسيت يا مولاتي من أنت ؟ أنت الموت الجبار، وأنت الحتف القهار . أنت .. أنت ..
ضوء المكـــان : يا بديع الزمان . لقد تغير الزمان، وأصبح حتى الموت يضرب ويقهر . أنا .. ضربوني أكثر منك . لا تنس هذا، ثم أيضاً ، أنت رجل، وتقدر أن تحتمل، وما أنا إلا حرمة .. حرمة بلا حول ولا قوة .. نعم، الموت يتألم ، وقد يبكي أيضاً ، وها أنت ترى بعينيك كل شيء . هل معك منديل يا بديع الزمان؟
بديع الزمـــان : ماذا ؟ تريدين منديلاً يا ضوء المكان ؟
ضوء المكـــان : نعم، أريد أن أجفف دمعي . انظر يا بديع الزمان، وكن من الشاهدين . هذه عيون الموت تتفجر ماء مالحاً . هذا شيء لم يحدث في التاريخ أبداً ، ولاحدث قبل التاريخ أيضاً .. قبح الله صاحبك اللعين . ماذا قلت لي عن اسمه ؟

بديع الزمـــان : اسمه .. سيف الرحمن (تخرج ضوء المكان مذكرة صغيرة وتسجل)

ضوء المكـــان : سيف الرحمن .. سيف ، بالسين أو بالصاد يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : أنا كنت أعرفه بالسين، وسبحان مبدل الحروف ..

ضوء المكـــان : الآن يا بديع الزمان، يمكنك أن تقرأ الفاتحة على صاحبك . لقد وضعت اسمه في قائمة الوفيات المستعجلة ..

بديع الزمـــان : يا ويلي .. صاحبي مات؟

ضوء المكـــان : ليس بعد، ولكنني سأتوفاه في أقرب فرصة، سأجعل يومه يوماً مشهوداً، وأجعل موته فرجة للمتفرجين ، وحديثه تسلية للفضوليين والنمامين ..

بديع الزمـــان : مرة أخرى أعترف، بأنني لا أفهمك يا ضوء المكان، أنت الموت ، ومع ذلك تركت أولاد الكلب (يتكرفسون) علينا. لقد كان عليك أن تقتليهم كلهم، بدءاً من صاحبي رأس الثعبان ، أو شيخ العربان ..

ضوء المكـــان : نعم ولكنني لم أفعل . هل تعرف لماذا ؟ لأن أرواحهم عندئذ لم تكن حاضرة .. لقد كانوا جثثاً تتحرك ..

بديع الزمـــان : إنني أقول ، إنه كان يمكن ، مثلاً وهذا مجرد اقتراح فقط أن تدسي لهم السم في الطعام أو الشراب ..

ضوء المكـــان : آه، هي فكرة على كل حال؛ فكرة لا بأس بها .. هل لديك غيرها ؟

بديع الزمـــان : أو أن تجعلي البيت ينهار على من فيه ..

ضوء المكـــان : على من فيه . ؟ هل نسيت يا بديع الزمان أننا نحن أيضاً كنا فيه ؟ أنت وأنا .. وهل كنت تريدنا أن نموت نحن أيضاً ؟

بديع الزمـــان : لا لا .. لا تفهميني خطأ أرجوك ..

ضوء المكـــان : ما أبلدك يا بديع الزمان ، وما أبلد هذا الزمن الذي أبدعك. أنت تعاني فقراً في الخيال ..

بديع الزمـــان : أنا ؟ أما أنت يا ضوء المكان .. أنت شخصية غريبة .. شخصية غير واضحة ولا مفهومة ..

ضوء المكـــان : أنا ؟

بديع الزمـــان : نعم أنت، كيف يمكن أن تكوني الموت ، وأن تُضربي حتى الموت ، وألا تفعلي شيئاً ؟ كيف ؟ أريد أن أعرف . هذا من حقي ..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان لا تستغرب ، فكل شيء في دنياكم جائز وممكن . نعم، كل شيء.. ممكن جداً أن يضرب الموت، وأن يعتقل أيضاً ، وأن ينفى، وأن يطرد من المسرح ، مثلك تماماً، ومثل صاحبك الكذاب، وأن يبقى عاطلاً مشرداً ..

بديع الزمـــان : الموت يطرد؟ ويشرد ؟ ماذا تقولين يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : وقد يحدث أن يجوع أيضاً، تماماً كما تجوع أنت ، ويجوع كل الناس

بديع الزمـــان : آه ، وإنني الآن جائع فعلاً . جائع يا ضوء المكان

ضوء المكـــان : وأنا أيضاً جائعة ..

بديع الزمـــان : ماذا ؟

ضوء المكـــان : قل يا بديع الزمان .. أليس معك شيء من المال؟ إنني أريد أن أشتري لك شيئاً يؤكل، وشيئاً يشرب، وشيئاً يدخن .. إنه لابد أن نحتفل بصداقتنا .. أليس كذلك يا صاحبي؟

بديع الزمـــان : صاحبي؟

ضوء المكـــان : إن هذا اليوم لا يشبه الأيام .. إنه يوم تاريخي ..

بديع الزمـــان : يا رب العالمين ما هذا الذي أسمع ؟ أنا صاحب الموت ، وهذه الموت تريد أن تأكل ..

ضوء المكـــان : إكراماً لك فقط ، سوف آكل ..

بديع الزمـــان : إكراماً لي ؟

ضوء المكـــان : نعم . فأنا في العادة لا آكل .. والموتى لا يأكلون، ولكن ، ما دمت معك فإنني مستعدة لأن أشاركك الطعام والشراب . ألم تسمع الناس يتحدثون عن أخوة الطعام والملح . لاشك أنك سمعت بهذا، و إنني أريد أن نشترك في الطعام، وأن نأكل من مائدة واحدة ، حتى تكون أخي ، وأكون أختك ، فما رأيك ؟

بديع الزمـــان : أكون أخاً للموت؟ فكرة لا بأس بها، وماذا يمكن أن أستفيد من هذه الأخوة يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : تستفيد كل شيء .. مثلاً .. أن تموت كما تريد، وفي الوقت الذي تريد، وبالسيناريو الذي تريد . اقترح أنت نهايتك ، وأنا أكتبها لك بماء الذهب .. أكتبها لك بدقة، وأمثلها معك بدقة، وأمشيها معك برفق ، وأخرجها لك في أبهى صورة ممكنة .. سأخصك وحدك من دون كل الناس بالامتيازات العجيبة والغريبة والمدهشة . سأعطيك الذي لم يحصل عليه القواد والأمراء والأغنياء وأهل الجاه والسلطان .. لن يشبهك في الناس أحد، ولن تشبه أحداً منهم، حتى الرسل والأنبياء والأولياء المساكين، ما عرفوا موتك نفسه.. قل لي أولاً ، هل معك سيجارة ؟ إن كانت من التبغ الرديء فلا تهتم ..

بديع الزمـــان : سيجارة ؟. سيجارة لمن ؟

ضوء المكـــان : لمن ؟ لي أنا ..

بديع الزمـــان : و .. ماذا تفعلين بها يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : ماذا أفعل بها ؟ أدخنها طبعاً ..

بديع الزمـــان : عجباً ؟ الموت تدخن أيضاً ؟

ضوء المكـــان : نعم تدخن . هات سيجارة ، وسوف ترى .. سترى العجب العجيب والمدهش الغريب ..

بديع الزمـــان : (يكلم نفسه) هذا الكلام سمعته من قبل . سمعته أو قرأته؟ لست أذكر هوحوار في مسرحية . نعم ، هو كذلك ..

ضوء المكـــان : صدقت يا بديع الزمان .. هو حوار في مسرحية ، وأنا صاحبة تلك المسرحية ، وربة كل مسرحية . إن كل المسرحيات التي تعرف والتي لا تعرف أيضاً أنا وحدي التي كتبتها ..

بديع الزمـــان : (وهو يحاول أن يتذكر) يا إلهي . كل هذا الكلام سبق وسمعته أو قرأته ، ولكن، أين ؟ أين؟ ومتى ؟ متى؟ حاول أن تتذكر يا بديع الزمان .. حاول، وقل أين ؟ ومتى؟

(يدخل سيف الرحمن، وقد تخلص من عماه الإرادي ومن زيه التاريخي)

18 - أنت الموت وأنا قاتل الموت ..

سيف الرحمن : لا تتعب نفسك يا بديع الزمان ، فلن تعرف شيئاً ..

بديع الزمـــان : من ؟

ضوء المكـــان : أهذا أنت ؟

سيف الرحمن : نعم أنا ، وأظن أنني قد جئت في الوقت المناسب، أليس كذلك ؟

ضوء المكـــان : تماماً . تماماً يا .. ذكرني باسمه .. (لبديع الزمان)

بديع الزمـــان : اسمه سيف الرحمن ..

ضوء المكـــان : إيه .. ماذا تنتظر ؟ امسك لي هذا الرجل جيداً .. امسكه جيداً يا بديع الزمان .. أولا .. جرده من سيفه الذي معه ، وأنا أتوفاه لك حالاً حالاً .. (يجريان خلفه للإمساك به)

سيف الرحمن : انتظر يا بديع الزمان . وأنت أيضاً .. انتظري قليلاً أيتها المجنونة .. لقد فهمتماني خطأ ..

ضوء المكـــان : (وهي تمسك به) أخيراً وقعت بين يدي أيها القنفذ الأملس ..

سيف الرحمن : أنا .. اسمي سيف الرحمن ..

ضوء المكـــان : اسمك أحسن منك يا عدو الرحمن ..

سيف الرحمن : إنني لا أسمح ..

ضوء المكـــان : وأنا أيضاً لا أسمح . لم تقل لنا يا .. شيخ العربان . عمامتك العجيبة أين هي الآن ؟

بديع الزمـــان : أين هي؟ تركها في العصر الجاهلي بلا شك .. تركها وديعة عند أبي شيبان الخزعي، فما أسعد الرجل وذريته بها .. إنها عمامة مباركة ..

ضوء المكـــان : أنت رأيت الموت أيها الدجال ؟ تكلم ..

بديع الزمـــان : يا ضوء المكان، رفقاً بالرجل .. ألا ترين بأنه أعمى؟

سيف الرحمن : (مصححاً) كان أعمى .. ألا تعرفان ؟ لقد تاب الله علي ..

بديع الزمـــان : غير ممكن ..

سيف الرحمن : أنا لم أعد أعمى، وحق الله . انظر يا بديع الزمان .. إنني أراك، وأرى هذه المرأة المحتالة، وأرى كل التافهين والحشاشين والدجالين من أصحابنا ..

بديع الزمـــان : الله أكبر . حقاً أنت رجل مبارك ..

سيف الرحمن : فتح الله علي وأبصرت . قولا معي سبحان الله . سبحان الله.. يحيي يميت، وهو على كل شيء قدير . الله الله .. ما تزال في الدنيا المعجزات يا صاحبي ..

ضوء المكـــان : هي فعلاً معجزة .. معجزة ربانية يا .. مرة أخرى ذكرني باسمه ..

بديع الزمـــان : سيف الرحمن ..

سيف الرحمن : (مكملاً) بن حبيب الله بن جار الله ..

ضوء المكـــان : هي معجزة واحدة .. واحدة يا ابن حبيب الله، ومازالت تنتظرك معجزات ومعجزات .. ستعود بقدرة لا إله إلا الله أعمى كما كنت، ومن يدري، فقد تصبح أبكم وأبكم وأعرج وأكتع، وقد تنزل عليك النقطة، وربما الفاصلة كذلك، وتصبح مقعداً ... تجلس على قارعة الطريق، وتقول .. لله يا محسنين ..

بديع الزمـــان : إن كان الأمر هكذا ، فمن الأحسن أن تقتليه يا ضوء المكان.. الموت أرحم يا سيف الرحمن، أليس كذلك يا صاحبي؟

ضوء المكـــان : هل معك آلة حادة يا بديع الزمان ؟ مسمار أو سكين أو مقص أو رمح أو سيف أو وتد؟ المهم أي شيء .. أي شيء يمكن أن يحدث ثقباً عميقاً في الرأس أو في العين ..

بديع الزمـــان : معي هذه المطرقة الصغيرة، هل تنفع ؟ (يخرج من جيبه مطرقة كبيرة جداً)

ضوء المكـــان : تنفع . امسك معي هذا البغل .. امسكه جيداً ، فهو قوي كالثور ..

بديع الزمـــان : قوي ؟ هاها . ولكنه لا يمكن أن يكون أقوى منك . إنه لا أحد أقوى من الموت إلا الموت (لسيف الرحمن) أتتك الموت يا تارك الصلاة ..

ضوء المكـــان : (تهمس في أذنه) يا بديع الزمان .. ما هذا الذي تقول ؟ أنا الموت حقاً ولكن ..

بديع الزمـــان : ولكن ماذا ؟

ضوء المكـــان : ماذا أقول لك؟ لا تنس بأنني حرمة .. حرمة ضعيفة .. لا

حول لي ولا قوة،. ليس لها من سلاح إلا عيونها ورموشها ودموعها ..

سيف الرحمن : ابتعدا عني . دع أنت يدي أيها المجنون .. دعها قلت لك . إنك تؤلمني أيها (الحلوف) سأصرخ عالياً .. يا ..

ضوء المكـــان : أصرخ .. أصرخ كما تشاء ، فلن يسمعك أحد ..

بديع الزمـــان : لا فائدة .. لا فائدة من المقاومة يا سيف الرحمن، فهذه الساعة هي ساعتك ، فاقرأ القرآن، واستعد لأن تصعد إلى السماء ..

سيف الرحمن : ابتعدي عني . ابتعدي أيتها المجنونة ..

بديع الزمـــان : يا ويلي .. هل سمعتم؟ لقد قال لها المجنونة «صافي» قضي الأمر يا سيف الرحمن .. أسفي عليك وعلى شبابك اداك الواد يا مسكين، وأصبحت من القوم الخاسرين ..

سيف الرحمن : ماذا تقول يا بديع الزمان ؟ أراك تهذي ..

بديع الزمـــان : أنا؟ سامحك الله . يظهر أنك يا مسكين لا تعرف من تكون هذه المرأة..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان . لا تقل شيئاً ..

بديع الزمـــان : كيف لا أقول ؟ وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة لابد أن أقول .. هذه المرأة أيها الغافل هي ..

ضوء المكـــان : قلت لك اسكت ..

بديع الزمـــان : هي .. هي الموت ..

سيف الرحمن : ماذا قلت ؟

بديع الزمـــان : الموت .. نعم . الموت . ألا تسمع ؟

سيف الرحمن : هي الموت ؟ (تنتابه نوبة ضحك) ضوء المكان هي الموت؟ وصدقتها ؟(يضحك) ما أغباك يا صاحبي ..

بديع الزمـــان : ولم لا أصدقها ؟ لقد التقيت بها هذه الليلة، وأصبحنا أصدقاء ..

سيف الرحمن : أصدقاء ؟ أنت والموت ؟ هئ هئ ..

بديع الزمـــان : لقد أطلعتني على أسرار عجيبة ..

سيف الرحمن : يا بديع الزمان .. هذه المرأة ليست الموت .. إنها إنسية، مثلي ومثلك ومثل كل أبناء البشر ... إنسية قلت لك، وهي تشتغل

بالتأليف المسرحي ..

بديع الزمـــان : أعرف .. أعرف .. هي الموت الذي يؤلف ..

سيف الرحمن : لا لا .. ما هي إلا مؤلفة فاشلة . مؤلفة تمشي دائماً وفي يدها حقيبة، وفي الحقيبة نصوص مسرحية، وحتى الآن لم تجد مسرحاً، ولم تجد مخرجاً، ولم تجد ممثلاً، ولم تجد جمهوراً ..

ضوء المكـــان : ها ها .. كان ذلك قديماً، في سالف العصر والأوان، أما الآن فقد وجدت..

سيف الرحمن : وجدت ؟ ماذا وجدت ؟

ضوء المكـــان : وجدت ممثلاً مجنوناً ، وهو أنت ..

سيف الرحمن : أنا ؟

ضوء المكـــان : ووجدت مخرجاً عبقرياً، وهو أخي وصديقي بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : يا إلهي . ما هذا الذي أسمع ؟ أنت مؤلفة ؟ مؤلفة فقط ؟

ضوء المكـــان : نعم .. (بلهجة حزينة) مؤلفة فاشلة ، هكذا أنا وهكذا قال الناس عني

بديع الزمـــان : أنت فاشلة؟ غير ممكن، بل أنت مؤلفة بارعة وعظيمة .. أنت أكبر بنت حرام في الدنيا ..

ضوء المكـــان : (في خجل مفتعل) شكراً .. شكراً ..

بديع الزمـــان : أنت .. أنت أخطر مزورة شاهدتها البشرية ..

ضوء المكـــان : أكرمك الله يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : أنت أعجوبــــة الأعاجيب ومصيبــــة المصائب، وأكذوبة الأكاذيب ..

ضوء المكـــان : لا .. هذا كثير علي . لقد أخجلت تواضعي يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : لا .. أرجوك . لا تتواضعي .. هل نسيت من أنت؟ أنت الموت الجبار .. الموت الذي يفرق الأحباب، ويخرب الديار ..

ضوء المكـــان : آه .. كلنا نحمل موتنا داخلنا، وسبحان الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ..

بديع الزمـــان : ها ها .. إذاً ، أنت هي مولاتنا الموت؟ الموت الذي يقتل يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : كنت .. رحم الله طيش الشباب وهلوسات الشباب . غفر الله

لي ولك ولجميع المذنبين ..

بديع الزمـــان : ولكن أنا ، هل تعرفين من أكون؟ تكلمي .. قولي .. من أكون أنا ؟

ضوء المكـــان : أنت ؟ أنت صديق الموت، سابقاً .. (تضحك)

بديع الزمـــان : لا ..

ضوء المكـــان : وحبيب الموت، لاحقاً ..

بديع الزمـــان : أبداً ..

ضوء المكـــان : أنت بديع الزمان الذي لم تجد بمثله الأزمان ..

بديع الزمـــان : لا . بل أنا قاتل الموت .. (يمسكها من عنقها) سأقتلك أيتها المجنونة

ضوء المكـــان : دع عنقي .. ستقتلني أيها البغل ..

بديع الزمـــان : سأقتلك، وأقتل نفسي .. أقتل فيك الغدر والخيانة يا ديدمونة الملعونة .. لقد خدعتني .. اشهدي يا ملائكة الرحمن .. لقد خدعتني امرأة .. خدعتني ... (يتركها وهو يبكي)

سيف الرحمن : لا تبتئس يا بديع الزمان، ففي جميع الأحوال لا يمكن أن تخدعنا إلا امرأة ..امرأة لا حول لها ولا قوة، ولكنها تقدر على كل شيء ..

ضوء المكـــان : وأنت .. ألم تخدع الناس يا ولد الحرام؟ أنت رأيت الموت؟ أنت؟ ومتى؟

سيف الرحمن : متى ؟ بعد عمر طويل إن شاء الله .. (يضحكون)

بديع الزمـــان : يا عدو الرحمن .. تمثل على الناس في دنيا الناس ، ومع ذلك تزعم، أنك اعتزلت التمثيل، وهجرته، وطلقته بالثلاث.. كيف ذلك؟

سيف الرحمن : أنا اعتزلت التمثيل ؟ ها ها .. إنه لا أحد يعتزل التمثيل إلا في حضورسيدنا ومولانا عزرائيل .. (وهو ينظر إلى ضوء المكان) عزرائيل الحقيقي وليس المزيف، أو المزيفة.. (يضحكون .. يدخل موهوب، صاعداً الخشبة من عند الجمهور)

19 - نهايات مقترحـة ..

موهـــــــــوب : (ينخرط معهم في الضحك) يا أولاد الأبالسة ..

بديع الزمـــان : من .. أنت ؟

موهـــــــــوب : آه .. كل هذا العجب يخرج منكم؟ والله لا أصدق .. منكم أنتم؟

ضوء المكـــان : أظن أنه لا داعي للتقديم ، فأنتما تعرفانه بلا شك .. أليس كذلك ؟

سيف الرحمن : أنا شخصياً، لا أعرف أحداً أحسن منه .. إنه المدير الذي طردني، وشردني..

موهـــــــــوب : كان خطأ يا سيف الرحمن، وكان حمقاً وجنوناً .. اللعنة علي وعلى والدي .. بديع الزمان هذا الرجل موهوب، واسمه موهوب، وهو مختص في طرد المواهب وفي طرد العباقرة إلى جزر النسيان ..

موهـــــــــوب : أنا الآن موهوب آخر، غير ذلك الذي تعرفون .. ينبغي أن تعرفوا كلكم أن مسرحيتكم هذه ، كانت رائعة ومثيرة ومدهشة ..

سيف الرحمن : مسرحيتنا؟ أية مسرحية ؟

موهـــــــــوب : أية مسرحية؟ هكذا هو سيف الرحمن دائماً .. إنه ينسى نفسه وحواره، وينسى من معه، ورغم كل هذا، فأنت ممثل خطير .. لقد كنت رائعاً في دورك .. دور الميت الذي لم يمت..

سيف الرحمن : لقد فهمتنا خطأ يا موهوب ، فهذه ليست مسرحية ..

موهـــــــــوب : ليست مسرحية ؟

سيف الرحمن : نعم . ونحن لم نكن نمثل ..

ضوء المكـــان : لا . في هذه أخطأت يا سيف الرحمن، لأن كل ما فعلناه وقلناه وعشناه مكتوب هنا .. (مشيرة إلى كتاب بيدها) وحتى هذا الكلام الذي تقول الآن مكتوب هنا ، وما العمر وما الحياة إلا مسرحية ، أو مسرحيات .. أخبروني . أخبروني كلكم . هل تؤمنون بالمكتوب؟

بديع الزمـــان : أنا شخصياً، يا ضوء المكان، أؤمن به، وأؤمن بجده وجد جده .. المكتوب شيء حقيقي، والدليل على ذلك فقري ..

موهـــــــوب : فقرك؟

بديع الزمـــان : فقري وبؤسي وسوء حالي ، ولولا هذا المكتوب لكنت من أغنى الأغنياء ومن أسعد العداء .. يا أيها الكتبة سواء كنتم في الأرض أو في السماء

ضوء المكـــان : ماذا تريد منا يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : أريد أن تكتبوا لنا وعلينا شيئاً يرضينا، ويسلينا، ويبعد الهم والغم والبلاء عنا ..

موهـــــــوب : أما أنا فأقول، إنني أعجبت بهذا المكتوب .. أعجبت به وبكم، وإنني أنوي أن أقدمكم في مسرحي، فما رأيكم ؟

ضوء المكـــان : إنه يريد أن يقدم مسرحيتنا .. هل سمعتم؟ يا أيها المدير الموهوب، ينبغي أن تعرف شيئاً ، وهو أن مسرحيتنا لا تزال بلا نهاية ..

موهـــــــوب : الأمر سهل .. نعطيها نهاية ..

بديع الزمـــان : أنا لدي نهاية جاهزة . نهاية قوية ومثيرة ومأساوية ..

سيف الرحمن : مأساوية؟ يعني فيها بلاء وشقاء وموت حقيقي؟

بديع الزمـــان : نهاية يا عباد الله ، ستهز الجمهور هزاً، وتبز أكبر الكتاب بزاً ..

موهـــــــوب : بزاً ؟ قلت بزاً ؟ وما معنى هذه ال .. بزاً ؟

سيف الرحمن : إنه يشتمنا بلا شك يا موهوب ..

بديع الزمـــان : أبداً، وإنما أنا أرفع من شأنكم ومن فنكم ومن علمكم ..

موهـــــــوب : سبحان الله .. سبحان الذي حول الجهل علماً ، وجعل بزاً ترفع شأناً ..

بديع الزمـــان : إنني أقترح أن يغضب بديع الزمان ..

سيف الرحمن : اقتراح لا بأس به ..

بديع الزمـــان : وأن يثور لكرامته الممرغة في الوحل ..

ضوء المكـــان : يهديك الله .. أية كرامة تقصد؟

بديع الزمـــان : وأن ألتقي بهذه المرأة الخائنة، وجهاً لوجهه ، وأن أقول لها ، اليوم أقتل الموت وترتاح البشرية ..

ضوء المكـــان : مثل هذا الكلام التافه ، لا يمكن أن تكتبه ضوء المكان ..
بديع الزمـــان : حقاً ؟ أما أنا فيمكن أن أمثله، وأن أقوله .. (وهو يقف وجهاً لوجه أمام ضوء المكان) أما بالنسبة لكما ، فيمكنكما الانصراف..(لموهوب وسيف الرحمن) لأنه لا أحد هنا.. إلا أنت وأنا .. سأقترب منك خطوة ثم خطوة أخرى .. موسيقا.. ماذا تنتظرون ؟ أعطوني موسيقا عنيفة ومخيفة.. (موسيقا) إيه . لماذا تنظرين إلي هكذا؟ ألا تعرفين أنني سأقتلك؟ نعم .. سأقتل الموت التي تقتل .. خافي .. قلت لك خافي .. ألا تسمعين ؟ سأخرج المنديل من جيبي لأخنقك .. (يفتش في جيوبه عن منديل فلا يجده) مَنْ عنده منديل؟ أريد منديلاً حالاً ..
موهـــــــوب : لدي (كلينكس) .. منديل من ورق.. هل ينفع ؟
بديع الزمـــان : لا ينفع ..
ضوء المكـــان : يا بديع الزمان ... إنه لا يعقل أن أكتب عني مثل هذا الكلام ..
سيف الرحمن : ها ها . لا تكتبين عنك، ولكنك تكتبين عن غيرك . تكتبين عني أنا مثلاً فتموت أمي، وتموت زوجتي، ويموت أولادي ، وتبعثين بي إلى بلاد الغربة . نت قتلتني ، وقتلت أولادي . قتلت الجميع يا عدوة الجميع بجرة قلم ..
ضوء المكـــان : لا . أنا لم أكتب هذا . صدقني ..
موهـــــــوب : يا أيها الناس . افهموني قليلاً . هذه نهاية سوداء .. سوداء تماماً، وأنا أريد نهاية رمادية ..
ضوء المكـــان : آه .. موهوب يريد نهاية أخرى . وماذا تقترح يا سيدي المدير؟
موهـــــــوب : أقترح أن تظلوا هكذا، تتسكعون في ظلمات الليل .. ترتكبون الحماقات بعد الحماقات، إلى أن نسمع صوتاً (يسمع صوت سيارة البوليس)
سيف الرحمن : ما هذا يا موهوب ؟
موهـــــــوب : إنها دورية الشرطة يا أولاد الحلال .. (يضحك)
بديع الزمـــان : فعلتها يا رأس (الحلوف) بلغت عنا ..
موهـــــــوب : أبداً، وإنما هي العيون التي رأتكم .. العيون المبثوثة في كل

مكان .. (يقفون وراء قضبان حديدية وكأنهم في مركز للبوليس)

بديع الزمـــان : (بأعلى صوته) بريء .. بريء أنا، وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة .. بريء..

ضوء المكـــان : أنا أيضاً بريئة، ومظلومة ..

سيف الرحمن : حتى أنا بريء .. بريء أنا، والحشاش الحقيقي هو هذا (مشيراً إلى بديع الزمان)

بديع الزمـــان : بل هو أنت .. أنت الذي أغريتني، وأغويتني، وزينت لي سوء أعمالي، يا ولد الحرام ..

الجميـــــــع : بريء .. وحق اللّه بريء.. بريء .. بريء ..

موهـــــــوب : الصمت .. ثم أخرج أنا ، وأتقدم إلى الجمهور ، وأقول ، أيها الناس ، هذه هي عاقبة الحشيش ، وألتفت إليكم ، وأقول، تبكون ؟ الآن فقط تبكون ؟ ومتى؟ بعد خراب البصرة؟ وتنزل الستارة ..

ضوء المكـــان : لعنة اللّه عليك وعلى نهايتك .. أنت موهوب .. أنت ؟ ومن أين أتتك الموهبة أيها المتخلف؟ من أين؟

سيف الرحمن : من السوق السوداء .. ها ها .. (يضحكون)

موهـــــــوب : هيه ،وماذا بها هذه النهاية؟ أليست نهاية معقولة ومنطقية؟ ثم إنها أيضاً، تحمل رسالة أخلاقية عالية .. رسالة نبعثها للعالم والجاهل، وللكبير والصغير، وللقارئ و(اللي ما قاريش)

بديع الزمـــان : أنت ما علاقتك بالإبداع ، حتى تقترح أو لا تقترح ؟ اهتم بأموالك فقط وعندما نقول لك هات، هات . إذن انكمش .. انكمش .. ألا تسمع ؟ أما النهاية فسنأخذها من مصدرها.. من الكاتبة ضوء المكان ..

ضوء المكـــان : نعم . واللّه هذا كلام العقل والعقلاء .. النهاية من عندك أنت يا ضوء المكان.. أين أنت يا ضوء المكان ؟

سيف الرحمن : ماذا تقولين؟ ضوء المكان هي أنت ..

ضوء المكـــان : حقا؟ واللّه نسيت هذا .. إذن استعدوا للنهاية الحقيقية.. غيروا هذه الملابس، وتعالوا إلي .. (يأخذون في تغيير الملابس)

20 - نهاية وردية لمسرحية سوداء ..

ضوء المكـــان : تعالوا. اقتربوا واسمعوا .. إن النهاية الحقيقية والرسمية لهذه المسرحية ليست سوداء ولا بيضاء ولا رمادية .. إنها وردية ..

بديع الزمـــان : وردية ؟ ماذا تقولين ؟

ضوء المكـــان : افهموني .. إن النهاية الوردية هي وحدها التي يعشقها الناس ، ويرتاحون لها .. نهاية حية ومفتوحة، فيها رقص وغناء، وفيها طبول ودفوف وتمر وحليب، وفيها زغاريد مبحوحة وراقصة عمياء وعرجاء ..

بديع الزمـــان : عجباً .. ضوء المكان، والتي هي الموت سابقاً ، تقول هذا؟

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان .. الموت يأتي من بعد . ألا تفهم ؟ بعد الحياة وليس قبلها . فلنفرح أولاً ، حتى يكون للمأساة معناها ، ويكون لها وقعها ..

بديع الزمـــان : نعم .. وهذه النهاية الوردية ، ماذا يمكن أن يكون فيها ؟

ضوء المكـــان : سيكون فيها إن شاء الله عرس الأعراس ..

بديع الزمـــان : عرس ؟

ضوء المكـــان : نعم.. عرس يلتقي فيه المحبان ، وتموت فيه الأحزان والأشجان ..

بديع الزمـــان : ها ها .. وأين هما المحبان الحقيقيان في هذا الزمان؟ أين؟

ضوء المكـــان : إنهما هنا .. أنت وأنا .. هل نسيت بأنك وعدتني بالزواج أيها الغشاش ؟

بديع الزمـــان : أنا ؟

موهـــــــوب : هذه نهاية ، أراها أنا معقولة ، و مربحة أيضاً ..

بديع الزمـــان : مربحة ؟

موهـــــــوب : مادياً ومعنوياً ، وآنياً ومستقبلياً ، ومن كل النواحي .. وإذا وافقتم على هذه النهاية فأنا شخصياً لا مانع لدي .. يمكنكم أن تصادقوا عليها بالتصفيق .. (يصفقون، إلا بديع الزمان)

سيف الرحمن : رائع .. رائع جداً .. إذاً فقد تزوجتما بطريقة شرعية وديموقراطية وبغلبة الأصوات ..

بديع الزمــــان : ديموقراطية ؟ سبحان الله . أية ديموقراطية يا سيف الرحمن؟

موهـــــــــوب : الديموقراطية على الطريقة العربية ، لا أراكم الله مكروهاً.. (يضحكون)

بديع الزمــــان : أنا ؟ أنا أتزوج الموت ؟ ولماذا؟ أأكون أحمق أو.. أحمق ؟

ضوء المكــــان : أنا لست الموت، وما أنا إلا امرأة مثل كل النساء، وحسناء من بين كل الحسان. أما اسمي، فهو ضوء المكان، وأنا فعلاً إن كنت لا تعرف هذا ضوء هذا المكان ، وكل مكان ..

بديع الزمــــان : ها .. ومتى كان في القبر ضوء ؟ ها هو سيف الرحمن أمامكم فاسألوه ، اسألوه ، يخبركم عن فظاعة الموت ، وعن هول الموت .. (يبكي، بينما يضحك الآخرون)

سيف الرحمن : قل يا بديع الزمان .. هل تحسن الغناء؟

بديع الزمــــان : ها .. إنني ..

موهـــــــــوب : هل سمعتم ؟ لقد قال إنني .. أحسن الغناء ..

سيف الرحمن : ولو أنه لا يصح أن يقال للمغني غني، فإنني أخالف المألوف، وأقول لك غن.. غن معنا يا بديع الزمان ويا تحفة العصر والأوان..

موهـــــــــوب : وقل أيضاً .. هل تعرف أن ترقص ؟ ترقص هكذا ، فتهز وسطك هزاً وتلوز (تلويزاً)؟

بديع الزمــــان : أنا ؟

سيف الرحمن : رائع .. لقد قال أنا .. يعني، أنا أعرف .. إذاً ارقص .. ماذا تنتظر يا بديع الزمان؟ ارقص مع الراقصين، وحلق مع المحلقين .. ملعون كل من يحسن الغناء ، ولا يغني . وملعون كل من يعرف الرقص ولا يرقص ، و كل من يقدر أن يطير ولا يطير .. غن معنا ، فهذه الدنيا كلها الآن لنا ، وغداً ؟ غداً ستكون لغيرنا ..

(يعزفون على أدوات المطبخ ، وهم يزفون العروسين)

المجموعـــــــة : (تغني) إتحششي يا حلوه يا زينة يا وردة جوا جنينة

بديع الزمـــان : يا ضوء المكان. افعلي شيئاً . أوقفي هذا المأتم ..

ضوء المكـــان : ماذا تريدني أن أفعل؟

بديع الزمـــان : لست أدري .. أنت الكاتبة وليس أنا .. اجعليني مثلاً أخاك في الرضاع ،حتى لا يجوز زواجنا ..

ضوء المكـــان : الملعون .. غن معنا يا بديع الزمان .. غن ، ولا تفسد علينا وعلى الجمهور هذه النهاية الوردية ..(يغنون)

المجموعـــــــة : (تغني) اتحششي يا حلوه يا زينـة يا وردة جوا جنينـة

(يتعالى صوت الغناء ، و يزداد إيقاع الحركات المجنونة حدة ثم .. ظلام تام)



مسرحية

صياد النعام

احـتفال مسرحي في نفسين

النفس الأول
1 - استهــلال ...

(سرير كبير، تتدلى عليه من فوق ستارات بيضاء شفافة . يظهر السرير وكأنه مسرح عرائس .يصدر من مكان ما دخان كثيف، ويغرق المكان في جو من أجواء الأحلام.. نسمع نبض دقات القلب، ونحس بأنفاس متلاحقة وشخير ثم .. فجأة يرن جرس المنبه . تقوم امرأة داخل السرير وهي مذعورة . تنظر في كل الجهات، وتحدق في المكان وكأنها تكتشفه لأول مرة، وفي حركة عصبية، تمسك بالمنبه، وترمي به بعيداً، فيكف عن الرنين)

المـــــــرأة : (بارتياح) آه. كم هو مزعج هذا الصوت. إنه يعلن عن شيء، ويشير إلى شيء .. شيء لا أعرفه أنا..(نكتشف ، على وجه المرأة مادة بيضاء لعلاج البشرة) أنا .. لقد قلت أنا ..ومن أنا؟ وأين أنا؟ يظهر أنه الصباح. وصباح أي يوم ؟ لست أدري و.. هذا البيت الذي أنا فيه .. بيت من هو؟ بيتي أنا ؟ (تضحك) وما معنى أنا ؟ يا عظمة الله ! إن ذهني الآن مشتت.. يا ويلي.. لقد قلت الآن.. نعم قلتها. وهذا معناه، وجود شيء سابق، ووجود لحظة أخرى تسمى قبل.. وتلك اللحظة، متى كانت ؟ وكيف راحت ؟ ولم تبخر؟ و.. كل الأسرار في تلك الساعة المزعجة التي حطمت..(فجأة يدق منبه آخر ، ويقوم بالقرب من المرأة رجل في بذلة النوم ، وهو في حالة فزع)

الرجـــــــل : بسم الله الرحمن الرحيم، لقد كان.. كابوساً مزعجاً..

المـــــــرأة : (وقد فاجأها وجود رجل (غريب) إلى جانبها وفي سريرها) من ..أنت؟ ومن أنت ؟ وكيف جئت ؟ ولماذا أنت هنا؟ ومن أين أتيت؟ هل أنت سارق؟ هل أنت قاتل ؟ هل أنت إنسي ؟ هل أنت جني ؟ قل بسرعة..قل .. (ينظر إليها لأول مرة فيرعبه وجهها المطلي بالبياض) و.. آ أمي ..الكابوس في فراشي.. يظهر أنني لم أستيقظ بعد..(يقوم بحركة بطيئة وكأنه يقاوم

جسداً وهمياً يضغط عليه)

المـــــــــرأة : ماذا تفعل أيها المغفل ؟

الرجــــــــل : إنني أصارع النوم، والنوم يصارعني. وبقدرة الله سأخرج من هذا الكابوس المزعج..

المـــــــــرأة : (تدفعه) يكفي صراخاً أيها الملعون. يكفي. وانتبه الى المنبه..

الرجــــــــل : آه. المنبه.. (و هو يمسك الساعة) تريدين أن تقولي بأنني لست نائماً ..

المـــــــــرأة : رجل ذكي وألمعي. فهمتها وحدك..

الرجــــــــل : (يوقف جرس المنبه) سبحان الله ! يفعل في عباده ما يشاء. هذا البيت ..هذا .. ليس بيتي؟

المـــــــــرأة : نعم ليس بيتك..

الرجــــــــل : سبحان الله ! يفعل في عباده ما يريد .. وأنت لست محجوبة زوجتي، أليس كذلك؟

المـــــــــرأة : أنا زوجتك .. زوجتك أنت؟ «يشويني فيك». ثم.. من أنت ؟

الرجــــــــل : من أنا؟

المـــــــــرأة : وماذا تفعل في سريري وفي فراشي وفي بيتي وفي عالمي ؟

الرجــــــــل : وأنت ؟ من أنت ؟ وماذا تفعلين في فراش رجل غريب ، رجل لا تعرفين أصله وفصله، ولا تعرفين اسمه الشخصي ولا اسمه العائلي ولا اسمه العرقي والسلالي والقبلي، ولا حتى هو يعرف نفسه .. هذا استهتار وتلاعب بالقيم والأخلاق و..

المـــــــــرأة : «يشويني فيك» أنت تتحدث عن الأخلاق، وأنت تعترف بأنك لقيط وعبيط . يشويني فيك، مرة أخرى، وأتمنى أن تكون الأخيرة، أسألك الأسئلة نفسها وأقول لك، من أنت؟ ومن أين جئت؟ و.. لماذا أنت معي ؟ تكلم ، قل شيئاً..

الرجــــــــل : يا سيدتي التي تشبه زوجتي محجوبة. مرة أخرى، وأتمنى أن تكون الأخيرة، أسألك الأسئلة نفسهاوأقول لك .. من أنت؟ ومن أين جئت؟ و.. لماذا أنت معي؟ تكلمي. ولا تكذبي. وقولي شيئاً يفهم..

المـــــــــرأة : لا ..لا .. هذا كثير.. ألم تلاحظ شيئاً أيها الرجل الذي يشبه زوجي المحجوب؟

الرجـــــــل : وأنت. ماذا لاحظت؟

المــــــــرأة : يظهر لي أيها الرجل ، وقد أكون مخطئة قليلاً ، بأنك تسرق كلامي..

الرجـــــــل : أنا ؟

المــــــــرأة : وتقول قولي نفسه ..

الرجـــــــل : «يشويني فيك» (يضحكان) هذا الكلام أيتها المتكلمة. ليس كلامك أنت..

المــــــــرأة : ليس كلامي؟!

الرجـــــــل : نعم. ولا هو كلامي. أنا أيضاً. إنه كلام السيد المؤلف..

المــــــــرأة : المؤلف؟ ونحن.. أنا وأنت. من نكون؟

الرجـــــــل : أظن، والله أعلم، أننا شخصيتان مسرحيتان، وأن هذه البداية هي بداية الخليقة..

المــــــــرأة : ألا ترى معي أيها الرجل بأن مؤلفك هذا مغفل؟

الرجـــــــل : نعم. هو مغفل قليلاً..

المــــــــرأة : قليلاً ؟ ولم لا تقول كثيراً .. أنت خواف وجبان .. لقد بدأ المسرحية من الفراش وهذا شيء غير واقعي..

الرجـــــــل : تماماً غير واقعي وغير طبيعي وغير مسرحي وغير أخلاقي..

المــــــــرأة : لقد جمع بين امرأة شريفة ونبيلة ورجل أفاق وهذا شيء لا يمكن أن أسامحه عليه..

الرجـــــــل : وأنا أيضاً لا يمكن أن أسامحه على هذا.. لم تخبريني، من فينا الرجل ومن فينا المرأة ؟

المــــــــرأة : أنت الرجل طبعاً..

الرجـــــــل : متأكدة ؟

المــــــــرأة : وأنا المرأة.. أنا المعتدى عليها في عقر فراشها.. أنا (المسكينة) أنا «المظيليمة». أنا اللي باعوني ،، أنا اللي .. (تغني)

الرجـــــــل : يا سيدتي اللي باعوها هذا المسرح مسرح آخر. وفيه اختلط كل شيء. والتبس كل شيء. وأصبح الرجل يقوم بدور المرأة، والمرأة تقوم بدور الرجل ، وعليه، فإنني أسألك، وفي قلبي شك كبير، هل أنت فعلاً امرأة، وهل أنا فعلاً رجل ؟

المــــــــرأة : سؤال بليد وعبيط ومتخلف وملغوم..

الرجـــــــل : نعم. ولكنه سؤال حقيقي. وحق لا إله إلا الله هو سؤال حقيقي. المرأة ليست دوراً من الأدوار والرجل أيضاً..

المـــــــرأة : كلام لا يعنيني ، والشيء الذي لا يعنيني لا أسمعه.. آه لو كنت على الأقل أعرف من أنا..

الرجـــــــل : سيأتي في يوم من الأيام، من يقول لك من أنت..

المـــــــرأة : وليته يأتي بسرعة. يأتي قبل أن يرتد إلي طرفي..

الرجـــــــل : ستعرفين كل شيء، ومن بعد ستقولين، يا ليتني ما عرفت. الجهل نعمة أحياناً يا امرأة..

المـــــــرأة : أحياناً نعم، ولكن ليس في كل الأحيان..

الرجـــــــل : وسيقول لك أيضاً، ماذا تفعلين في فراشي وفي غرفتي، وعلى هذه المعرفة يتوقف السؤال الذي يؤرقني ويعذبني ..

المـــــــرأة : وهذا السؤال الخطير (تقولها باستهزاء) هل يمكن أن أعرفه؟

الرجـــــــل : من حقك أن تعرفيه لأنه يخصك، فأنا لا أنقطع عن سؤال نفسي، هذه المرأة يعني أنت هل أحترمها أم لا أحترمها.؟

المـــــــرأة : يا أخي احترمني ولن تخسر شيئاً..

الرجـــــــل : إن كنت (مولاة الدار) فلك الاحترام والتبجيل و.. الخوف أيضاً..

المـــــــرأة : وإن لم أكن؟

الرجـــــــل : فأنت معتدية وغازية وابنة شوارع وابنة ليل.. البقية أكمليها من عندك..

المـــــــرأة : «يشويني فيك». فأنت السفيه الذي لا ينطق إلا بما فيه..

الرجـــــــل : الله أكبر. الحرب على الأبواب..

المـــــــرأة : تأكد أيها الأفاق بأن هذا البيت بيتي أنا، أما أنت، فما أنت إلا سارق وقاطع طريق ومزيف..

الرجـــــــل : أنا سارق؟ أنا ؟ وهذا الوجه الملائكي هل يعقل أن يكون وجه قاطع طريق ؟

المـــــــرأة : نعم.. أنت سارق. وقد تسللت من شباك البيت ودخلت..

الرجـــــــل : وأين هو شباك هذا البيت ؟ أين ؟

المـــــــرأة : وما يدريني؟ قد تكون أيها الملعون كسرت باب البيت ودخلت.. أخرج من بيتي بسرعة. أخرج قبل أن أنادي على الخدم..

الرجـــــــل : سبحان الله ..؟ لك خدم يا (بنت الحازقين) ؟

المــــــــرأة : أتمنى ذلك..

الرجــــــل : آه تتمنى.. وهذا لا يكفي.. وحق لا إله إلا الله لا يكفي..

المــــــــرأة : سألقي بك خارج البيت..

الرجــــــل : سأقاوم.. هل سمعت؟ ولن تمري إلا على جثتي..

المــــــــرأة : من الأحسن أن ترفع الراية البيضاء ، وأن تستسلم..

الرجــــــل : أبداً..سأقاوم حتى آخر وسادة..(يتراشقان بالوسائد..يتطاير الريش في الفضاء .. يسمع صوت فرقعات ورشاشات)

المــــــــرأة : أخرج حياً.. فهذا أحسن لك..

الرجــــــل : وحق لا إله إلا الله لن أخرج. فهذا البيت بيتي والسرير سريري..

(تهز المرأة السرير بعنف، فينقسم قسمين، و يظهر رجل وهو يباعد بينهما)

2 - كانوا اثنين .. ثم أصبحوا ثلاثة ..

(يرتدي الرجل زياً رسمياً أسود اللون.. يخفي يديه في قفازات بيضاء، ويخفي عينيه خلف نظارات سوداء .. بإشارة من يديه، يدعو الرجل والمرأة إلى التزام الهدوء)

المـــــــرأة : وهذا الرجل.. من أين خرج ؟

الرجـــــل : لست أدري..

المـــــــرأة : من قبل. كنا اثنين.. ثم من بعد أصبحنا ثلاثة.. فكيف حصل هذا؟ ولماذا؟

الرجـــــل : لماذا ؟ الأمر سهل. فحتى يستقيم الحساب لابد من ثلاثة..

المـــــــرأة : هل رأيت ؟ إنه رجل أيها الغريب..

الرجـــــل : وما يدريك ؟ قد يكون امرأة متنكرة..

المـــــــرأة : نعم . وما هو الحل في نظرك ؟

الرجـــــل : نقوم بالكشف عنه ..

المـــــــرأة : «يشويني فيك «. قلت لك هو رجل هو رجل، ألا تفهم ؟ ولابد أنك تعرفه

الرجـــــل : قد يكون رجلاً ، ومع ذلك فإنني لا أعرفه. واسألي نفسك، ألا يكون ابن الجيران الوسيم؟

المـــــــرأة : آه. ما معنى هذا الكلام أيها الخبيث؟

الرجـــــل : معناه.. ها ها .. معناه هو معناه. ولست مسؤولاً إن كنت لا تعلمين ولا تدركين..

الآخـــــــر : يكفي .. يكفي، من حق المحاربين أن يستريحوا قليلاً..أقدم لكما نفسي، أنا خادم الجمال والسحر الفتان..

الرجـــــل : الجمال؟ ومن أين يأتيها الجمال؟ تشتريه أو تكتريه أو تستعيره من جارتها أم الخير؟

الآخـــــــر : واسمحي لي سيدتي أن أكون خادمك ؟

المـــــــرأة : لقد أنعمت عليك، وعينتك خادماً متجولاً .. (للرجل الأول) هل رأيت يا غليظ الرأس كيف تكون الرجولة الحقيقية؟ (للآخر) أهلاً ومرحباً بالسيد الخادم في بيتي ..

الرجـــــــل : سيد وخادم؟ ماذا أقول لكما، وحق لا إله إلا الله لم أعد أفهم شيئاً..

الآخـــــــر : أنا الثالث يا سيدتي الفاضلة. واسمحي لي أن (أبوس) يدك الكريمة

المـــــــرأة : ولأنك رجل جنتلمان فقد منحناك حق (البوس) بلا فلوس.. خذ..

(تمد له يدها ليقبلها)

الرجـــــــل : مدي إليه اليد الأخرى ليبوسها..

المـــــــرأة : سبحان الله. هذا رجل وذاك رجل ولكنهما مختلفان في كل شيء . حقاً أنت ولدتك امرأة حقيقية، أما هذا البغل فلا، وأظن أن التي ولدته بغلة .. بغلة بنت بغلة. ورغم أنهم يزعمون بأن البغلة لا تلد، فإنني أقول إنها تلد، والحجة على هذا هو أنت..

الآخـــــــر : يا سيدتي الفاضلة .. أنا بينكما هو المخلوق الثالث، أنا لست أنت، ولا أنت، وإنما أنا هو..

المـــــــرأة : ولماذا تكون الثالث ولا تكون الثاني؟ من بعدي طبعاً ..

الآخـــــــر : ماذا أقول لك؟ هكذا أراد السيد المؤلف؛ أن يكون الترتيب حسب الظهور على الخشبة. وقد ظهر هذا المخلوق قبلي..أما الأولى، بدون منازع ولا منافس، فما هي إلا أنت.. ومن كانت في مثل مقامك وجمالك، وفي مثل جلالة قدرك، وفي نبلك وشرفك، فإنها لا يمكن أن تكون إلا الأولى..

المـــــــرأة : آه ما أجمل هذا الكلام أيها الشاعر..

الآخـــــــر : لست شاعراً .. لسوء حظي.. أنا الثالث فقط، وهذا الرجل المحظوظ هو الثاني..

المـــــــرأة : لماذا تنظر إلي هكذا؟. تعلم كيف يكون الكلام الجميل. تعلم يا رأس الغول..

الآخـــــــر : هل تتصورين أيتها العزيزة مجرد تصور أن يكون هو الثاني وأكون أنا الثالث؟

المـــــــرأة : ماذا أقول لك أيها المظلوم ؟ هذه واحدة من أخطاء هذا الزمن اللعين اصبر قليلاً. اصبر. وغدا سوف تتبدل الأرض..

الآخـــــــر : لقد سبقني إليك، وفاز بك وحده، وخسرتك أنا، وها أنني في العراء والخلاء؛ بلا بيت ولا أهل وبلا عنوان..

المـــــــرأة : مسيكين ..

الآخـــــــر : ولكن لا. وحق الله لن أيأس ولن استسلم. وستأتي ساعتي يوماً، وأرفع رأسي عالياً في السماء، وأعيد ترتيب هذا البيت. وأخرجه من هذه الفوضى..

المـــــــرأة : هل رأيت أيها الرجل الطيب؟ لقد حول كل شيء إلى خراب ودمار، وكل هذا فعله وحده..

الآخـــــــر : لاتقلقي يا سيدتي الفاضلة، وما هذه إلا حرب صغيرة وعادي، ويمكن أن يقع مثلها في أرقى البيوت..

المـــــــرأة : هذه حرب؟

الآخـــــــر : ويسميها البعض حرب الوسائد، وهي أقل خطراً من حرب النجوم..

الرجــــــل : أتريد أن تقول إن هذه المرأة زوجتي؟

الآخـــــــر : مع الأسف. نعم..

الرجــــــل : ها ها. أنا متزوج ؟! وممن؟ من هذه المخلوقة العجيبة؟ لاشك أنك تمزح أيها البهلوان..

الآخـــــــر : صدقني، أنت متزوج فعلاًز، ولدي الدليل والبرهان..

الرجــــــل : ها ها .. لديه البرهان. إذن هات برهانك إن كنت من الصادقين. وبسرعة..

الآخـــــــر : تريد أن تعرف؟ إذن أدخل يديك في جيبيك وفتش جيداً. فتش وقل، هل وجدت شيئاً من متاع الدنيا؟

الرجــــــل : يا ويل أمي .. لاشيء في جيوبي ولا حتى.. فلس أحمر..

الآخـــــــر : وبهذا يعرف المتزوجون يا ولد الناس، وإن كان في نفسك شك، فاسأل السادة الحضور، لقد صدق الذين قالوا، اسأل المجرب، ولا تسأل الطبيب..

الرجــــــل : (وهو يفتش جيوب ملابس معلقة) لاشيء .. وحتى هذا المعطف لاشيء فيه..

الآخــــــــر : قدر المتزوجين يا صاحبي اللدود هو هذا، أن تتعرض جيوبهم كل صباح وكل مساء للغارات وللتمشيط وللتنظيف؛ بالماء والشطابة وبالجفاف..

الرجـــــــل : هكذا إذن، تسرقين مالي أيتها اللصة المحترفة والمنحرفة؟

المـــــــرأة : أمواله؟ ها ها ومن أين تأتيك الأموال، وأنت والفقر توأمان ملتصقان؟ أنت لا تملك إلا حياءك القليل، ولسانك الطويل.. أنت أفقر من الفقير، وأحقر من الحقير، وأرخص من الرخيص..

الآخــــــــر : الله الله .. حقاً، شتائم الحبيب أحلى من الزبيب. أنت أيها الأعمى لا تعرف النعمة التي أنت فيها .. أنت سلطان زمانك؛ متوج بلا تاج، ولكنك لا تدري..

الرجـــــــل : إن كانت هذه المرأة زوجتي فعلاً فإنني أحتج..

الآخــــــــر : وأنا أيضا أحتج .. وأحتج بعنف وقوة..

المـــــــرأة : وحتى أنا أحتج، وأدين، وأشجب، وأرفض، وأستنكر هذا الوضع الغريب والشاذ واللاإنساني واللاطبيعي واللامنطقي واللاواقعي واللاأخلاقي..

الآخــــــــر : كان من الممكن أن يكون الزوج هو أنا ..

الرجـــــــل : .. وليتك كنت..

المـــــــرأة : ولكن إرادة المؤلف لم تسعفك، ولم تسعفني، وهي إرادة ظالمة وغاشمة ومستبدة ومتسلطة..

الآخــــــــر : .. دعيني أكمل أنا..

المـــــــرأة : أكمل ..

الآخــــــــر : .. وهي أيضاً، إرادة قاهرة وحمقاء وبلهاء وعرجاء وعوراء ومتعسفة على قلوب العذارى ..

الرجـــــــل : يا رب العالمين .. شكونا لك الفيلة، فزدتنا هذا الفيل..

الآخــــــــر : اسمعي يا سيدتي محجوبة..

المـــــــرأة : اسمي محجوبة ؟

الآخــــــــر : نعم، وأنت وزوجك المحجوب هذا، متزوجان زواجاً مسرحياً. وفي المسرح لاشيء ثابت، ولاشيء دائم إلا الأدوار. فأنتما فعلاً زوجان ولكن.. في هذه اللحظة فقط، هل فهمت؟

المـــــــرأة : آه. ماذا أقول لك؟ تقريباً..

المحجـــوب : (يصبح اسمه المحجوب من الآن) وما معنى .. في هذه اللحظة فقط ؟

الآخــــــر : معناها أن المسرحية لا تزال طويلة، وقد تنقلب الأدوار في أية لحظة..

المحجـــوب : وليتها تنقلب. وبأقصى سرعة ممكنة..

الآخــــــر : .. وأصبح أنا زوجها الثاني، بعد أن تكون أنت قد رحلت، وأصبحت من سكان القبور، وتكون مواطناً آخروياً..

المحجـــوب : ها ها .. ومن قال لك بأنني أنوي أن أموت ؟

محجـــوبة : (يصبح اسمها محجوبة من الآن) آه .. ليت هذا يحصل قريباً؛ بكاء ساعة ولا بكاء كل يوم..

المحجـــوب : لعنة الله عليك أيتها الخائنة، أتقولين هذا في وجهي، وفي حضور هذا المخلوق الغريب؟

الآخــــــر : لم تفهماني. أنت المرأة. اتفقنا؟ وأنت الرجل، أليس كذلك؟ وأنا الآخر بينكما. في هذا الآن، ليس لي أي دور. ولكن من حقي أن ألعب كل الأدوار..

المحجـــوب : آه .. الآن فقط عرفت من تكون..

الآخــــــر : عرفت ؟ هنيئاً لك..

المحجـــوب : أنت الشيطان الرجيم..

الآخــــــر : خطأ.. (يضحك بخبث)

المحجـــوب : أنت إبليس (النحيس)..

الآخــــــر : مازلت لا تعرف شيئاً..

محجـــوبة : المحجوب .. (دير عقلك شوية)

المحجـــوب : ألا تعرفين أيتها السيدة الفاضلة مؤقتاً أنه ما اجتمع رجل وامرأة يعني أنا وأنت إلا وكان الشيطان ثالثهما ؟

محجـــوبة : لا أصدق .. أنت تخرف..

المحجـــوب : هو الشيطان قلت لك، ألا تفهمين يا امرأة؟

محجـــوبة : الله يستر.. الرجل أصابه شيء..

المحجـــوب : أنت امرأة حمقاء وبلهاء، وسيدفع بك هذا الساقط إلى السقوط ..(يضحك الآخر ضحكاً غريباً)

الآخـــــــر : يا سيدي .. يمكنني أن أكون الشيطان، ولكن ليس دائماً، إنني الثالث .. أنا الآخر افهماني جيداً وسألقاكما في أدوار كثيرة، وفي مواقف متعددة .. مثلاً .. يمكن أن أكون الزوج الثاني..

محجـــوبة : الزوج الثاني؟ أنت؟ ومتى يكون ذلك؟ متى؟

الآخـــــــر : متى؟ بعد أن تصبحي أرملة شابة وجميلة وغنية ..

المحجـــوب : وحق لاإآه إلا الله لن أرملها لك، هل سمعت أيها الشيطان البهلوان؟

الآخـــــــر : ليس الأمر بيدك ولا بيدي ولا بيد أحد، وما نحن سوى شخصيات في مسرحية، والمطلوب منك ومني ومنها أيضاً أن نؤدي أدوارنا بإتقان، وأن ننسحب في صمت. هل فهمت؟

المحجـــوب : صدقني إذا قلت لك، إن أجمل كل الأدوار التي تليق بك، هو دور القتيل..

محجـــوبة : إنهما يتخاصمان من أجلي أنا .. وإذا تطور الخلاف إلى الضرب بالسكاكين والخناجر، فإنه لابد أن أكلم البوليس.. آه. لو كنت على الأقل أستطيع أن أرى وجهي ..

المحجـــوب : ليس في وجهك ما يغري بالرؤية ..

الآخـــــــر : لا تصدقيه .. فأنت أجمل الحسان في كل زمان ومكان..

محجـــوبة : (لنفسها) أجمل الحسان؟ أليس في هذا البيت مرآة أيها الرجل الجنتلمان ؟

الآخـــــــر : فيه مرايا. بعدد الرمل والحصى وسوف ترين وجهك من كل الزوايا..

محجـــوبة : آه. لاشيء الآن يعادل لهفتي على المرآة.. نعم .. لاشيء ..

الآخـــــــر : هل تعرفين أيتها الفاتنة الساحرة أن السيد المؤلف عندما أوجدك اسماً ورسماً فقد أوجد معك هذه المرآة..(يخرج مرآة من مكان ما بطريقة سحرية)

محجـــوبة : يا الله .. إنه فعلاً مؤلف ذكي وفنان، وقد فكر في كل شيء .. اعطني مرآتي من فضلك..

الآخـــــــر : لا .. ليس الآن يا سيدتي الساحرة..

محجـــوبة : ليس الآن؟ ومتى أيها المحترم؟ متى؟

الآخـــــــر : بعد أن تغسلي وجهك؛ بماء الورد وماء الزهر، وبعد أن تأخذي

زينتك كاملة..(يأتيها بالطست والإبريق)

محجـــوبة : آه .. ما أروعك .. أنت أيضاً تفكر في كل شيء.. مثل السيد المؤلف ..

الآخــــــر : اغسلي وجهك.. اغسليه جيداً ، وتطهري بالماء البارد، إنه لابد من عبور المطهر للوصول إلى الجنة..

المحجــوب : آه .. وقد لا تكون الجنة فعلاً. افهميني. قد تكون جحيماً مموهاً، وأنت لا تدرين..

الآخــــــر : لا تصدقيه .. إنه زوج أحمق .. اهتمي بجمالك وحده، فهو الحقيقة كل الحقيقة في زمن لا حقيقة فيه.. خذي .. (يعطيها منشفة) امسحي الآن وجهك، ثم اذهبي إلى الدولاب.. ستجدين فيه كل ما تعشقين من أنواع الأزياء والحلي والعطور .. غيري ملابسك وشعرك وأظافرك وكل شيء فيك..

محجـــوبة : والمرآة يا سيدي؟

الآخــــــر : إنها في انتظارك .. رافقتك السلامة.. (تخرج محجوبة وهي تختال في مشيتها)

3 - تاجر من هذا الكوكب ..

المحجـــوب : أريد أن أعرف، من أعطاك الحق لتوجه حياتي كما تشاء؟

الآخـــــــر : هي حياة واحدة يا صاحبي، ونحن جميعاً نقتسمها ..

المحجـــوب : لا أظن، وهذا البيت، أليس بيتي؟

الآخـــــــر : هو بيتك، نعم، ولكن..

المحجـــوب : ولكن.. ولكن ماذا؟

الآخـــــــر : ليس بيتك وحدك .. لا تنس تلك المرأة الفاضلة، فهي شريكتك في كل شيء، في البيت والسرير، وفي الأرض والسماء، وفي هذا الآن، وفي ذلك الذي كان..

المحجـــوب : آه .. وتلك المرأة الفاضلة جداً هي زوجة من، يا سيدي العالم؟

الآخـــــــر : إنها زوجتك طبعاً.. زوجتك وحدك.. ما أسعدك بعروسك أيها العريس..

المحجـــوب : وأنت.. أنت.. ألا تقول لي من تكون؟

الآخـــــــر : أنا؟ سبحان الله، ألا تعرفني؟ أنا تاجر من هذا الكوكب الضيق.. تاجر صغير وفقير وحقير.. نعم، أنا مجرد تاجر متجول في أرض الله الواسعة. هل تصدق هذا؟ لقد أوقفت حياتي على خدمة الناس الطيبين والشرفاء والنبلاء من أمثالك..

المحجـــوب : أنا لست طيباً.. هل سمعت ؟

الآخـــــــر : لا أصدق..

المحجـــوب : خصوصاً مع الثقلاء والغزاة أمثالك..

الآخـــــــر : سامحه يا من خلقته، إنني أطوف الأبواب المغلقة وأطرقها؛ باباً بعد باب، وأعرض السلع المهربة على الزبائن .. انظر .. (يلتفت حوله في خوف) لدي كل ما تريد ..(يأتي بحقيبة ويفتحها، ويخرج منها أشياء كثيرة)

المحجـــوب : أنا لا أريد أي شيء..

الآخـــــــر : غير ممكن، ولا حتى انصرافي؟

المحجـــوب : لا .. هذا أعطي فيه نصف عمري أو أكثر قليلاً..

الآخـــــــــر : ما أفظعك أيها الخبيث .. انظر.. هذه ربطة عنق حريرية..

المحجــــوب : لا أريدها..

الآخـــــــــر : ولكن هي .. ألم تفكر فيها؟ إنها تعشقك، ولا ترضى بغيرك لابساً ومرتدياً صدقني إنها تليق ببذلتك الزرقاء..

المحجــــوب : ليس لدي بذلة زرقاء..

الآخـــــــــر : إذن فهي تليق ببذلتك الصفراء.. (يقرب منه ربطة عنق كبيرة جداً)

المحجــــوب : أبعدها عني .. إنها ربطة، ألا تفهم؟ وفوق ذلك، هي ربطة في العنق .. هنا .. إنها مشنقة مثلك، وأعوذ بالله منكما، وممن كان يشبهكما..

الآخـــــــــر : وهذا الطربوش الأحمر، ما رأيك فيه؟

المحجــــوب : ليس لدي رأي فيه..

الآخـــــــــر : إنه طربوش وطني .. ألا ترى يا أعمى؟ خذه وقبله، وإلا أصبحت خائناً لوطنك، وجاحداً ومتنكراً لرمز من رموز بلدك..

المحجــــوب : يا رب العالمين .. ما أفظع هذا الرجل ..

الآخـــــــــر : سيدي المحجوب صدقني، إن هذا الطربوش الوطني يمكن أن ينفعك، تماماً كما نفع كثيرين قبلك، ففيه لو تدري من المزايا والفوائد ما لا يعد ولا يحصى..

المحجــــوب : يا سيدي .. انتفع وحدك، وفز بالفوائد وحدك..

الآخـــــــــر : وحدي؟ لا أقدر. وحق الله لا أقدر، هكذا هو أنا يا صاحبي، وهذه هي أخلاقي..

المحجــــوب : (بسخرية) ها ها .. أخلاقك ؟ وأين هي أخلاقك يا أبا الأخلاق؟ أين هي؟

الآخـــــــــر : ألم تسمع الناس في الأمثال والحكم يقولون إن الطربوش الأحمر يمكن أن ينفع في اليوم الأسود ..

المحجــــوب : واليوم الأسود هو هذا اليوم.. أليس كذلك ؟

الآخـــــــــر : آه .. تقريباً .. يا سبحان الله .. الرجل بدأ يفهم.. إذاً ماذا تنتظر؟ خذ الطربوش ولا ترده، إنه على مقاس دماغك تماماً، خذه.. هدية مني، إكراماً لكرمك، وثمناً للقهوة التي لم تشربها في بيتك..

المحجـــوب : لن آخذه .. هل سمعت؟ ولا تسألني لماذا.. (يلقي بالطربوش جانباً)

الآخـــــــر : آه .. حظي اليوم سيئ، وقد أسقطني على زبون صعب وابن كلب. حقاً، إن التجارة الرابحة لا تكون إلا مع النساء، أما الرجال فجنس عفاريت..

المحجـــوب : الصباح لله. الباب يا سيدي من هنا..

الآخـــــــر : أعرفه .. فمنه دخلت ..

المحجـــوب : وماذا تنتظر لكي تتفضل حضرتك بالخروج منه؟

الآخـــــــر : يا سبحان الله .. ألا تعرف، بأن دخول الحمام ليس كالخروج منه؟

المحجـــوب : وهذا ليس حماماً، ولكنه بيت..بيتي أنا ..

الآخـــــــر : نعم، وإنه لبيت مريح .. لقد أتعبني المشي يا صديقي، ومن حقي أن أرتاح قليلاً.. (يستلقي على الفراش)

المحجـــوب : ذلك فراشي أيها الملعون .. فابتعد عنه..

الآخـــــــر : أعرف.. إنه فراشك، ولكنني لا أقدر أن أبتعد عنه..

المحجـــوب : أنا لابد سأقتلك هذا اليوم..

الآخـــــــر : وأنا لا يمكن أن أموت لك هذا اليوم ..

المحجـــوب : سأدمر كرامتك أيها التاجر..

الآخـــــــر : كرامتي؟ بعتها في سوق الخردة، وبثمنها اشتريت تنفيحة.. يا الله. ما أحقر كرامة لا تساوي أكثر من عطستين..

المحجـــوب : بحق الله .. ابتعد عني، ودعني لهمي، فورائي اليوم كثير من الأشغال..

الآخـــــــر : لاشيء وراءك، ولاشيء قدامك، وما الحياة إلا تمثيل في تمثيل. وأنا هنا أمثل كل شركات الإنتاج، هل لديك مانع؟

المحجـــوب : لدي مليون مانع..(تنبعث موسيقا من الحاكي القديم، معلنة عن ظهور شخصية مهمة)

الآخـــــــر : هس.. الزم الصمت ولا تقل شيئاً.. (تدخل محجوبة وهي في كامل أناقتها.. تمشي على وقع الموسيقا، متبوعة ببقعة ضوء متحركة .. تمشي بنخوة ودلال وهي ترتدي زياً «فنطازياً» يحاكي الطاووس.. تمسك بيدهامروحة من ريش النعام)

المحجـــوب : هذه امرأة .. من أين خرجت، ومن عساها تكون؟
الآخـــــر : يا سبحان الله .. ألا تعرفها؟
المحجـــوب : يا رب العالمين. كأنني رأيتها من قبل. فهذا الوجه ليس غريباً علي..
الآخـــــر : إنها السيدة زوجتك .. للا محجوبة..
المحجـــوب : غير ممكن..
الآخـــــر : تقدم منها.. بأدب واحترام، وقبل يدها. مدي إليه أنت يدك.. (يهمس له في أذنه) تمسكن أيها العفريت حتى تتمكن..
المحجـــوب : يا الله. حقاً، لقد قالها الأولون ولم يخطئوا..
الآخـــــر : ماذا قالوا؟
المحجـــوب : (وهو يتأمل المرأة في استغراب شديد) تفعل الحمقاء بنفسها أسوأ مما يفعل العدو بعدوه..
محجـــوبة : يشويني فيك. هكذا ستبقى دائماً؛ جاهلاً ومتخلفاً.. هذه أنا أيها الأعمى .. أنا..
المحجـــوب : أنت ؟ من أنت ؟
محجـــوبة : من أنت؟ الله يجيبك على خير .. (وهي تتأمل نفسها في مرآتها) أما هذا الزي العجيب والغريب فهو زيي أنا، وهو زي الأميرات الساحرات والفاتنات..
المحجـــوب : الأميرات، نعم، ولكن، في أي عصر أيتها الحمقاء؟
الآخـــــر : لا تنتبهي لكلامه يا سيدتي. حقاً ، إن عصر هذا الزي قد مضى، ولكن هذا لا يهم..
المحجـــوب : لا.. لا، بل يهم يا صديقي اللدود، ويهم كثيراً كثيراً. هل تريد أن تعرف لماذا؟ لأن أصحاب هذه الملابس الحقيقيين قد ماتوا، وشبعوا موتاً..
محجـــوبة : (مذعورة) ماتوا؟ هل سمعت (للآخر)؟
الآخـــــر : اهتمي بنفسك وجمالك، ولا تلتفتي لكلامه.. فأنت الآن محور كل الأزمان، وأنت عاصمة الجمال في كل مكان ..
محجـــوبة : أنا؟
الآخـــــر : نعم أنت، وقد تجمع فيك ما تفرق في كل نساء الكون ..
المحجـــوب : ها ها .. كلام مجانين.. اسمعي ما أقول لك، أهل هذا اللباس

الكرنفالي يا مدام ليسوا من هذه الأرض، ولا من هذه الدنيا، ولا من هذا الزمان ..

محجـــوبة : لن أرد عليك، ويكفي أن أقول لك، يشويني فيك..

المحجـــوب : إن هذا التاجر الفاجر يضحك عليك، ألا تفهمين؟ وما هذا اللباس إلا من سوق (الجوطية) وفيه كثير من رائحة الموتى ومن رائحة المقابر ..

محجـــوبة : (باشمئزاز) الجوطية؟ ألا ما أغباك، وما أتفهك أيها الرجل، ألا تعرف غير هذه اللغة الساقطة والمتدنية والرخيصة؟

المحجـــوب : إنها لغتي يامدام..

محجـــوبة : أعرف.. أعرف..

المحجـــوب : وليس لي غيرها..

الآخـــــــر : يمكنني أن أعلمك غيرها .. مجاناً، ودون مقابل ..

محجـــوبة : لغتك أيها الرجل الغريب، هي لغة هذا الوقت المتخلف، وهي لغة الدهماء والفقراء والأوباش، ولغة السواد الأعظم من الناس، فهل أنت منهم؟

المحجـــوب : أنا منهم يا مدام وهم مني.. ماذا أقول لك، ما أتعس الإنسان وأشقاه عندما تكون ملابسه أغلى منه وأرفع منه، فتكون السيدة والمولى، ويكون هو التابع والخادم ..

محجـــوبة : (وهي تتأمل نفسها في المرآة) يا الله.. ما أجملني.. لا أظن امرأة قبلي لبست مثل هذا اللباس ..

المحجـــوب : (كأنه يكلم نفسه) ما أسعد الإنسان عندما يكون أشرف وأنبه وأغنى من ملابسه، تكون قيمته أكبر من كل الأشياء، وتكون أخطر من كل المقتنيات..

الآخـــــــر : لم تخبريني بعد أن لبست أثوابي وتزينت كيف وجدت نفسك؟

محجـــوبة : أجمل وأحلى وأبهى من القمر عند اكتماله..

الآخـــــــر : أصبح من حقك الآن يا سيدتي أن تقارني نفسك بهذا المخلوق..

محجـــوبة : أي مخلوق؟ (وهي تنظر حولها) إنني لا أرى أحداً على الأرض..

الآخـــــــر : ماذا تقولين؟ هل نسيت السيد زوجك؟ ذلك الكائن الغريب الذي يسمى المحجوب..

محجـــوبة : آه.. حرام عليك، ذكرتني فيه، وقد كنت نسيته تماماً.. أما زال على قيد المسرحية؟

الآخـــــــر : قارني نفسك به وأخبريني ، كيف وجدت الفرق بينكما؟

محجـــوبة : أوه. وجدته مهولاً وخرافياً وفظيعاً وظالماً.. الآن فقط تذكرت شيئاً مؤلماً..

الآخـــــــر : ماذا تذكرت؟

محجـــوبة : أنني لم أتزوج هذا الرجل بمحض اختياري وإرادتي..

الآخـــــــر : كنت أعرف هذا، وكل شيء واضح..

محجـــوبة : وحق الله. لقد زوجوني منه غصباً عني.. لقد هددوا أبي ، وضايقوه في تجارته، وفي أمواله..

المحجـــوب : عجباً. أبوك يا ابنة (الحازقين) كانت له أموال وتجارة؟

محجـــوبة : .. وهددوا أمي أيضاً ..

المحجـــوب : حتى أمك؟

محجـــوبة : وأقلقوا راحتها، وخلقوا لنا المتاعب الكبرى وكل هذا من أجل ماذا؟ من أجل أن أرضى بهذا ال.. محجوب زوجاً وبعلاً..

الآخـــــــر : حقاً، هي تضحية كبرى وخطيرة..

محجـــوبة : هي أكبر من تضحية، هي انتحار يا سيدي ..

الآخـــــــر : فعلاً، هي انتحار ..

محجـــوبة : في تلك الأيام، كنت في عمر الورد. كان معي أربعة عشر ربيعاً، أما هو فكان عمره يزيد على الستين خريفاً..

المحجـــوب : لم تخبرينا يا مدام من علمك فنون الكذب، من ؟ ومتى؟

الآخـــــــر : كل شيء يمكن أن تتعلمه المرأة، إلا هذا، وفي مجال الكذب في العمر، فإنها لا تحتاج إلى معلم .. لا تنس هذا أبداً..

المحجـــوب : أنا أول مرة أراك فيها، أراك في هذا العمر؛ شمطاء رقطاء عوجاء (قرشاء) حولاء ..

محجـــوبة : يشويني فيك.. هل رأيت يا سيدي؟ (للآخر) إنه يشتمني..

الآخـــــــر : لا تنتبهي له، ودعيه يموت بسمه، إنها الغيرة، والغيرة قاتلة، وهي تفعل أكثر من هذا..

المحجـــوب : هذا كثير.. كثير جداً .. هو وضع غريب حقاً وشاذ وغير مفهوم، وعليه، فإنه لا يمكن أن يستمر طويلاً.. لماذا؟ أقول لكما لماذا، لأنه مخالف للعقل والمنطق، ومخالف للأخلاق؛ زوج عاقل وحكيم، والذي هو أنا، وامرأة حمقاء وبلهاء وهي أنت..

محجـــوبة : آويلي .. أنا ؟

المحجـــوب : ورجل رمادي وشبحي وهلامي ودخاني وزجاجي وفضولي، وهو هذا الرجل الحربائي..

الآخــــــر : إنه يتكلم عني، ويذكرني بكل خير..الله يكثر خيرك ..

المحجـــوب : إن الأمر يتطلب أن أقوم بثورة تصحيحية، وسأفعل ذلك بعون الله، ولقد آن الأوان، لكي آخذ زمام السلطة بيد من حديد، وأن أصبح الحاكم الأوحد والأسعد في هذا البيت، وفي كل هذه البلاد. وفي ذلك الوقت يا مدام محجوبة قولي لملابس الخردة أن تنفعك، وقولي لهذا الشبح أن يفعل شيئاً من أجلك..أودعكما الآن، وإلى لقاء قريب..

محجـــوبة : إلى أين يا.. يا.. ؟ (يخرج المحجوب وهو في حالة غضب)

الآخــــــر : إلى أين؟ إلى جهنم وبئس المصير..

محجـــوبة : ماذا قلت لي بخصوص اسمه؟ ذكرني فيه رجاء ..

الآخــــــر : اسمه المحجوب ..(يضحكان)

4 - علمني فنون الغواية والإغراء ..

(محجوبة والآخر، وحدهما بعد أن خرج المحجوب)

محجوبة : الآن، وقد أصبحنا وحدنا، فإنه لابد أن أسألك..

الآخر : اسألي يا بنت الناس كما تشائين..

محجوبة : إنني أريد أن أعرف، أنت. من أنت؟

الآخر : من أنا؟ (يضحك ضحكة ماكرة) وهل يفيدك هذا في شيء؟

محجوبة : وأيضاً، أريد أن تخبرني، من أين جئت؟ وكيف جئت؟ ولماذا؟ ومن أجل ماذا؟ أو من أجل من؟ إن كان ذلك من أجل امرأة، فقل لي من هي، وهل هي إنسية أم جنية؟ هل هي من هذه البلاد؟

الآخر : نعم، هي من هذه البلاد ..

محجوبة : ومن هذا الحي؟

الآخر : ليس في هذه البلاد إلا هذا الحي ..

محجوبة : ألا تكون من هذا البيت مثلاً ؟

الآخر : (يضحك ضحكته الماكرة) يا سيدتي الفاضلة، من كل هذا يكفيك أن تعرفي شيئاً واحداً، يمكن أن يغنيك عن كل الأشياء، وهو أنني تاجر..

محجوبة : أنت تاجر ؟ لا أصدق..

الآخر : والتجارة لقاء بالناس ، الطيبين وغير الطيبين، لقاء في الأماكن العامة، والخاصة أيضاً، وهي أخذ وعطاء، وتبادل ومقايضة وهي مصداقية حيناً.. وغش في أغلب الأحيان ، وقد علمتني هذه التجارة أن أغوص في أوحال النفوس، وأن أعرف الناس، وأن أصبح مع الأيام عالماً وحكيماً وخبيراً ومجرباً..

محجوبة : و.. يا ربي .. (محرجة) ماذا أريد أن أقول؟ اسمح لي على هذا السؤال البليد يا سيدي .. ألا تكون مثلاً شيطاناً من الشياطين؟

الآخر : أولاً، هذا السؤال ليس بليداً يا سيدتي، ولكنه خبيث..

محجوبة : وثانياً يا .. سيدي؟

الآخـــــــر : وثانياً، أريدك لو تخبريني. هل لديك مانع في أن أكون شيطاناً أو جنياً أو شبحاً ؟

محجـــوبة : في الحقيقة .. لا..

الآخـــــــر : .. أو أن أكون ساحراً أو عرافاً أو دجالاً ؟

محجـــوبة : أبداً .. أبداً يا سيدي ..

الآخـــــــر : أو مشعوذاً أو مزوراً أو مزيفاً أو مقامراً أو مغامراً أو ..

محجـــوبة : لا .. لا. وماذا يهمني أنا من كل هذا؟ المهم عندي أنك الآخر، وأنك تعرف كثيراً، وأن مرآتك صادقة ..

الآخـــــــر : صادقة ؟ ليس دائماً ..

محجـــوبة : وأن ملابسك رائعة وباذخة، وأن عطورك طيبة وجذابة، وأن كلامك ممتع و مقنع، وهذا.. يكفي..

الآخـــــــر : آه.. الآن فقط ، قلت كلاماً مفيداً..

محجـــوبة : وإذا سمحت.. لدي كلام آخر مفيد.. إنني أريد أن تأخذ بيدي، وأن ترشدني، وتهديني، وأن تنعم علي بوصاياك الحكيمة..

الآخـــــــر : إن التجربة علمتني، وهي وحدها مدرستي، ولذلك فإنني أقول لك ما يلي .. انتبهي جيداً لما أقول، كوني كما يشاء الناس، إذا كنت تريدين أن تكوني سيدة الناس..

محجـــوبة : ما يشاء الناس، ولكن، ما قولك سيدي، في ذلك الشيء الآخر، والذي أريده أنا ؟

الآخـــــــر : ما تريدينه أنت يحققه الآخرون، هل فهمت؟ يحققونه وهم لا يشعرون..

محجـــوبة : يا سيدي.. علمني فنون العيش وقل لي كيف ينبغي أن أكون.

الآخـــــــر : ماذا أقول لك ؟ كوني أنت وكفى. ذكية أحياناً، وعاقلة أحياناً، ولكن. احرصي على أن تكوني جميلة وفاتنة في كل الأحيان.. هل فهمت؟

محجـــوبة : فهمت أن أكون جميلة، ولكن .. ما الجمال يا سيدي؟

الآخـــــــر : الجمال سحر، أهونه وأرخصه السحر الحلال، وأخطره وأغلاه السحر الحرام..

محجـــوبة : آه يا ولد الحرام.. (تضحك بخبث) يا ويلي .. ماذا قلت؟ خرج هذا الكلام من فمي من غير أن أشعر ..

الآخـــــر : يحدث هذا أحياناً .. وأنا طبعاً لا أرضى لك إلا سحراً مثيراً وقاتلاً ومدمراً ومرعباً..

محجــــوبة : أكرمك الله يا سيدي، وماذا أيضاً ؟

الآخـــــر : وكوني محبوبة ومطلوبة ومعشوقة.. اجعلي القلوب تحترق بوصلك وفراقك، وتذوب بصهدك وبردك..

محجــــوبة : يا الله .. وما الحب؟ وما العشق؟ خبرني عنهما أكرمك الله..

الآخـــــر : إنهما لعبة اللاعبين ..

محجــــوبة : (تردد كالصدى) لعبة اللاعبين ..

الآخـــــر : وهما وهم الحالمين المجانين ..

محجــــوبة : (تردد كالصدى) وهم الحالمين المجانين ..

الآخـــــر : وهما أيضاً ، جحيم الخاسرين والفاشلين وبذلك، فإنني أوصيك بشيء..

محجــــوبة : نعم، بأي شيء توصيني أيها التاجر الحكيم؟

الآخـــــر : بأن تكوني معشوقة وكفى..

محجــــوبة : (تردد كالصدى) معشوقة وكفى ..

الآخـــــر : وألا تطلبي أحداً، خارج ذاتك، كائناً من كان هذا الأحد، هل سمعت؟ وإذا كان لابد من معشوق، فابحثي عنه في هذه المرآة..(يعطيها المرآة)

محجــــوبة : (وهي تنظر إلى وجهها في المرآة) هذه أنا.. يا سيدي..

الآخـــــر : نعم، ومن غيرك أنت، أحق بأن يحب ويعشق. هل فهمت؟

محجــــوبة : نعم فهمت..تقريباً فهمت ..

الآخـــــر : إياك .. إياك أن تنظري لوجه خارج هذه المرآة، فالسحر كل السحر هنا، والفتنة كل الفتنة هنا، ولاشيء أخطر من الأحلام على قلوب العذارى..

محجــــوبة : الله .. هكذا يكون الكلام وإلا.. فلا كلام ولا أحلام .. وماذا أيضاً يا سيدي؟

الآخـــــر : كوني باكية دائماً.. ابكي بالدمع الغزير..

محجــــوبة : الدمع؟ وما الدمع؟ ومتى يكون؟ وأين يكون؟ ولمن يكون؟ ولأجل ماذا، أو لأجل من يكون؟

الآخــــــــر : الدمع ماء الشفاء، وسلاح الضعفاء، وحيلة السفهاء. وإنني أوصيك به خيراً ابكي بالدمع فقط .. هل سمعت ؟ وإن كان لابد أن تتألمي، فتألمي مع وقف التنفيذ..

محجــــوبة : يا إلهي! ما أجمل كل هذا الذي تقول!

الآخــــــــر : واحرصي أيضاً ، على أن تكوني فاتنة وساحرة دائماً، وتعلمي فنون الغواية والإغراء، أما إذا حدثوك عن شيء يسمى الاحترام، فلا تنتبهي لهم، هل تعرفين لماذا ؟

محجــــوبة : لماذا يا سيدي؟

الآخــــــــر : لماذا ؟ لأن الفتنة لها ثمن، والسحر له ثمن، أما الاحترام فبالمجان..

محجــــوبة : رائع.. رائع كلامك. وماذا أيضاً ؟

الآخــــــــر : تجددي دائماً، وتلوني، وتحولي، كأمك الأرض .. كوني صيفاً حاراً، وكوني خريفاً دافئاً، وكوني شتاء ممطراً، وكوني أيضاً، ربيعاً منعشاً وهادئاً وممتعاً.. اشرقي صباحاً، واغربي مساء، وكوني نوراً وظلمة، وكوني ليلاً ونهاراً ، وارعدي وابرقي وزمجري وامطري واعصفي كما تعصف الرياح..

محجــــوبة : (تردد كالصدى) واعصفي كما تعصف الرياح..

الآخــــــــر : اسمعي .. إذا كنت زوجة، وكان لك بغل.. عفواً.. إذا كان لك بعل، فاحرصي على أن تكوني أنت قطة .. قطة شرسة..

محجــــوبة : وأظن.. أنني الآن زوجة.. أو أنني .. كنت زوجة، والله أعلم..

الآخــــــــر : أما إذا كنت أماً، فإنه لابد أن تكوني لبؤة مفترسة. هل فهمت؟

محجــــوبة : نعم نعم. فهمت، وماذا أيضاً ؟ حديثك شعر وسحر..

الآخــــــــر : واسمعي أيضاً. لا تكوني حكاية أو رواية أو خرافة؛ خرافة تحكى للأطفال قبل النوم، وكوني أسطورة حقيقية..

محجــــوبة : (تردد كالصدى) وكوني أسطورة حقيقية..

الآخــــــــر : أسطورة يؤمن بها الكبار، ونكون في دولتهم دستوراً، وتصبح في عيشهم اليومي عبادة وعقيدة..

محجــــوبة : يا سيدي الذي لا أعرف اسمه، خبرني عن هذا الشيء الذي يلتصق بي. مع أنه ليس مني، ماذا يكون ؟ (مشيرة إلى لباسها)

الآخـــــــر : إنه رداؤك يا امرأة..

محجــــوبة : لم أفهم. وما الرداء يا سيدتي؟

الآخـــــــر : إنه جلدك الثاني..

محجــــوبة : ماذا تقول ؟

الآخـــــــر : أو هو جلدك الثالث أو الرابع أو العاشر أو العشرون أو المائة أو الألف. لست أدري ، وبقدر ما نملك من الثياب نتعدد ونتجدد. نحن والثعابين أبناء عم..لا نسكن إلا جلدنا ..

محجــــوبة : وكنت أريد أن أعرف أيضاً. أنا من أنا ؟

الآخـــــــر : أنت؟ أنت بنت ..

محجــــوبة : كنت أظنني امرأة..

الآخـــــــر : نعم، والأصل هي الأنثى أيتها الأنثى، أنت بنت من بنات الأفكار، ومن بنات حواء..

محجــــوبة : الأفكار ؟ أفكار من يا سيدي ؟

الآخـــــــر : أفكار كاتب غريب ومجنون. كاتب نسي هو اسمه الأول، ونسيت أنا اسمه الثاني، ونسي التاريخ اسمه الثالث..

محجــــوبة : يا سيدي. لدي كثير من الحروف المشاغبة الأخرى..

الآخـــــــر : مثل ماذا يا بنت الناس ؟

محجــــوبة : مثل ماذا ؟ مثل .. كيف .. وهل .. ومن .. وكم .. وما .. وذا .. ولماذا .. ووو ..

الآخـــــــر : آه. هذا شيء جميل. أتفهمين؟ إنك تسألين وتتساءلين، وهذا معناه. أن كل شيء فيك وحولك يستحق أن يعرف ويفهم، عندما نتعلم السؤال يولد العالم فينا ومن حولنا. أما قبل ذلك فإنه لا يكون..

محجــــوبة : وآخر الكلام يا سيدي ؟

الآخـــــــر : آخر الكلام هو ألا تقبلي شيكاً، من أحد وليكن شعارك دائماً وأبداً. الكاش الكاش وإلا..

محجــــوبة : وإلا ماذا يا سيدي ؟

الآخـــــــر : وإلا .. وإلا (بلاش) كل شيء أو لاشيء، وأنصاف الأشياء طموح التافهين والمحدودين وأنصاف الناس، وأنصاف الرجال وأنصاف النساء..

(يسمع صوت ضجيج بالخارج، فتنتفض محجوبة مذعورة)

محجـــوبة : من ؟ من هناك قل كلمة السر بسرعة. قلها وإلا أطلقت عليك النار..

الآخـــــر : ماذا تخرفين يا امرأة. أنت نارك نار أخرى. نار معنوية وليست حقيقية هل فهمت؟

محجـــوبة : أظنني فهمت. ولكنني لا أعرف من بالباب..

الآخـــــر : هذا زوجك المحجوب، عاد لينتقم مني ومعه الغضب..

محجـــوبة : الغضب ؟ أقلت الغضب يا سيدي؟

الآخـــــر : نعم، ومن الأحسن أن أنسحب أنا .. أنسحب أو أهرب، لا يهم.. المهم هو أن أنجو بحياتي ..

محجـــوبة : ولكن .. أتتركني وحدي معه، وما أنا إلا امرأة بلا حول ولا قوة؟

الآخـــــر : ها ها. أنت بلا حول ولا قوة؟ أنت مدمرة ومصفحة، أنت كاسحة ألغام، أنت نفاثة وغواصة، أنت أسلحة الدمار الشامل كلها، أنت جيش بكامله..

محجـــوبة : إنك تسخر مني يا سيدي..

الآخـــــر : أبداً.. أبداً يا سيدتي. أنت فقط ينقصك شيء واحد أوحد، وهو أن تثقي قليلاً بنفسك وبمواهبك الخارقة. هذا كل ما ينقصك والسلام..

(مرة أخرى يرتفع صوت الضجيج خارج البيت)

محجـــوبة : إنه يقترب، وأظنه الآن عند الباب..

الآخـــــر : إذاً، فهو الوداع يا سيدتي. الوداع. وغداً لابد أن أعود. ومن يدري. فقد نلتقي بعد قليل، وأكون في.. دور آخر، وفي زي آخر..(يخرج وهو يجري)

محجـــوبة : خسارة. إنه حكيم حقاً، ولكنه جبان. لقد بخره الرعب، وأصبح كأنه لم يكن..

5 - لعبة الحاكم العام و(المدام)

(يدخل المحجوب وهو في زي «فنطازي» غريب، يضع على رأسه عمامة كبيرة جداً، تتوسطها ريشة ملونة .. يمسك بيده سوطاً، يفرقعه في الهواء وكأنه مروض أسود في السيرك)

المحجـــــوب : أين هو ذلك الخنزير، أين اختفى؟ لقد تركته حياً. وكان هنا، في بيتي، قريباً من فراشي، يقول الأكاذيب، ويزور التاريخ، ويحكي الأساطير و الخرافات، ويروج الإشاعات والتفاهات..

محجـــــوبة : المحجوب.. أهذا أنت أيها التعس ؟

المحجـــــوب : هذا أنا، وهذه أنت؛ وجهاً لوجه .. هيا .. ماذا تنتظرين؟ قولي لهم أن يأتوني به حياً أو ميتاً.. انتظري.. من الأحسن لو يأتوا به مشنوقاً بطريقة جيدة. أو مصلوباً على لوح، أو مقطعاً إرباً إرباً..

محجـــــوبة : عمن تتحدث يا .. زوجي المخيف؟

المحجـــــوب : أتحدث عن الآخر. ذلك الوسخ الذي يدخل بين اللحم والظفر والذي لا يأتي عادة إلا إذا كنا لا ننتظره، ولا نريده، وهو يخرج لنا كالعفاريت من حيث لا ندري، ومن حيث لا نتوقع ..

محجـــــوبة : لقد غير الزي والدور ليكون أهلاً لمحجوبة ..

المحجـــــوب : (غاضباً وهو يكلم أشخاصاً وهميين في خلفية المسرح) يا ابن الأبالسة، ألف مرة قلت لك اهتم بشغلك جيداً، ولكنك لا تسمع، ولا ترى.. هيا. اعط الموسيقا المناسبة للرجل المناسب، والذي هو أنا، وللموقف المناسب، والذي هو هذا الموقف العجيب والغريب .. (يتوجه بوجهه إلى ناحية أخرى) وأنت أيضاً.. هاه. تضحك عليه، وأنت أبلد منه، وأتفه منه، أتتركني في الظلمة وأنا من أنا؟ اللعنة عليك. اهتم بشغلك جيداً، وزوّد الإضاءة قليلاً، واعطني الإضاءة المناسبة، أتريد أن تحجبني بالظلمة أيها العدو؟

محجـــــوبة : تريد الموسيقا والضوء وهذا معناه، أنك (رقاص) وستتحفني بوصلة رقص أليس كذلك ؟

المحجـــــوب : لا. بل سأتحفك بوصلة ضرب..(يفرقع السوط في الهواء فتهرب محجوبة خائفة)

محجـــــوبة : وا أمي.. تحسنت أحوال الرجل وأصبح أفظع مما كان..

المحجـــــوب : يا سبحان الله. هذه المرأة لا تريد أن تفهمني..

محجـــــوبة : وأنت.. دائماً هو أنت. ولا تريد أن تقوم بجهد إضافي من أجل أن تفهمني..

المحجـــــوب : إذن انتبهي جيداً، وستفهمين كل شيء. فأنا الحاكم العام في هذه الجزيرة..

محجـــــوبة : أية جزيرة ؟

المحجـــــوب : لقد دخلت عليك دخول الصعاليك والشحاذين وهذا شيء ضد البروتوكول والإتيكيت، وضد تقاليد هذا البلاط.

محجـــــوبة : أي بلاط ؟

المحجـــــوب : دخلت ولم تصحبني الموسيقا النحاسية، ولا حتى الموسيقا الحديدية أو الرصاصية، والإضاءة كانت باهتة وخافتة، ولعلك لاحظت ذلك. إن رجلاً في مثل وزني ينبغي أن يلازمه الصخب والضجيج، وأن تصحبه الطبول والمزامير، وأن يمشي دائماً وسط الزغاريد والهتاف..

محجـــــوبة : الضجيج؟ لقد سمعته..

المحجـــــوب : حقاً ؟

محجـــــوبة : وحق لا إله إلا الله سمعته. ورأيت رجلاً عظيماً يشبهك. كأنه أنت. أو أنه فعلاً أنت. يبقى شيء واحد لا أعرفه وهو.. أين أنا؟

المحجـــــوب : أين أنت؟ أنت في حضرتنا، وفي قصر عظمتنا. تمسكي بذراعي ولنعد المشهد من بدايته.. (يتأهبان للدخول بشكل رسمي) الضوء والموسيقا.. الآن فقط يمشي التاريخ في الاتجاه الصحيح. أليس كذلك يا حرمنا المصون؟

محجـــــوبة : أنا.. قبل أن تأتي، حدثني قلبي وقال، إن هذا التاريخ يمشي في الاتجاه الممنوع والحمد لله أنك أتيت..

المحجـــــوب : الحمد لله. وكل هذا بفضل توجيهاتك وحكمتك..

محجـــــوبة : العفو.. سيدي..

المحجـــــوب : (وقد تذكر) آه. لو يأتوني بذلك الرجل النصاب..

محجـــــوبة : تقصد الآخر يا سيدي ؟ إنه عالم وحكيم ورجل خدوم..

المحجـــــوب : ولكن التقارير التي بين يدي تقول عكس هذا..

محجـــــوبة : ماذا تقول؟

المحجـــــوب : تقول إنه خائن وعميل وكذاب ودجال ودساس..

محجـــــوبة : أكاذيب يا سيدي. أكاذيب .. حسدوه وغاروا منه، فروجوا الإشاعات الكاذبة والمغرضة في كل مكان..

المحجـــــوب : آه حسدوه. وعلى أي شيء؟ على قلة عقله. وعلى سرقاته التي وصلت رائحتها إلى جبل قاف. ثقي بأنني سأشنقه يوماً..

محجـــــوبة : تشنقه؟

المحجـــــوب : وأشنق زوجته أيضاً وحماته كذلك..

محجـــــوبة : ولماذا زوجته وحماته ؟

المحجـــــوب : لماذا ؟ لأن كل سارق عظيم وراءه امرأة، هل فهمت ؟ امرأة لها مطالب حمقاء، وهذا الرجل البليد سرق ليرضيها، وقد دفعته للسرقة لترضي أمها. وفي الصورة دائماً رجل آخر أو امرأة أخرى، وهما المذنبان الحقيقيان في أكثر الأحيان..

محجـــــوبة : لا. أنت تمزح بلا شك يا صاحب العظمة..

المحجـــــوب : ومن أين يأتيني الوقت لأمزح ؟ أعباء الدولة كبيرة وخطيرة يا مدام، فأنا الآن مثلاً سأستقبل (بشا دور) بلاد عجبستان، وأقيم حفل عشاء على شرفه. ثم من بعد نبرم شيئاً لنعدل المزاج.. (يجلس إلى الأرض، ويبدأ في لف سيجارة) وسوف نختم إن شاء الله هذا اللقاء الناجح والفالح بفناجين القهوة المعطرة..

محجـــــوبة : ليس بالبيت قهوة..

المحجـــــوب : سأبعث وزيري في الشؤون البرانية من أجل أن يأتيني بها.. (يصفق) وزيري.. أين اختفيت أيها الملعون؟ وزراء آخر الزمن، لا تراهم إلا في التلفزيون..يغيبون الأيام كلها، ولا يحضرون إلا ساعة التنصيب وساعة القبض على (المانضة)..

محجـــــوبة : سيدي.. أ أقول لك كلاماً ؟

المحجـــــوب : قولي ما تشائين، فأنا والحمد لله ديموقراطي الطبع..

محجـــــوبة : وتسمع كلامي يا سيدي؟

المحجـــــوب : آه. إن كان علي السمع فإنني سأستمع إليه، أما غير ذلك، فإنني لا أعدك بشيء..

محجـــــوبة : إذن اسمع. إن هذا الزي الفلكلوري يا سيدي..

المحجـــــوب : ماذا به هذا الزي؟ إنه العظمة نفسها، والأبهة عينها، والجلالة كلها، والشياكة بجميع ملحقاتها وتوابعها.. انظري..

محجـــــوبة : أما أنا فأقول عكس هذا تماماً..

المحجـــــوب : من حقك أن تقولي ما تشائين، فأنت في واحة الحرية..

محجـــــوبة : صدقني إذا قلت لك، إن هذا الزي المضحك لا يوافقك.. (تضحك)

المحجـــــوب : وأنت. هل توافقك هذه الهلاهيل التي عليك؟

محجـــــوبة : رجاء. لا تهرب من السؤال بسؤال آخر ..(وهي تتأمله) كأنني رأيت هذه الملابس من قبل، ولكن أين ؟ إنها ليست غريبة عني..

المحجـــــوب : رأيتها بلا شك في خزاناتي العامرة أو ..

محجـــــوبة : لا .. لا رأيتها في السينما أو .. في المسرح..

المحجـــــوب : عجباً. أنت تعرفين المسرح ؟

محجـــــوبة : من بعيد..

المحجـــــوب : أما هو، فتأكدي بأنه لا يعرفك ولا يعترف بك، لا من قريب ولا من بعيد. إنه لا يعرف إلا أهل العلم والفهم وأهل الفكر والروح وأصحاب الحل والعقد من أمثالي .. (يغير لهجته) وإن كنت تريدين الحقيقة، فأنا من أصحاب العقد وحده. أما أصحاب الحل، أو الذين يتوهمون أنهم يملكون الحل، فقد وضعتهم كلهم في السجن وارتحت منهم. إنهم كذابون ودجالون، ويزعمون حل كل شيء وهم في الحقيقة لا (يحلون) إلا أفواههم الكبيرة جداً ..

محجـــــوبة : إنني أعرف بأنك ما لبست هذه الملابس إلا من أجلي..

المحجـــــوب : نعم. وكل شيء أفعله، أفعله من أجلك أنت..

محجـــــوبة : إنك تريد أن تكون في مقامي نفسه ؟ أليس كذلك ؟

المحجـــــوب : والحمد لله على هذه الحال، أصبحت أنت أميرة، وأنا بجانبك

أمير، ولكن المشكلة يا حرمنا المصون هي من يسوق الحمير غداً ؟

محجـــــوبة : يسوقها الآخر، أو الآخرون.. (تنظر إليه في إعجاب) هكذا كنت أريدك أن تكون دائماً؛ عظمة ونخوة وأبهة ورجولة..

المحجـــوب : (لنفسه) إنها تتغزل في محاسني والحمد لله على كل حال. لقد تغيرت أحوالي بعد أن غيرت قميصي وسروالي..

المحجـــوب : (مذعوراً) ما هذا ؟ ابتعدوا عني، وارجعوا من حيث أتيتم. ارجعوا عليكم اللعنة ، لن تأخذوني حياً. وسأقاوم حتى الموت..

محجـــــوبة : ماذا يقول هذا الرجل؟

المحجـــوب : الكلمة الأخيرة كلمتي أنا، ولم أقلها بعد..

محجـــــوبة : هكذا نحن دائماً مع أولاد الجيران. بسم الله الرحمن الرحيم. إنهم شياطين في صورة الآدميين..

المحجـــوب : لا .. لا ليس هذا من تدبير الأطفال، ولكنه انتفاضة العسكر. لقد فعلوها يا حرمنا المصون..

محجـــــوبة : خسارة. كنت ستكون أجمل لو لم تكن جباناً..

المحجـــوب : آه. والموتى يا للا، هل يفيدهم جمالهم؟ طبعا لا. وألف لا وكلا..

محجـــــوبة : وفي هذا، أنت تشبه الآخر، أو ربما تشبه كل الآخرين.. من يدري؟

المحجـــوب : خذي.. (يعطيها بندقية صيد عتيقة) هذا سلاحي أيتها المرأة الحديدية. امسكيه بقوة واذهبي إلى ساحة الوغى..

محجـــــوبة : يا أيها الرجل، ترجل ..

المحجـــوب : قلبي معك.. خذيه واذهبي ترافقك الدعوات. إذا انتصرت، عودي إلي، لأعلق لك الأوسمة على صدرك..

محجـــــوبة : نعم. وإذا قتلت ؟

المحجـــوب : اطمئني.. أوسمتك لابد ستصلك، وسأعلقها إن شاء الله على ضريحك..

محجـــــوبة : ولكن الحرب، لا وجود لها إلا في دماغك المريض والمتعب..

المحجـــوب : يا زوجتي، أمور السياسة أنا أعرف بها منك، هل فهمت ؟ وما

عليك سوى أن تذهبي، وأن تقاتلي بشراسة، وأن تكوني رجلاً وابنة رجل..

محجـــوبة : أكون رجلاً ؟ .. وأنت، ماذا تكون ؟

المحجـــوب : لكي أكون أنت. نتبادل الأدوار. وهي في الأصل قابلة للتبادل..

6 - الآخر يصبح ولداً ..

(يدخل الآخر وهو في زي ولد متصعلك .. يضع على رأسه خوذة لقيادة الدراجات النارية .. يرتدي بذلة جلدية)

المحجـــوب : (من غير أن يلتفت إلى القادم، يرفع يديه إلى الأعلى مستسلماً في خوف) إنني استسلم، ولا أقاوم.. أنت أيضاً. ارفعي يديك. لابد أن نعلن انهزامنا أمام الملأ..

محجـــوبة : (تضحك) نستسلم؟ هكذا.. وبسهولة، وأمام من ؟

الولـــــد : أمامي أنا.. (مزهواً بنفسه)

المحجـــوب : اسأليه.. اسأليه يا محجوبة.. هو .. من هو ؟

محجـــوبة : دعني أضحك عليك. فأنت لا تزداد إلا حمقاً وغباء..

المحجـــوب : يفعلها يا زوجتي، ويفعل أكثر منها..

محجـــوبة : يفعلها؟ من هو الذي يفعلها؟

المحجـــوب : الخوف ..

محجـــوبة : آه .. الخوف ؟ قبحه الله. يظهر أنه قد أنساك كل الوجوه، حتى وجهي أنا، ووجه ولدك..

الولـــــد : أبي.. أبي الحبيب.. (وهو يقترب منه)

المحجـــوب : ابتعد عني ..

الولـــــد : يمكن أن تضع يديك، فقد عفوت عنك وعن زوجتك، وعفوت عن كل ذريتك من بعدك..

المحجـــوب : هذا ولدي ؟!

الولـــــد : نعم. هو ولدك، وهو غريمك ووارث كل أملاكك من بعدك.. ها ها.. ما رأيك في هذه المزحة يا أبي ؟

المحجـــوب : محجوبة.. هذا «الشحط » كله ولدي ؟ ولدي أنا وحدي ؟

محجـــوبة : وولدي أنا أيضاً..

المحجـــوب : سبحان الله ؟ انظري إليه. كأنه من كائنات المريخ. إنه غريب ورهيب يا محجوبة. وهذا الزي الغريب من أين أتى به ؟ حقاً إنه ولد مرعب..

محجـــوبة : (تضحك) آه.. وهل يقلقنا ويرعبنا إلا الذين خرجوا منا ؟.

المحجـــوب : الآن فقط عرفت. بأن الآخرين هم الأصل..

محجـــوبة : هم الأصل؟. أصل أي شيء يا زوجي؟

المحجـــوب : أصل كل البلاء يا محجوبة، ومصدر كل العذاب، ومصدر كل الشقاء.. هذا الولد، انظري إليه جيداً ، ألا يذكرك به؟

محجـــوبة : به؟ بمن يا المحجوب؟

المحجـــوب : بالآخر. ذلك الرجل الغريب والضيف الذي ليس ضيفاً..

محجـــوبة : ماذا تخرف ؟ إن كل واحد فينا ليس أنت، وأنت ليس أنا هو الآخر. هل فهمت؟ أو الآخر، وهذا الولد ولدك، وهو يشبهك تماماً. يشبهك حتى لكأنه أنت هو ، وهو أنت ..

المحجـــوب : أما أنا فأقول بأنه يشبه الآخر..

الولـــــد : الآخر.. إنهما يتحدثان عني..

محجـــوبة : (غاضبة) ماذا تقصد بهذا الكلام ؟ إنك تغمز شرفي، وتشكك في وفائي و إخلاصي ، أليس كذلك؟

الولـــــد : أنت.. لماذا تغمزمن شرف أمي؟ وهل يرضيك يا أبي أن أفعل فعلك، وأن أتطاول عليك، وأن أغمزمن شرف أمك..

المحجـــوب : يا ولدي .. يا ولدي .. كن واسطة خير، واعلم أن في الأمر سوء تفاهم. أنا قلت كلاماً، وأمك فهمت كلاماً آخر، وهذا كل ما في الأمر..

الولـــــد : اعتذارك هذا مقبول يا أبي..

المحجـــوب : الحمد لله ..

الولـــــد : إذا كان مشفوعاً بهدية صغيرة. سيارة مثلاً، أو طائرة أو باخرة أو حتى كروسة..(تأتي أصوات ضجيج من الخارج)

محجـــوبة : من بالباب ؟ من ينادي ؟

الولـــــد : هؤلاء أصدقائي. أولاد الدرب. سأخرج إليهم وأعود حالاً.. (يخرج)

محجـــوبة : يا الله. ما أروع هذا الولد.. إنه جميل ومؤدب . الله يرضى عليه، ويحفظه من كل سوء..

المحجـــوب : نعم. إنه مؤدب، والدليل سوف يأتيك بعد حين .. (يتعالى الضجيج بالخارج) تعالي يا محجوبة. اقتربي من الشرفة، وتأملي هذه الصور المؤدبة..

محجـــوبة : هذا ولدي يمارس شغبه الجميل والبريء..

المحجـــوب : ما هذا الذي تفعله أيها الولد؟ يكفي.. يكفي. ألا تسمع؟

محجـــوبة : دعه يا المحجوب. إنه طفل صغير. ألا ترى؟ ومن كان في مثل سنه لابد أن يلعب..

المحجـــوب : ولكن.. ألا ترين؟ لقد دمر كل شيء. وخرب كل شيء. وأفسد كل شيء

محجـــوبة : إنه ولدك. وهو يقلدك في كل شيء. أنت تخرب البلاد، وهو يخرب ما تبقى..

المحجـــوب : ولدك هذا قهرني.. قهرني أنا وقهر البلاد والعباد..

محجـــوبة : إنه صورتك وامتدادك، وهو يمارس شيئاً من سلطتك، وهذا من حقه يا بعلي..

المحجـــوب : إنه يدمر، ويكسر، ويلقي بالأشياء إلى الأرض، أو يطوح بها في السماء..

محجـــوبة : نعم. وكل ذلك في نخوة ورجولة واعتزاز بالنفس..

المحجـــوب : إنه فعلاً ولد أمه..

المحجـــوب : اليوم ، يلقي بهذه الأشياء الصغيرة، ولكن غداً ، عندما يكبر ويتضخم حمقه وجنونه، هل تعرفين بأي شيء سوف يلعب؟

محجـــوبة : بالأشياء نفسها طبعاً..

المحجـــوب : لا. بل سيلعب بنا نحن الاثنين وسيدمرنا إن شاء الله تدميراً فيه نخوة ورجولة، وفيه اعتزاز بالنفس..

محجـــوبة : لست أدري، من أين تأتيك كل هذه الأفكار السوداء.. إنك تتحدث عن ولدي .. ولدي أنا ، ألا تعرف هذا ؟ إنه قطعة من دمي ولحمي، وأنا أعرف الناس به . نعم ..إنه يفكك الأشياء.. فقط من أجل أن يعرفها، ويفهمها .. انظر إليه. إنه لا أحد يدمر الأشياء مثله.

المحجـــوب : نعم .. نعم إنه يدمرها ويكسرها .. بشاعرية غريبة جداً.. يا لله .. هي شاعرية فيها جمال وتناغم، وفيها علم عميق بعلم التخريب..

محجـــوبة : ما يعجبني فيه هو هذه الطريقة العجيبة في صفع رفاقه..

المحجـــوب : إنه عبقري في كل شيء .. مبدع كبير يا حرمنا المصون، خصوصاً في صفع الخدم، وفي صفع أولاد الجيران، وفي مطاردة القطط ..

محجـــوبة : إنه يصفعهم فعلاً. ولكن بحب وشاعرية وحنان..

المحجـــــوب : صدق من قال ، ومن الحب ما صفع..

محجـــــوبة : انظر.. انظر يا أيها الرجل.. انظر..

المحجـــــوب : ماذا فعل أيضاً ؟

محجـــــوبة : يا الله. تأمل هذا المنظر. إنه مضحك ومسلي..

المحجـــــوب : مضحك؟ بل قتل أحداً من الناس. يا حرمنا المصون.

محجـــــوبة : لا لا ليس بعد .. إنه فقط عض أذن الجارة مرجانة. والله تستاهل، فهي دائماً تتصنت وراء الأبواب، وتنقل الأخبار. يفعل خيراً لو يعض لسانها في المرة القادمة..

المحجـــــوب : أخبريني يا حرمنا المصون. هذه البلاد من يحكمها ؟

محجـــــوبة : من يحكمها ؟ تحكمها عظمتكم طبعاً..

المحجـــــوب : آه عظمتنا.. شيء جميل. وعظمتنا يا للا من يسيرها ويديرها ويوجهها ويتحكم فيها ؟

محجـــــوبة : عظمتكم الكبيرة يا بعلي يوجهها إلى الفلاح والصلاح ضعفنا الواضح والبين..

المحجـــــوب : الله الله. وماذا أيضاً، يا زوج عظمتنا؟

محجـــــوبة : .. ويغنيها فقرنا الجميل والنبيل..

المحجـــــوب : نعم ؟

محجـــــوبة : .. وتقهرها ابتسامتنا الشفافة..

المحجـــــوب : الله أكبر..

محجـــــوبة : .. وتروضها حيلتنا البريئة...

المحجـــــوب : البريئة. يا... ؟

محجـــــوبة : وحق لا إله إلا الله هي حيلة بريئة براءة الأطفال وطاهرة طهارة الملائكة التي في السماء..

المحجـــــوب : وبهذا أكون يا مولاتي أنا الحاكم العام هو المحكوم الحقيقي، أكون خادمك وتابعك وأنا لا أدري.. قبح الله الجهل ..

محجـــــوبة : لا .. (بغنج ودلال) أخجلت تواضعي يا سيدي المحجوب.. (يتعالى الضجيج الذي سبق دخول الولد)

الولـــــــــد : أمي.. أمي.. لا. أنت لست أمي. آه. أنت هنا يا ابنة الجنية ؟

محجـــــوبة : نعم. أنا هنا. وأين تريدني أن أكون ؟

الولـــــــــد : لقد كبرت يا أمي. وأنا في الطريق إلى البيت، وجدت نفسي

كبرت. أصبحت رجلاً. قولي تبارك الله يا أمي..

محجـــوبة : تبارك الله والصلاة على النبي . حقاً لقد كبرت..

الولـــــد : انظري إلي. لقد أصبحت أطول قامة منك ومن أبي..

المحجـــوب : ما أسعدني بطولك وعرضك يا ولدي (هراندو)

الولـــــد : أمي.. أمي. إنني أريد أن ألعب ألعاب الكبار..

محجـــوبة : العب يا ولدي كما تشاء. كل الخدم بين يديك..

الولـــــد : لا لا. الألعاب القديمة. واللعب القديمة لم تعد تستهويني. أنا كبرت .. كبرت يا أمي. ألا تسمعين؟ وأصبح من حقي أن ألعب لعبة أبي..

محجـــوبة : ماذا تقول يا ولدي ؟

الولـــــد : .. وأن أجلس في أماكنه، وتكون لي سلطة..

المحجـــوب : (يضحك) آه. الآن فقط أقول لك من يحكم هذه البلاد، ًنه ليس أنا، وليس أنت ولكنه هذا الولد..

محجـــوبة : ولدي ؟

المحجـــوب : نعم. ولدك الأهبل هو الحاكم العام، فأنا أحكم الناس، وأنت يا أمه تحكمينني، أما ولدك يا للا فهو يحكمنا جميعاً. وكان الله في عون بلاد يحكمها المجانين والحمقى والنساء والخدم والجواري والأطفال والمرضى والموتى والمعتوهون والمتخلفون وو..

(يجلس الولد على السرير، ويحوله إلى شبه هرش)

الولـــــد : أيها الناس. لقد أصبحت الحاكم. وهذا عهد جديد. الحاكم القديم مات..

محجـــوبة : مات؟ وكيف؟ أنت لم تقل لي بأنك مت..

المحجـــوب : ولدك الأهبل لم يعطني الوقت لأقول شيئاً..

محجـــوبة : يا ويل أمي. هل أفرح لهذا. أم أبكي لذاك؟

المحجـــوب : هل رأيت يا زوجنا المصون، إن الغلبة دائماً للآخر وللآخرين ؟

محجـــوبة : وماذا تقترح أيها الحاكم الذي لا يحكم شيئاً ؟

المحجـــوب : أقترح أن نخلع هذه الملابس، وأن نعود إلى حجمنا الطبيعي، وأن نعيش حياة كل يوم، فهذا أحسن بلا شك..

محجـــوبة : اذهب أنت أولاً.. غير ملابسك، وسألحق بك بعد ذلك. اذهب، ماذا تنتظر؟

(يخرج المحجوب)

7 - هي وهو ولعبة التحول ..

(الولد الآخر ومحجوبة وحدهما)

الولـــــــد : لقد رحل. تراجع منهزماً يا أمي والعمر له حكمه..

محجـــوبة : يا أيها الرجل .. أنا لست أمك..

الولـــــــد : يا الله. ما أروع عظمتي وأبهتي، وما أجمل جاهي وسلطاني..

محجـــوبة : خذ. تأمل حسنك وبهاءك. فهذه هي المرآة التي أعطيتني. انظر إلى وجهك يا مسخوط الوالدين. لا أحد أكذب من المرآة، ولاشيء أصدق منها.

الولـــــــد : آه. ما أجمل الحكم وما أحلاه. أنا في المرآة أجمل قليلاً. لا. بل كثيراً جدا. أليس كذلك يا أمي؟

محجـــوبة : أنا أيضاً، كنت يوماً، في تلك المرآة المزيفة أجمل. وكنت أعظم وأشرف وأعلى قدراً. ألا تذكر هذا أيها.. الآخر؟

الولـــــــد : (مرتبكاً) آه.. ماذا ؟ إنني.. أنا ولد يا أمي..

محجـــوبة : أنت ولدي؟

الولـــــــد : نعم. ووارث سرك ووارث علمك وجهلك. أنا ولدك الوحيد، وأنت أمي الوحيدة يا أمي..

محجـــوبة : لا ..لا أنت لاشيء. أنت مجرد وهم خادع وكذاب. فابتعد عنا. أنت سراب فقط، أنت دخان وخيال. لقد تخيلنا يوماً أنا والمحجوب أن يكون لنا ولد فجئت أنت..

الولـــــــد : وبمجيئي، غمرت هذا البيت السعادة..

محجـــوبة : وكانت سعادة كاذبة، وقبل هذا كان الحمل كاذباً، وكان المخاض كاذباً، وكان الوعد كاذباً..

الولـــــــد : يا أمي .. من علمك هذا الكلام؟

محجـــوبة : منك استفدنا كثيراً..

الولـــــــد : تأكدي بأنه لا يليق بك، ولا ينسجم مع الأنوثة، ولا يتماشى مع روح الأمومة و..

محجـــوبة : أنت الآخر. خدعتني مرة. وجئت لتخدعني مرة أخرى.. (تخرج صندوقاً كبيراً وتفتحه)

الولـــــــد : ماذا تفعلين يا أمي؟ وهذا الصندوق العتيق. من أين أتيت به؟

محجـــوبة : إنه صندوق ملابسي، وهو لا يليق بأم الحاكم. أليس كذلك؟ ولكنه مع ذلك صندوقي الوحيد، وفيه وجهي الحقيقي، وفيه رائحتي وأشيائي الصغيرة ..

(تأخذ في تغيير ملابسها)

الولـــــــد : يا أيتها المرأة. ما هذا الذي تفعلين ؟.

محجـــوبة : ماذا أفعل؟ . إنني أغير ملابسي. ألا ترى ؟ من حقي أن أعود إلى نفسي. وهذا الزي الطاووسي لا يلائمني.

الولـــــــد : لا .. لا أرجوك. ابقي كما أنت وكوني أمي. إن هذا الدور يليق بك..

محجـــوبة : لست أماً لأحد. واللعبة انتهت. وقد ندمت على كل شيء مضى..

الولـــــــد : ندمت ؟ غير ممكن..

محجـــوبة : ندمت على أنني وبغباء شديد غيرت نفسي، وأصبحت أماً لك..

الولـــــــد : ونعم الأم أنت..

محجـــوبة : وبئس الولد أنت .. وندمت أيضاً. لأنني استمعت لوصاياك التافهة..

الولـــــــد : أية وصايا ؟. إنني لم أعد أذكر..

المحجـــوب : محجوبة.. أين وضعت البالطو ؟

محجـــوبة : البالطو الجديد ؟ إنه في خزانة الملابس..

المحجـــوب : ماذا تقول هذه المرأة؟ يا محجوبة.. إنني أسألك عن بالطو (الخردة)

محجـــوبة : أعرف .. أعرف. ذلك الذي اشتريته من دوفيل ؟

المحجـــوب : سبحان الله. أنا لا أعرف إلا البالطو الذي اشتريته من سوق الكلب..

محجـــوبة : آه.. ذلك ال .. (بصوت منخفض) ابحث عنه في المطبخ. لقد

حولته إلى جفاف ومسحت به الأرضية ..

المحجـــوب : يامحجوبة. ذلك الرجل الغريب. ألم ينصرف بعد..

الولـــــد : قولي له إنه مازال هنا. وإنه لم ينصرف .

المحجـــوب : ولماذا لم تنصرف ؟ (يضحك)

(يختفي المحجوب)

الولـــــد : لماذا ؟ لأنني ممنوع من الصرف..

محجـــوبة : الباب من هنا يا سيدي. زارتنا البركة. سعيك مشكور، ونلقاك غداً يوم القيامة. تفضل..

الولـــــد : سبحان الله الأدوار تتغير..

محجـــوبة : .. وكل شيء يتغير..

الولـــــد : .. من قبل. كان زوجك هو الذي يطردني. أما الآن فإن هذه المهمة أصبحت مهمتك..

محجـــوبة : البيت ضيق. كما ترى. ولا يمكن أن يسع أكثر من جسدين وروحين..

الولـــــد : إنني ذاهب، ولكنني حتماً سأعود. هل تعرفين لماذا ؟لأنني مجرد دور مسرحي، والمسرحية لا تزال طويلة. لا أقول لك وداعاً. هل تعرفين لماذا؟ لأننا بعد قليل سنلتقي..(يخرج وهو يجري)

محجـــوبة : الباب من هنا يا .. ترك الباب وفضّل أن يخرج من النافذة.. من يدري. قد يكون أيضاً. دخل من النافذة... (تكون محجوبة قد غيرت ملابسها، وأصبحت في زي امرأة أخرى) يا الله. الآن فقط أحس بأنني في جلدي الحقيقي، وأن هذا البيت بيتي، وأن هذا الزي زيي، وأن هذا السرير سريري، وأن هذا الاسم الذي أعرف به هو اسمي..

المحجـــوب : (يطل عليها من مكان ما) محجوبة.. أين وضعت حذائي (البوط) ؟

محجـــوبة : ولماذا (البوط) والوقت ليس شتاء ؟

المحجـــوب : ستعرفين كل شيء في حينه، الآن فقط اخبريني أين هو ؟

محجـــــوبة : أين هو .. أين هو.. لست أدري. أنت عادة عندما تنام تتركه قريباً من وسادتك..

المحجـــوب : لا هذه العادة السيئة تخليت عنها من زمن بعيد..

محجـــــوبة : فعلاً. إذن فتش عنه في الحديقة..

المحجـــوب : ماذا تقولين ؟ ليس في بيتنا حديقة يا امرأة...

محجـــــوبة : آه.. تذكرت .. لقد رأيته في حجرة الخدم..

المحجـــوب : يا بنت الناس نحن ليس لنا خدم..

محجـــــوبة : عجباً.. هذا الرجل ليس على لسانه إلا ليس.. أيكون قد نسي اللغة وهو لا يدري ؟

المحجـــوب : محجوبة. لا داعي لأن تبحثي عنه هناك، فقد وجدته هنا.. (يختفي)

محجـــــوبة : الحمد لله أنك وجدته.. آه وآه. الآن أحس بأنني أنا.. كم اشتقت إلى ثرثرة الجارات.. الضاوية.. (وهي تطل من شرفة وهمية) صباح الخير. شمس الضحى. شمس النهار. شمس العشية. كيف حال الأولاد ؟ والزوج، كيف هو اليوم؟. هل تحسنت أحواله ؟ الحمد لله. كان قريباً منها. من أي شيء ؟ من الموت يا أختي .(تغير الموضع، وتذهب إلى شرفة وهمية أخرى) أختي راضية.. يا أختي راضية.. أين أنت ؟ صباح الخير.. يا ويلي .. ماذا بك ؟ هل كنت تبكين ؟ لا. أقلت لا . أنا أيضاً قلت هذا. إنني أعرفك وأعرف أنك سعيدة مع سيدي سعيد. أنت لا ينقصك شيء. لاشيء سوى أن تحمدي الله وتشكريه.. نعم نعم. هو البصل. أنا أيضاً قلت هذا، والبصل الملعون عدو العيون، وهو يأتي دائماً بعد شهر العسل .. آه لو كانت الأيام الأولى تدوم وتبقى، ولكن.. البقاء لله وحده.. سلمي لي على البصل..(تغير الشرفة .. تنادي) يا للا حورية.. يا للا حورية. صباح الخير (الزين) تبارك الله والصلاة على النبي . أنت لا تزدادين إلا جمالاً وفتنة، وربي وحده هو الذي أعطاك.. أعرف أعرف. جمالك هذا يسبب لك المشاكل. المسكينة، زوجها حلوف وابن حلوف، وغيرته القاتلة على للا حورية أصبحت حديث القاصي والداني والرائح والغادي.. ماذا ؟

رأيتها يا للا حورية .. عينك زرقاء ومتورمة. وهذه واحدة من علامات الحب الأحول.. ويلي (يشويني فيك) حب.. ماذا تفعلين ياللا. اللّه يهديك وخلاص .. أنت مربوطة فيه، وهو مربوط فيك، والربطة (زغبية) وهي بنت ألف كلب. ماذا ؟ تسألين عن زوجي. سيدي المحجوب؟ يسأل عليك الخير. لقد ذهب ليرتدي بدلته السوداء، وبعد قليل سيحضر السائق، ليحمل له حقيبته ويفتح له الباب، ويوصله للوزارة. حقاً، هو الآن ليس وزيراً، ولكنه ينتظر. لقد قالوا له إن مع التناوب، لابد أن تأتي نوبته، وهو ينتظر أن يكون اسمه مع الأسماء الأولى. وهو ينتظر. لقد هيأنا كل لوازم الوزارة. الجلابة والسلهام والبلغة والخطبة وهو ينتظر. وذهب الى الشوافة للا ميمونة، ووعدته خيراً، وهو ينتظر.. (يسمع صوت المحجوب وهو قادم) استسمحك يا للا حورية. وأراك بعد حين. هذا زوجي سيدي المحجوب قادم..

8 - خاب ظني في الذي ..

(يدخل المحجوب وقد ارتدى زياً يشبه زي الصيادين في الأدغال الأفريقية .. على كتفه بندقية، وفي يده سوط وعصا لاصطياد الكلاب)

محجـــــوبة : يا ويلي. في بيتنا رجل. رجل غريب يا المحجوب..

المحجـــــوب : رجل؟ أين هو ؟ دليني عليه وأنا أؤدبه تأديباً. وأجعل منه أديباً كبيراً. أين هو ؟

محجـــــوبة : غير ممكن. أهذا أنت يا المحجوب ؟

المحجـــــوب : نعم. هذا أنا. نسيت وجهي بكل هذه السرعة يا خائنة..

محجـــــوبة : لا .. لا. أنت عرفتك. ولكن الملابس خدعتني..

المحجـــــوب : سلمت عيونك يا (مولاة الدار) والملابس دائماً خداعة..

محجـــــوبة : لم تقل لي.. لماذا هذا الزي؟ أما زلت تمثل معي يا زوجي الوزير؟

المحجـــــوب : ماذا تقول هذه المرأة؟ التمثيل انتهى يا بنت الناس، وهذا اللباس هو لباسي الحقيقي؛ به عرفت دائماً، وبه أعرف اليوم في المحافل الشعبية..

محجـــــوبة : إنه يمزح معي، ولن أصدقه، وهذا هو المحجوب، لا تنقصه النكتة، وهو يعشق الضحك..

المحجـــــوب : إنني ذاهب إلى الشغل. ألا تريدين شيئاً ؟

محجـــــوبة : أريد سلامتك.. يا زوجي الوزير .. الوزير الأول، وحتى لو كنت الوزير الأخير فلا يهم.. المهم هو الصحة والسلامة وستر مولانا. اذهب.. رافقتك السلامة في الذهاب والإياب، وفي كل خطوة تخطوها..

المحجـــــوب : محجوبة.. رأيتك هذا الصباح تقولين شعراً..

محجـــــوبة : نعم. وهل تعرف لماذا؟ لأنني فرحة بك، وفخورة بمقامك بين الناس. اذهب يا المحجوب، وغير هذه الملابس..

المحجـــــوب : ولماذا أغيرها، وهي ملابسي وملابس الشغل ؟

محجـــــوبة : ملابس الشغل ؟ هكذا ؟ وماذا تشتغل إن شاء الله بهذه الملابس ؟

المحجـــوب : كيف ؟ ألا تعرفين ؟

محجـــوبة : ماذا أقول لك ؟ أعرف ولا أعرف..

المحجـــوب : إنني أشتغل بمصالح البلدية، صياداً للكلاب الضالة..

محجـــوبة : أويلي.. أويلي واستغفر الله..

المحجـــوب : لا تصرخي هكذا يا بنت الناس، وفكري في الجارات. للا الضاوية وللا راضية وللا حورية وللا حفصة وللا خناتة. فكري في الفضيحة..

محجـــوبة : (بصوت منخفض) زوجي أنا يصطاد الكلاب؟ زوج محجوبة؟ محجوبة بنت حاجب السلطان؟ يظهر أنني قد أصابتني العين.. أنت ماذا بينك وبين الكلاب؟ تكلم أيها الظالم الآثم.. الآخرون يصطادون الغزلان وأنت تصطاد الكلاب، لماذا؟ وماذا بينك وبين الكلاب؟

المحجـــوب : ليس كل الكلاب يا محجوبة. ولكن فقط، تلك الضالة والمتشردة والمجنونة والمسعورة والمريضة والمؤذية، والتي ليس لها مأوى يأويها، وليس لها صاحب يصحبها ويتبناها. وليس لها أوراق شخصية تعرف بها..

محجـــوبة : ياويلي. ياويلي.. هذا الرجل سيجعلني أضحوكة بين الجارات..

المحجـــوب : أضحوكة ؟ أنت ؟ لا عاش من يضحك عليك. يظهر أنك لا تعرفين قيمتك، فأنت سيدة كل الناس، وأنت سلطانة كل النساء..

محجـــوبة : تسخر مني أيها الخبيث؟

المحجـــوب : أبداً .. أبداً.. فأنت التي تغنى بك الموشح وقال (أنت أحلى الناس في نظري) في نظري أنا، وفي نظر كل المجتمع المدني والقروي..

محجـــوبة : يالله. ألا تخجل من نفسك يا المحجوب؟

المحجـــوب : خجل؟ ولماذا؟ إن الشيء الذي أعرفه عن نفسي هو أنني رجل شريف ومحترم و..

محجـــوبة : ها هاه .. رجل شريف ومحترم . ويصطاد الكلاب؟ متى كان هذا؟ متى؟

المحجـــــوب : متى؟ الآن يا للا مولاتي. وأمامك الدليل والبرهان..

محجـــــوبة : ظهرت على حقيقتك أيها الغشاش.. ابتعد عني..

المحجـــــوب : ماذا جرى لهذه المرأة ؟

محجـــــوبة : انكشفت يا عدو الله، فاعترف بالحقيقة. اعترف. واظهر وبان عليك لعنة الله..

المحجـــــوب : هل رأيتم ؟ كل هذا لأنني أطعمها لقمة الحلال..

محجـــــوبة : وأنا التي كنت أعتز بك، وأفاخر بك الجارات، وأقول للسعدية وسعيدة وميلودة بأن زوجي رئيس كبير..

المحجـــــوب : صدقت يا محجوبة. أنا فعلاً رئيس كبير، ويشتغل تحت إدارتي ما شاء الله من المساعدين والأعوان ومن التابعين وتابعي التابعين، وإنني أشرف على ترسانة كبيرة من الأسلحة، وعلى كوكبة كبيرة من العربات ذات الأقفاص الحديدية، ويأتمر بأوامري فريق كامل من البغال..

محجـــــوبة : وامصيبتاه. يقاسمني البيت والفراش قتال كلاب وأنا لا أدري..

المحجـــــوب : وها أنت الآن تدرين. فماذا تفعلين؟

محجـــــوبة : .. ويقاسمني العيش سفاك أثيم وأنا غافلة.. أنام وأصحو مع الغافلات والغافلين..

المحجـــــوب : يا زوجتي الحمقاء.. أنا رجل مهنته شريفة ومربحة..

محجـــــوبة : شريفة. ومربحة. هل سمعتم؟

المحجـــــوب : .. ونظيفة أيضاً، إنني أقوم في المدينة بمهمة لا يقدر عليها ولا يقدرها أي أحد .. ويعرف العارفون يا زوجتي من أهل العلم والفهم بأنها مهنة شريفة ونبيلة .. إنني عسكري في زي مدني.. عسكري آخر في جبهات أخرى وفي حرب أخرى وأمام عدو آخر، وإذا حدث مرة لا قدر الله وعضني كلب مسعور وما أكثر الكلاب المسعورة فإنني سأموت شهيداً يا محجوبة. وأكون بهذا قد ضمنت لك تعويضاً مريحاً..

محجـــــوبة : يشويني فيك ؟ كلامك هذا سخيف وتافه..

المحجـــــوب : اسمعي.. في المرة القادمة سآخذك معي إلى ساحة الوغى، وسترين بأم عينيك كل شيء..

محجـــــوبة : أرى ؟ ماذا أرى ؟

المحجـــــوب : سترين يا بنت الناس فارسك المغوار، وهو يستدرج الكلاب، بتقنية عالية، وبدهاء كبير، وبمهارة وخبرة، وبنخوة المصارع الشجاع..

محجـــــوبة : آه. ليتك كنت مصارعاً من مصارعي الثيران أو.. حتى من مصارعي الضباع ..

المحجـــــوب : مصارعة الثيران أو مصارعة الكلاب.. إنه لا فرق بينهما يا للا مولاتي. افهميني..

محجـــــوبة : وبأي شيء يفيدني أن أفهمك ؟ أنت صياد كلاب وكفى، هكذا أنت ، وهكذا سوف تبقى ..

المحجـــــوب : آه لو رأيت مساعدي وهو يسوق العربة باعتزاز، والكلاب في الأقفاص أسيرة ومذعورة ومكسورة الجناح..

محجـــــوبة : مكسورة الجناح؟ وهل الكلاب التي تصطاد لها أجنحة..

المحجـــــوب : ليس كل الكلاب لها أجنحة، ولا كل الكلاب تطير وتحلق في السماء..

(طرق شديد على الباب)

محجـــــوبة : من ؟ من يطرق الباب؟.

الصـــــوت : إنه أنا.. أنا يا للا محجوبة، وأريد المدير..

المحجـــــوب : هل رأيت؟ إنه يسأل عني..

محجـــــوبة : أنت المدير؟

المحجـــــوب : نعم. وهذا مساعدي. اسمه القائد دحمان..

محجـــــوبة : القائد ؟ وماذا يقود هذا القائد؟

المحجـــــوب : يقود عربة الكلاب. ويقود بغل البلدية الأعرج، ويقود دراجته الهوائية و..

الصـــــوت : (من الخارج) المحجوب. إنني مازلت أنتظر. إن لم تكن هنا فقلها، وإن كنت مت فقلها ..

المحجـــــوب : اطمئن.. إنني هنا. وسأخرج إليك بعد حين..

محجـــــوبة : ياويلتي.. ماذا أقول لبنات خالاتي وعماتي؟ ماذا أقول لمجيدة

وسيدة وفريدة وفنيدة ولزبيدة البليدة؟

المحجــــوب : قولي لهن إن زوجك صياد محترف ومحترم.. صياد النعام في أدغال وأحراش أفريقيا السوداء..

محجــــوبة : لن يصدقن. خصوصاً تلك الأفعى الرقطاء، زبيدة البليدة..

المحجــــوب : قولي لهن إنني أصطاد الثعالب والذئاب والسباع والضباع. فهذه المدينة غابات حقيقية، وحق لا إله إلا الله هي كذلك. صدقيني، وأن أكون صياداً خير ألف مرة من أن أكون طريدة وفريسة و..

محجــــوبة : أنا أحدثه عن شيء، وهو يحدثني عن شيء آخر. فكيف يمكن أن نتفاهم ؟

المحجــــوب : يا محجوبة افهميني. إن هذه الغابات لا يدخلها إلا من كان مسلحاً مثلي. وكان في يده سوط وبندقية..

محجــــوبة : زمن الحرب بالبنادق مضى وانتهى. وهذا زمن آخر..

المحجــــوب : ينبغي أن تحمدي الله أنني لست سارقاً ولا مرتشياً ولا قاطع طريق، وأنني لست شحاذاً ولا متسولاً ولا دجالاً ولا غشاشاً ولا مهرباً.. إنني أتعب وأشقى، وآكل خبزي مغموساً في عرقي.. يا أيتها المرأة ليس العيش لعباً ولهواً.. ليس شيئاً سهلاً وهيناً، ولكنه حرب شرسة وقذرة، والسعداء هم الذين يخوضونها بشرف مثلي، ويخرجون من بيت الأوساخ بدون أوساخ، ومن دار العيب بدون عيب..

محجــــوبة : لا .. لا أنت خيبت ظني، وما هكذا تصورتك لحظة، وكل أحلامي وأوهامي تطير الآن مع الرياح..

المحجــــوب : يا بنت الناس. تأكدي أن فارس الأحلام، والذي يأتي على جواده الأبيض لاوجود له..

محجــــوبة : (كالصدى) لاوجود له؟

المحجــــوب : إنه حلم يا مولاتي. وتجري الأيام بما لا تشتهي أحلام الصبايا والعذارى..

محجــــوبة : أنت .. من أين تأتي بهذا الكلام؟

المحجــــوب : يا أيتها المرأة، متى تفهمين، بأن من تبحثين عنه ليس له وجود، وما في هذه المدينة إلا رجال مثلي، والذين يشبهونني

في كل شيء؛ لهم ملامحي نفسها، ويدي الخشنتين نفسهما، و مصيري الموضوع على كف عفريت، أما رجال الروايات والمسلسلات وحكايا الجارات، فهو مجرد وهم يا محجوبة .. وهم كاذب وخادع ومضلل.. هذا زمن آخر يا محجوبة، وأنت قلت هذا.. زمن كذوب ولعوب ومتلون كالحرباء..(يطرق الباب من جديد)

الصـــــوت : المحجوب. أعياني الانتظار، فهل أدخل؟

المحجـــوب : تفضل. ادخل. الباب مفتوح..

(يدخل القايد صاحب الصوت وإذا هو الآخر، وقد أصبح في زي صياد الكلاب)

الـقايـــــد : الله الله.. سيدي المحجوب مع للا محجوبة وأخوكم القايد في العراء ينتظر رحمةالله. ما هكذا تكون الأشياء يا عباد الله. هذا ظلم وتعسف واستغلال للنفوذ. ..إنني أحتج..

محجـــوبة : من؟ أنت مرة أخرى؟ وفي بيتي؟

الـقايـــــد : دخلت من الباب. وحق الله. وإنني ضيفكما المبجل..

المحجـــوب : أتعرفينه يا محجوبة ؟

محجـــوبة : وأنت أيضاً تعرفه. إنه الآخر يا محجوب، غريمك الذي كان.. إيه ..رحم الله أيام زمان..

المحجـــوب : ماذا تقولين يا محجوبة ؟ الآخر لاوجود له..

محجـــوبة : لاوجود له؟

المحجـــوب : نعم. أو أنه وحده الموجود، وهو كل الناس..

محجـــوبة : لم أفهم..

المحجـــوب : أفهمك. فأنا مثلاً. يمكن أن أكون الآخر. وذلك بالنسبة لك أوله أو بالنسبة لأي شخص آخر غيره. أنا الآخر وأنت الأخرى وهو الآخر، وحتى هذا المخلوق الذي يقود البغل آخر، وحماتي السيدة أمك هي أيضاً امرأة أخرى، سواء في هذه الدنيا الفانية أو في تلك الدار الأخرى..

الـقايـــــد : أحوالي تحسنت، وأصبحت مهماً. إنهما يتناقشان حول

شخصي المبجل، وغداً يعلم الله. قد أصبح حديث البلاد والعباد..

محجـــــوبة : اسمع يا سيدي المحجوب. هذا الرجل. هذا. إنه يتبعك، ويلاحقك وكأنه ظلك..

المحجـــــوب : وما يدريك قد أكون أنا ظله، ونحن لا ندري..

محجـــــوبة : سبحان الله... ساءت أحوالك أيها الرجل..(وهي تتأمل زيه الجديد)

الـقـايـــــــد : نعم. ساءت كثيراً. وتنكرت لي الأيام. وحتى الليالي. وأصبحت أنتظر عند الأبواب..

محجـــــوبة : آه. أين راحت الفخامة التي كانت؟ وأين اختفى ذلك الجلال وتلك الأبهة ؟

الـقـايـــــــد : الفخامة يا للا مازالت موجودة وهي بألف خير..

محجـــــوبة : حقاً ؟

الـقـايـــــــد : وحتى ذلك الجلال الذي تعرفين، وتلك الأبهة أيضاً، كل شيء موجود عند أصحابه، أو عند المتطفلين عليه، أو عند الذين لا يستحقونه. في وطن الفوضى كل شيء ممكن، وفي بلاد الغربة والغرائب، لاوجود إلا للغرائب والعجائب ..

المحجـــــوب : يا محجوبة.. دعي الرجل، فهو لا يعرف إلا بغله وعربته، وتذكري أيضاً، بأن ربك يخلق من الشبه أربعين (شحطاً) مثل هذا، وهذا فقط، واحد منهم، وماذا تقولين لو رأيتهم كلهم؟

محجـــــوبة : (وهي تتأمل وجه القايد عن قرب) أقول سبحان الله. الصورة هي الصورة، ولكن العبرة تبقى في الأشياء الأخرى. حقاً، إن من يقود الناس بالحكمة، ليس كمن يقود بغلاً معوقاً..

المحجـــــوب : آه. ذكرتني بالبغل. أين تركته أيها الموظف؟

الـقـايـــــــد : لقد ربطته عند بوابة العمارة..

المحجـــــوب : الله أكبر. قضي الأمر يا قائد البغل. ضيعت صاحبك ورفيقك وأنت لا تدري..

الـقـايـــــــد : ضيعته؟

المحجـــــوب : نعم. لقد تركته في عهدة الأبالسة والشياطين. ألا تعرف بأن

أطفال هذا الحي ليسوا كسائر الأطفال؟ و ما دخلت عندهم بهيمة وخرجت سليمة أبداً..

القايـــــد : يا سيدي المحجوب. اطمئن. لقد فكرت في الأمر كثيراً..

المحجـــوب : أنت تفكر ؟ لا أظن..

القايـــــد : ..وقد ربطت البغل والعربة إلى بوابة العمارة. ربطتهما بسلسلة وبقفل غليظ، وأحكمت إغلاقه. وهذا هو المفتاح. انظر. لقد علقته في عنقي..

محجـــوبة : (يشويني فيكما) كل هذه القيامة من أجل بغل؟

القايـــــد : إنه بغل الحكومة يا للا محجوبة..

محجـــوبة : بغل الحكومة؟

المحجـــوب : نعم. ولو ضاع أو مات أو أصابه أي مكروه، فإن هذا الرجل سيحاكم..

محجـــوبة : يحاكم؟ وبأية تهمة؟

القايـــــد : بتهمة إتلاف الملك العام يا للا محجوبة..

محجـــوبة : وليته يضيع، أو يدوسه قطار، حتى أرتاح منه ومن الحديث عنه..

(يطل القايد من نافذة وهمية)

القايـــــد : سيدي المحجوب.. البغل طار. أو طيروه. وحتى العربة لا أثر لها..

المحجـــوب : الله أكبر. وتقولها وأنت هادئ أيها الحلوف؟ هيا. افعل شيئاً.. الباب من هنا..

القايـــــد : أبوابكم تتشابه، وكل الأبواب تؤدي إلى الأحباب..

المحجـــوب : محجوبة. لقد ذهبنا، والمعركة المصيرية بدأت..

محجـــوبة : أية معركة؟

المحجـــوب : معركة البحث عن ذلك البغل الضائع..

محجـــوبة : آه. وما أكثر البغال الضائعة والضالة في ملكوت رب العالمين..

المحجـــوب : باب الخروج من هنا. ألا تسمع؟ وهذا الباب هو باب غرفة النوم، أو هو باب المطبخ، أو هو باب .. لم أعد أذكر شيئاً،

وأنساني حديث البغل كل شيء .. تحرك أنت .. ماذا تنتظر؟

محجـــوبة : يا ويلي.. هذا الزوج سيفضحني أمام الجارات.. اللعنة عليك وعلى صاحبك وعلى بغلكما. لقد خيبتما ظني فيكما، القائد ليس قائداً، والوزير ليس وزيراً، وأنا لم أعد أعرف من أكون..

الـقايـــــد : أحوالنا تحسنت يا للا محجوبة، كنا نصطاد الكلاب (حاشاك) فأصبحنا نصطاد البغال. شرف الله قدرك .. (يخرجان)

محجـــوبة : اخرجا من الباب الخلفي. من سلم الطوارئ. من هنا.. ألا تسمعان؟ المحجوب.. انتظر.. انتظر قلت لك.. ستفضحني أمام الجيران ..

(تهرول خلفهما ظلام تام)

النفس الثاني

9 - صباح آخر من زمن آخر ..

(السرير نفسه في الوسط، وعليه جسدان يغطان في النوم .. ضوء خافت وصمت مطبق ، فجأة، يكسره جرس منبه الساعة.. تقوم محجوبة وهي مذعورة، وتسكت الجرس)

محجـــوبة : (وهي تتثاءب وتتمطى) آه. هذا صباح آخر. والشمس قادمة بعد حين. صباح آخر، من زمن آخر. كل شيء تغير، وهذه سنة الحياة. فهذا السرير سرير آخر، وهذا الرجل صاحب هذه الجثة هو رجل آخر. وحتى أنا محجوبة التي تعرفون لم أعد من كنت، ولا ما كنت، ولا كما كنت من قبل. أصبحت امرأة أخرى، لقد تقدم عمري، وتراجع حالي، وأصبحت على هذه الحال، وسبحان مبدل الأحوال ..

(جملة شخيرية تنبعث من الجسد الآخر الذي على السرير)

الحـــــاج : .. هذا هو الفجر. قم لتتوضأ وتصلي..

الحـــــاج : سمعتك.. سمعتك. وهل أذن المؤذن ؟

محجـــوبة : لا. لم يؤذن بعد. ولكن الساعة دقت. وصاح ديك الجيران..

الحـــــاج : والماء، هل وضعته على النار؟ أنت تعرفين بأنني لا أتوضأ إلا بالماء الساخن..

محجـــوبة : أعرف. وسيكون كل شيء جاهزاً بعد حين. إنني ذاهبة إلى المطبخ..

الحـــــاج : اذهبي رافقتك السلامة..

محجـــوبة : هذا الرجل ليس المحجوب.. آه رحم الله تلك الأيام وتلك الليالي، كانت أجمل وأصدق وأحلى.. المحجوب مات.. مات المسكين، وهو يؤدي عمله بإخلاص وأمانة. مات في ساحة الكلاب وهو يحارب ببسالة .. عضه بغل الحكومة (حاشاكم) وكان مصاباً بالسعار. كان عليه أن يعالج نفسه، ولكنه لم

يفعل ، استسهل الأمر، ولم ينتبه إلا بعد أن وقعت الفأس في الرأس..

(تنبعث من الجسد نفسه جملة شخيرية أخرى، وكأنها احتجاج على ثرثرة محجوبة)

محجـــوبة : يا هذا الرجل. يهديك اللّه قم..

الحــــاج : إيه .. إيه.. أمهليني دقيقة أخرى. اللّه يعطيك الخير..

محجـــوبة : له جسد الفيل، وشخير (الحلوف).. يا هذا الرجل قم. فالصلاة خير من النوم..

الحــــاج : نعم. خير من النوم، ومن يقول غير هذا ؟ ولكن النوم أحلى يا محجوبة. خصوصاً في آخر الليل وفي أول الصباح. دعيني لنومي دقائق أخرى..

(تغادر السرير.. ترتدي زياً فضفاضاً ومحتشماً،. تلف رأسها بمنديل)

محجـــوبة : نم أنت. نم يا سيدي ومولاي، أما أنا، فإن الملابس في انتظاري. هذا هو قدري، وما أتعسه من قدر. كل حياتي مختصرة في مكانين اثنين؛ السرير والمطبخ. وهذا هو كل عالمي..(تخرج .. يستيقظ الرجل، ونرى أنه شخصية الآخرنفسه، ولكن في دور جديد .. لقد أصبح زوج محجوبة، وأضيفت إلى وجهه لحية طويلة .. كل شيء فيه تغير)

الحــــاج : الحمد لله.. رأيت الكوابيس هذه الليلة. وكل هذا لأنني أكلت كثيراً. قبح اللّه شهوة الطعام وكل الشهوات الأخرى. كل مرة أحاول أن أقاوم، ولكنني أنهزم. ماذا أفعل ؟ هكذا شاء ربي أن أكون. وفوق طاقتك لا تلام يا أنا ..

محجـــوبة : (للجمهور) خرج سيدي الحاج؟ إذن يمكنني أن أحدثكم عنه، وعني أيضاً. فبعد أن مات سيدي المحجوب، رحمة اللّه عليه، جاءتني للا حفصة الخطابة، وقالت لي ، لا لا ..هذا شيء لا يريده اللّه، ولا يرضي كل الناس من عباده.. أنت ظالمة وآثمة..

أنا ؟ نعم أنت .. حرام أن يضيع هذا السحر الفتان، وأن تذبل الشفاه والخدان.. وحاولت أن أقاوم إغراءها وغوايتها، ولكنني لم أقدر. ومن يقدر عليك يا للا حفصة، خصوصاً وأنك عليمة وخبيرة بنفوس النساء، ونفوس الرجال أيضاً..

(يدخل الحاج وهو يمسك بيده دلواً معدنياً)

الحــــاج : السلام عن من اتبع الهدى..

محجــوبة : الهدى؟ أنت ما اتبعت إلا الهوى..

الحــــاج : وماذا أفعل ؟ هكذا شاء ربي أن أكون، وفوق طاقتك لا تلام يا أنا..

محجــوبة : هذا هو شعاره في الحياة. إن حسنة هي من عنده، أما إذا كانت سيئة فهي من الشيطان..

الحــــاج : والشيطان هو الآخر. وهو وحده المسؤول عن كل الأشياء السيئة والقبيحة

محجــوبة : وأنت. يا سيدي الحاج؟

الحــــاج : أنا ؟ أنا لست ملاكاً، ولست قديسا، وما أنا إلا عبد من عباد الله.. إذا مسه الخير منوعاً، وإذا مسه الشر جزوعاً ..

محجــوبة : هذا الرجل زوجي الثاني له في المرأة رأي خاص..

الحــــاج : بل لديه اجتهادات يا بنت الناس، اجتهادات قد تخطئ مرة، ولكنها في أغلب الحالات مصيبة. أي نعم، مصيبة..

محجــوبة : صدقوه. في هذه فقط. وكذبوه في كل شيء آخر.. ومن اجتهاداته ما يلي..

الحــــاج : إن المرأة أصلحكم الله لا تكون امرأة إلا إذا كانت أنثى..

محجــوبة : أعرف أنكم لم تفهموا معنى قوله. اطمئنوا. سيأتيكم الشرح بعد قليل.

الحــــاج : أي نعم. وإنني إن شاء الله الرحمن الرحيم سأفعل. سأحلل وأفكك. وأقول وأبين. وأشرح وأملح. إن المرأة دام عزكم ولكي تكون أنثى فإنه ينبغي أن تكون بدينة وسمينة، وأن يبدأ ظهرها من قفاها، أي من هنا. لا حياء في الدين..

محجـــــوبة : وإنني. نزولاً عند هذا ال...

الحــــــاج : .. الاجتهاد. قولي ذلك. قوليها ولا تخجلي، فهو فعلاً كذلك.

محجـــــوبة : أمري لله. ماذا أقول ؟ نزولاً عند هذا الاجتهاد، أصبحت امرأة سمينة. هو يكنز الذهب والفضة، وأنا أكنز له الشحم واللحم، وبهذا نتعاون على الزمان..

(تأخذ من فوق السرير بعض الوسائد الصغيرة، وتحشوها داخل ثوبها الفضفاض)

الحــــــاج : خذي.. (يعطيها وسادة) زيدي هذه القطعة من (البفتيك). خذيها واختاري لها موقعاً استراتيجياً في جسمك..

محجـــــوبة : والآن. يا سيدي الحاج. قل كيف تراني؟

الحــــــاج : الله الله. أنت ملاك يا ملاكي..

محجـــــوبة : أنا ملاك؟

الحــــــاج : نعم. ومن الوزن الثقيل كذلك..

محجـــــوبة : وهل أنت راض عني ؟

الحــــــاج : كل الرضى يا .. (الحلوفة)

محجـــــوبة : وهكذا. يا أولاد الحلال، كنت أمراً، وأصبحت (هبراً)..

الحــــــاج : وأحسن الشواء ما كان لحماً خالصاً، مثلك تماماً يا.. (الحلوفة)

محجـــــوبة : عندما أمشي في الشارع العام. يسير هو في الأوائل وأتبعه أنا. أتبعه وبيننا مسافة قرون من الزمن. ومع الأيام، سمعت أولاد الحي الملاعين يتهامسون ويقولون، افسحوا الطريق.. لقد جاءت بيت لحم.

الحــــــاج : الله أكبر . أنت لست بيت لحم. أنت عمارة لحم. أنت قبيلة لحم. أنت قطيع لحم. أنت أسطول لحم..

محجـــــوبة : قل تبارك الله. وصل على النبي..

الحــــــاج : صلينا عليه وعلى آله وصحبه..

محجـــــوبة : هل رأيتم؟ هو رجل مؤمن وناسك وعابد وزاهد ومتقشف، ليس على نفسه، ولكن على أهل بيته فقط..

الحـــــــاج : لا إله إلا الله. كان الله ويبقى الله. ولا يدوم إلا وجه الله..

محجـــــوبة : أما إذا حدث مرة وسألته، ما هي مهنتك يا سيدي الحاج، وماذا تشتغل، فإنه يقول..

الحـــــــاج : .. إنني أشتغل في الأعمال الحرة. وهل تعرفين لماذا ؟ لأنني رجل حر وشريف ولا شيء يرضيني إلا الأعمال الحرة.. (يخرج)

محجـــــوبة : (لنفسها) .. نعم، والنزوات الحرة، والشطحات الحرة، والبهلوانيات الحرة .. لقد علمتني الأيام الجديدة أنه لا يمكن أن أكون سعيدة إلا إذا كنت مغفلة وحمقاء وبليدة، لذلك، طلقت عقلي، وخاصمت علمي وفهمي، وأصبحت شبه عمياء وشبه خرساء.. شروط العيش صعبة ومدمرة. أول مرة رأيت فيها وجه هذا الرجل. كانت في ليلة من ليالي الشتاء الباردة.. كنت جالسة هنا. على حافة هذا السرير وقد زينتني الوصيفة، ومشطت شعري الماشطة، وأصبحت عروسة، وعلى رأسي تاج ذهبي.. مثل هذا. هو تاج العروس، وهو عنوان مجدها وسعادتها.. كنت أنتظر فارس الأحلام، فجاءني هدام الأحلام.. (يسمع صوت سعال رجل) يا ويلي .. لقد جاء العريس.. (تخفي وجهها بمنديل مطرز .. يدخل الحاج وهو في كامل أناقته وأبهته)

الحـــــــاج : آحم.. مرة أخرى. آحم. نحن هنا. و(فين الشباب ؟ ها هو. وفين الجمال. ها هو. وفين مولاي العريس. هاهو..(مشيراً إلى نفسه)

محجـــــوبة : (وهي تسترق النظر إليه من خلف المنديل) خدعتني الخطابة.. قالت إنه وسيم. وإنه يشبه الملائكة..

الحـــــــاج : حتى سيدنا عزرائيل ملاك. وحق الله. هو ملاك من ملائكة رب العالمين..

محجـــــوبة : آه. له أذن الضرة، وهو يسمع الكلام، حتى قبل أن أنطقه.. اقترب مني وقال..

الحـــــــاج : اعذريني يا بنت الناس، لأنني لا أقدر أن أسلم عليك، فأنا على وضوء..

محجـــــوبة : كانت هذه هي المرة الأولى، وعرفت وزني.. ثم اقترب مني أكثر وقال..

الحــــــاج : إن طريق الهدى شاق وصعب، ولا يمشي فيه إلا العابدون والمؤمنون والمهتدون، وأنت بلا شك امرأة محظوظة..

محجـــــوبة : (في حياء) الحمد لله رب العالمين..

الحــــــاج : كان لك ماض مثل كل النساء الجاهلات ولن أسألك عنه، هل تعرفين لماذا ؟ لأن الزمن الذي مضى هو زمن الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، وأنه. ابتداء من هذا اليوم، بل من هذه اللحظة، يبدأ التاريخ الجديد، وتشرق شمس الحق والحقيقة. هل فهمت ؟

محجـــــوبة : وقلت فهمت، وما كنت فهمت شيئاً..

الحــــــاج : من الآن أيضاً .. ينبغي أن تفكري كما أفكر، وأن تسمعي بأذني، وأن تري بعيني.. هل سمعت؟

محجـــــوبة : وقلت سمعت. وما كان كلامه أهلاً لأن يسمع..

الحــــــاج : وينبغي أيضاً أن يكون لباسك محتشماً ووقوراً، وألا يكشف عن مفاتنك وعن عورتك..

محجـــــوبة : كل ما قلته، سأطبقه إن شاء الله تعالى حرفاً حرفاً، وكلامك على العين والرأس..

الحــــــاج : اسمعي يا بنت الناس. قلديني في كل شيء ترينه..

محجـــــوبة : نعم. والشيء الذي لا أراه ؟

الحــــــاج : آه ذلك شيء آخر. والله سميع بصير.

محجـــــوبة : و.. اللحية؟

الحــــــاج : ماذا بها اللحية؟

محجـــــوبة : هل سأقلدك وأربيها، وأجعلها تصل إلى صدري. لأكون عند حسن ظنك؟

الحــــــاج : لا لا .. اللحية احتكار رجالي، وبها يعرف المؤمنون من الرجال. أما النساء فيعرفن بالحجاب.. ماذا تنتظرين؟ اخفي مفاتنك. فالشيطان الرجيم حاضر بيننا.

محجـــــوبة : صدقت. الشيطان حاضر بيننا..

الحــــــاج : هل تصدقين يا بنت الناس إذا قلت لك، إن المرحوم أبي

عاش مع السيدة أمي خمسين عاماً، ولم ير وجهها، ولو مرة واحدة؟

محجـــــوبة : لم ير وجهها؟ وهل كان أبوك أعمى؟

الحـــــــاج : لا ..

محجـــــوبة : لم يكن أعمى. وهذا ليس له غير معنى واحد، وهو أن يكون العيب في السيدة أمك..

الحـــــــاج : وكيف ذلك؟ أخبريني بالذي فهمت..

محجـــــوبة : فهمت بأن أمك لم يكن لها جمال يغري بالنظر. أنت تشبهها. أليس كذلك؟

الحـــــــاج : فكأننا فولة واحدة، وانشطرت شطرين..

محجـــــوبة : سبحان الله. وكانت لها لحية؟

الحـــــــاج : آ.. تقريباً..

محجـــــوبة : حقاً. أنت من عائلة شرف وورع وتقوى. أنت من رجال الله. وأبوك من رجال الله. وحتى أمك من رجال الله .. (للجمهور) هذا الرجل الورع لاشيء في قلبه إلا الصلاة، ولازمن في نفسه إلا زمن التعبد والتهجد..

الحـــــــاج : الله أكبر. إن قالت محجوبة كلاماً فصدقوها، فالحق ما قالت محجوبة..

محجـــــوبة : وإذا سألتك يا مولانا كم الساعة الآن، فماذا تقول؟

الحـــــــاج : أقول لا إله إلا الله..

محجـــــوبة : وبعد لا إله إلا الله. ماذا تقول؟

الحـــــــاج : أقول إنها العشاء وثلاثون دقيقة. أقول هذا من غير أن أنظر إلى الساعة..

محجـــــوبة : كانت هذه هي الليلة الأولى.. ومن بعد، سأحدثكم عن الليالي الأخرى..

10 - الصدر الأعظم و«أعوذ باللّه»

الحـــــاج : (وحده) خرجت أمنا الغولة. وأصبح من حق عمكم الحاج أن يعود لنفسه، وأن يكلمها، بكل وضوح.. آه .. حقاً، التمثيل صعب ومرهق، ولكنه مفيد وضروري.. وحق اللّه هو كذلك، خصوصاً مع جنس الحريم..(يخرج من جيب سراويله مشطاً، ويأخذ في تمشيط لحيته بعناية)لقد قررت بعون اللّه وقوته أن أسافر، وأن أذهب هذه المرة بعيداً جداً. ولماذا أسجن نفسي في هذه البلاد، وقد علمت بأن أرض اللّه واسعة؟ نعم. سأسافر. وهل تعرفون لماذا؟ لأنني سمعتهم يقولون في الراديو والتلفزيون إن في الأسفار سبع فوائد، وفي بعض الروايات الأخرى فإن فوائد الأسفار بلا عد ولا حصر، وأنه لا أحد يعرف حقيقتها إلا اللّه سبحانه وتعالى. وأنا.. أنا يا عباد اللّه أعشق الفوائد، وأموت في عشقها.. أموت؟ وما دخل الموت في كلامي؟ وأي شيطان رجيم وضع هذه الكلمة الملعونة على لساني؟ ومتى؟ بعد أن تحسنت أحوالي، وتفتحت شهوتي للعيش والحياة، وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من حياض السعادة..(يغني وهو يمشط لحيته أمام مرآة وهمية)

محجـــــوبة : (صوتها وهو قادم) سيدي الحاج.. إنك تغني. أليس كذلك؟

الحـــــاج : أنا؟ أنا أغني؟ أعوذ باللّه من الغناء، وأعوذ باللّه من رهط المغنين والمطربين.. إنه الراديو يا محجوبة..

محجـــــوبة : آه الراديو؟

الحـــــاج : راديو الجيران ..

محجـــــوبة : آه. رحم اللّه الأيام التي كانت، الغناء كان حقاً غناء يا سيدي الحاج، أما اليوم فلا. والراديو دخلته أصوات الحمير وأصوات البغال وأصوات النائحين والنائحات..

الحـــــاج : يا محجوبة.. الغناء لهو. هل سمعت؟ والكلام فيه مكروه، والاستماع إليه مكروه، ومن الأحسن أن تهتمي بما ينفعني .. وبما ينفعك أيضاً..

محجـــــوبة : أنا أيضاً قلت لنفسي إن الغناء لهو، وإنه لا يليق بامرأة مثلي

ولا برجل في مثل وقارك..

الحـــــاج : (للجمهور) ألم أقل لكم إن التمثيل مفيد وضروري؟ لقد صدقتني، واقتنعت بما قلت..

محجـــوبة : نعم. لقد اقتنعت.. اقتنعت بأن التمثيل مفيد وضروري. إنه يمثل، وأنا أيضاً.. (تختفي)

الحـــــاج : (للجمهور) نعود لمسألة السفر، وأقول، اطمئنوا، لن أسافر وحدي، لأنني وبحمد الله تعالى أقدس الحياة الزوجية، نعم، أقدسها، ولاشيء عندي أحلى من الحلال.. ثم إنني .. أخاف على نفسي من الفتنة، لهذا فإنني آخذ معي كل أمتعتي، وآخذ شيئاً مما ملكت أيماني. وهذه المرة، سآخذ معي زوجتي الأخيرة محجوبة، وأطير بها في السماء.. الأوراق جاهزة.. وها هي في جيبي. والإجراءات تمت، ولم يبق سوى أن نتحرك نحو المطار، وأن نطير.. يا عباد الله افهموني.. إنني أريد أن أطير.. (ينادي بأعلى صوته) يا محجوبة. ألا تعرفين؟ الطائرة وربانها وعمالها وكل الناس لا ينتظرون إلا مقدمك الكريم؟

محجـــوبة : إنني قادمة يا سيدي الحاج. فلا تقلق..

الحـــــاج : الطائرة وقتها معلوم ومحدد، وما أظننا سنكون في الموعد..

(تدخل محجوبة وهي تحمل حقيبتين كبيرتين .. وعلى صدرها تدلت أكثر من صرة)

محجـــوبة : إنني جاهزة يا سيدي الحاج، وقد فكرت في كل شيء، حتى (الخليع) وضعته في الحقيبة المعلومة..

الحـــــاج : وسجاد الصلاة، إياك أن تكوني نسيته؟

محجـــوبة : أبدا .. هو موجود هنا ..

الحـــــاج : وحجرة التيمم؟

محجـــوبة : ها هي .. (تخرج له من الحقيبة حجراً كبيراً)

الحـــــاج : وإياك أن تنسي القبقاب الخشبي ..

محجـــوبة : ها هو..

الحـــــاج : الحمد لله. إذاً اتبعيني. ومن بعيد.. من بعيد جداً .. هل

سمعت؟ وإياك إياك أن تقتربي مني كثيراً.. احتفظي بيننا دائماً بالمسافة القانونية..

(يخرج.. تتبعه محجوبة .. تتمايل بفعل الأحمال الثقيلة .. تتغير الإضاءة، فيصبح البيت فندقاً في بلاد أوروبية .. في الاستقبال يظهر ذلك الذي كان المحجوب نفسه، وقد أصبح في زي مستخدمي الفنادق)

رجل الفندق : (وهو يتكلم في الهاتف) هنا فندق الشرق.. نعم. توصلنا بالفاكس. وقمنا بالواجب. ويمكن أن تشرفوا بالحضور. أهلاً وسهلاً ومرحباً.. نعم. إلى اللقاء..(يدخل الحاج تتبعه محجوبة، وقد وضعت النقاب على وجهها)

الحــــاج : السلام على من اتبع الهدى..

رجل الفندق : صباح الخير مسيو. أية خدمة؟

الحــــاج : أريد غرفة كبيرة، بسرير كبير وحمام كبير، وحتى تدخلها حرمنا بكل سهولة فنحن نحتاج إلى باب كبير.. هل فهمت يا مسيو؟

رجل الفندق : آه. أنت لست وحدك. معك هذه السيدات..

الحــــاج : كلمني أنا. فأنا الرجل، وأنا الذي سأدفع لك الحساب إن شاء الله.

محجــــوبة : (تكلم نفسها بصوت هامس) وجه هذا الرجل الإفرنجي ليس غريباً علي.. يا الله. كأنه وجه المحجوب. زوجي الأول. رحمة الله عليه..

رجل الفندق : (مقترباً من محجوبة) غير ممكن. أهذه أنت يا سيدتي؟

الحــــاج : أتعرفها يا مسيو؟

رجل الفندق : ومن أقدم العصور.. إنها الصدر الأعظم..

الحــــاج : ماذا يقول هذا الإفرنجي؟

رجل الفندق : هذا شرف كبير لفندق الشرق. الصدر الأعظم عندنا؟ يا مرحباً يا مرحباً..

الحــــاج : خذ.. هذه أوراقنا يامسيو.. (يعطيه ملفاً كبيراً) ففيها كل البيانات المطلوبة .. الاسم والنسب وتاريخ الولادة والعنوان،

واسم الأب واسم الأم وفصيلة الدم..

رجل الفندق : غير ممكن .. هذا جواز واحد فقط؟

الحــــــاج : وهذا هو الجواز الثاني .. تفضل .. (يعطيه ملفاً آخر)

رجل الفندق : جميل.. وأين الباقي يا مسيو؟

الحــــــاج : الباقي؟ الباقي الله..

رجل الفندق : وهؤلاء الذين معك. يا مسيو؟

الحــــــاج : ليس معي إلا حريمي، وهو ممنوع من السؤال، وممنوع من الكلام، وممنوع من النظر إليه..انظر إلى الحروف المرسومة في الجواز، ولا تنظر إلى الصورة ..

رجل الفندق : (وهو يتصفح أوراق الملف، ويتأملها بعناية) صاحبة هذه الصورة هل هي نفسها؟

الحــــــاج : نعم هي نفسها.. ليس الآن طبعاً، ولكن .. في زمن من الأزمان.. لا تدقق كثيراً في الصورة.. يكفي .. قلت لك يكفي، ألا تسمع؟ دع في نفسك قليلاً من الحياء..

رجل الفندق : وهذه العمارة. عفواً.. هذه المرأة المحترمة. هي زوجة سيادتكم. أليس كذلك؟

الحــــــاج : هي الآن زوجتنا.. ومن بعد يفعل الله ما يريد..

رجل الفندق : سبحان الله. كلها.. كلها زوجتك يا مسيو؟

الحــــــاج : كلها؟ (غاضباً) ما معنى هذا الكلام يا مسيو؟

رجل الفندق : يا إلهي... اللعنة علي.. العفو سيدي .. العفو ..

الحــــــاج : لقد عفوت عنك ..

رجل الفندق : شكراً .. شكراً .. ربما خانني الكلام

الحــــــاج : ومن يدري؟ قد يكون أنت الذي خنته، وانحرفت به..

رجل الفندق : أبداً. أبداً يا مسيو. لقد كان قصدي أن أسألك. هل هي زوجتك وحدك؟

الحــــــاج : أنت ..(لمحجوبة) لماذا تضحكين؟ ألا تعرفين أن الضحك بلا سبب من قلة الأدب؟

محجـــــوبة : (لنفسها، وهي تكتم ضحكها) ضحكت. ولدي مليون سبب..

رجل الفندق : مرة أخرى خانني الكلام. إنني فقط يا مسيو أريد أن أعرف. هل هذه المرأة امرأة واحدة؟

محجـــوبة : لم يقل تبارك الله. ولم يصل على النبي.. اللعنة عليه وعلى ذريته من بعده

الحـــاج : نعم. هي امرأة واحدة. هل لديك مانع؟

رجل الفندق : لدي فقط تعليق بسيط. بعد أن انتهت كل أسئلتي..

الحـــاج : وما أسخف أسئلتك أيها الإفرنجي..

رجل الفندق : أعرف. وأعدك بأن تعليقي لن يكون كذلك. فهل تسمح سيادتك.؟

الحـــاج : ماذا تريد أن تضيف؟ قل ما لديك ودعني.. تكلم..

رجل الفندق : لقد اكتشفت يا مسيو بوسائلي الخاصة أنك رجل ذكي. وأنك قد حسبتها بمنطق التاجر الشاطر..

الحـــاج : يا رب العالمين. ماذا يريد أن يقول هذا الإفرنجي؟

رجل الفندق : أنت نمس وثعلب، وإنني أهنئك يا صاحبي.. (يضحك معه وكأنه صديقه)

الحـــاج : تهنئني؟ على أي شيء؟

رجل الفندق : على أنك ضربت أربعة عصافير بحجر واحد..

محجـــوبة : (للجمهور) بيني وبينكم، سيدي الحاج لا يريد أن يفهم..

رجل الفندق : آه. أنت إبليس النحيس .. (للجمهور) مرة أخرى سيدعي بأنه لا يفهم. يامسيو. هذه اللحية لحيتك، وتلك الجبهة جبهتك. وقد عرفتك..

الحـــاج : عرفتني؟!

رجل الفندق : نعم. أنت من عائلة الأفاعي الرقطاء. فلا تنكر..

الحـــاج : الملعون. يمازحني ولاشيء بيننا.

رجل الفندق : ورغم هذا الشعر الذي في وجهك. فأنت بلا شك من فصيلة القنافذ الملساء..

الحـــاج : الأمر أكبر من المزاح يا محجوبة. وحق الله إنه يستفزني وقد حانت ساعة الحسم وإراقة الدماء..

محجـــوبة : سيدي الحاج. ماذا تنتظر؟ العصا في يدك. توكل على الله وأدبه، وتذكر بأنه شرفك، والشرف غال جداً جداً..

رجل الفندق : حقاً أنت عبقري. أنت نابغة الزمان والعصر والأوان. أنت مصيبة وكارثة . يا إلهي . ماذا أقول أيضاً؟ ففي امرأة واحدة

تزوجت (عراماً) من النساء. وبضربة واحدة يا مسيو.. ضربة واحدة فقط. امتلكت مثنى وثلاث ورباع..

الحـــــاج : هيه ..(في غضب) التزم حدودك أيها الإفرنجي.. التزمها وإلا..

رجل الفندق : وإلا ماذا يا مسيو؟

الحـــــاج : وإلا. والله وبالله وتالله سأعلن عليك الجهاد، وسأجعل لحمك في لقمة، ودمك في (جغمة)..

رجل الفندق : يا إلهي.. هذا رجل غير ديموقراطي، وغير اجتماعي، وغير مدني، وهو لا يفهم إلا لغة العنف. ابتعد عني..

الحـــــاج : ماذا يقول هذا الملعون؟ أنت الذي ينبغي أن تبتعد عنا. هل تريد أن تعرف لماذا؟

رجل الفندق : لماذا ؟!

الحـــــاج : لأنك في بيتنا. وفي بلدنا. هل فهمت؟ المشهد انتهى. ونحن الآن في مشهد آخر..

رجل الفندق : انتهى؟ وكيف؟ أنا لم يشعرني بذلك أحد..

الحـــــاج : انتهى. قلت لك. ولم يبق سوى أن تمتعنا بشيء من قلة النظر في وجهك الكئيب. هيا. انصرف يا مسيو..

رجل الفندق : كان حواراً بيننا. ولكن الرجل ذبحه ذبحاً. وإنني احتج، وأدين وأشجب.. إنه غير مدني ، وغير ديموقراطي، وغير متسامح..

(يحول واجهة الاستقبال في الفندق، لنعود إلى البيت الذي كان من قبل.. يخرج وهو يمضغ كلاماً غير مفهوم)

11 - قلب حيران، بين الأخوات والإخوان ..

(يعود الحاج ومحجوبة إلى بيتهما .. يدخلان وهما يضحكان)

محجوبة : والله وبالله، لقد أفحمته يا سيدي الحاج، وأخرست لسانه. وكل هذا بالكلام، ولكن، أي كلام؟ ماذا أقول فيك؟ الله يحفظك، ويحميك، ويعطيك الصحة والعافية..

الحاج : ها.. لقد رأيت الرجولة. أليس كذلك؟ (منتفخاً بزهو)

محجوبة : رأيتها، وحق الله رأيتها..

الحاج : إذن. قولي (باز) وصلي على النبي..

محجوبة : قلتها في سري وعلانيتي، وصليت على المصطفى الكريم مليون مرة..

الحاج : الرجولة يا امرأة ليست كلمة، ولكنها قوة ونخوة وعظمة وقدرة وجاه وأنف في السماء. هكذا..انظري ..(يرفع أنفه إلى السماء بشكل مبالغ فيه)

محجوبة : (تضحك) وكل هذا بالفصاحة التي أعطاك الله..

الحاج : نعم. وبالهيبة أيضاً. وأنت تعرفين هذا.. إن طلعتي البهية توحي بالوقار يا للا محجوبة..

محجوبة : صدقني يا سيدي الحاج، وحق الله أنا فخورة بك..

الحاج : أعرف.. أعرف يا بنت الناس، وأنت فعلاً تستحقيني، لأنك امرأة مؤمنة وتقية و.. درويشة..

محجوبة : يا سيدي الحاج. في كل هذه الدنيا لا أعرف شيئاً ولا أعرف أحداً، إلا أنت..

الحاج : أحسنت. وماذا تفيدك المعرفة؟

محجوبة : إنني أعرف سيدي الحاج، وسيدي الحاج يعرف الله، ويعرف كل عباد الله ويعرف كل شيء في ملكوت الله..

الحاج : (لنفسه) يا سبحان الله. سافرنا ورجعنا، وأصبحت هذه المرأة امرأة أخرى.. (يفكر) فهمت.. هذه بلا شك واحدة من فوائد الأسفار..

محجـــــوبة : أنا الذي ضايقني في سفرنا الجميل هو ذلك (الحلوف) الإفرنجي..

الحـــــــاج : اسمعي يا للا محجوبة.. مرة أخرى، إذا كتب الله، وعدنا إلى تلك البلاد، ولقينا ذلك الرجل الملعون، وقال لنا ذلك الكلام نفسه، فإنني لابد سأكسر ضلوعه هذه المرة، ولابد أن أعلق جثته على عمود التلغراف، وأتركه عبرة للعالمين..

محجـــــوبة : آه. هكذا أريدك يا سيدي الحاج. إن الرجل الذي لا يذبح شاته، ولا يضرب جاره وجارته، ولا يقهر حماته ليس رجلاً..

الحـــــــاج : هذه الحكمة سبق وسمعتها، وقد طبقتها حرفاً حرفاً، وأظنني أستحق أن أكون رجلاً. أليس كذلك يا للا محجوبة؟

محجـــــوبة : بل وأكثر. أنت رجل ونصف. لا . أنت سيد كل الرجال...

الحـــــــاج : أكرمك الله.. (للجمهور) حتى هذا الكلام البديع من ثمار الأسفار.. للا محجوبة. إنني ذاهب لأغير ملابسي، وإنني أوصيك بشيء، وهو ألا تكثري من الكلام في غيابي، خصوصاً مع الغرباء.. (مشيراً إلى الجمهور)

محجـــــوبة : يا ويلي ! ماذا تقول يا سيدي الحاج؟ يعطيني العمى إن كنت سأقول لهم كلمة. إنك تعرفني، وتعرف أخلاقي، فأنا والحمد لله امرأة عاقلة ومتدينة ومهذبة و.. درويشة. وكل ما عندي منك ، تعلمته منك، فأنت المربي والمعلم، وأنت الموجه والحكيم، وأنت كل شيء، وأنا لاشيء..

الحـــــــاج : لقد ذهبت يا للا محجوبة..(يخرج)

محجـــــوبة : يحفظك الله من عيون السوء يا زوجي، خصوصاً من العيون السوداء، ومن العيون المكحلة، ومن العيون الزرقاء، ومن كل العيون الذباحة، ويبعد عنك أولاد الحرام و.. حتى بنات الحرام.. آه. ما أصغر عقول الرجال، وما أكبر غرورهم، وإذا قالوا لكم إن المرأة ضعيفة، فلا تصدقوهم، فهي مستضعفة حتى تكذب، وحتى تتقوى بالحيلة والاستغباء، وهي متهمة ومذنبة حتى تبكي بالدمع الحار، وإذا بكت تطهرت، وأصبحت بريئة مثلي تماماً..

(تضحك)

صـــــــوت : (صوت الحاج قادماً من الخارج) من تكلمين يا محجوبة؟
محجـــــوبة : لست أنا من يتكلم، ولكنه الراديو.. راديو الجيران يا سيدي الحاج..
الصــــــوت : آه. الراديو..
محجـــــوبة : اسمعوا. بعد قليل سأحدثكم عن سيدي الحاج، وأكلمكم عنه بالتفصيل الممل، أما الآن، فينبغي أن أفتح هذه الحقائب، لقد عدنا بسلامة الله من رحلتنا العسلية، عدنا ولاشيء في حقائبنا الكبيرة والعتيقة إلا هذه الملابس المتسخة، وهي تحتاج لأن أغسلها بالماء والصابون، وأن أنشرها في وجه الشمس والهواء.. (تجلس إلى الأرض، وتفتح الحقائب الكبيرة، وتخرج ما بها من ملابس وأشياء)هذه سراويل سيدي الحاج، وهذه عمامته، وهذا قميصه، وهذه سراويلي شرف الله قدركم وهذا فستاني الحريري، وهذه حمالات أثدائي وهذه..

(تلقي بالملابس في الهواء .. يدخل الحاج وهو ينتعل قبقاباً خشبياً، ويحمل دلواً صغيراً، ويتمتم بأدعية)

الحـــــــاج : ما هذه (الجوطية) يا للا محجوبة ؟
محجـــــوبة : هذه ملابسك وملابسي، وسأصبنها بعون الله تعالى، وسأكويها بالمكواة الكهربائية، وسأعطرها بماء الزهر والورد ..
الحـــــــاج : أكرمك الله يا للا محجوبة ..(لنفسه) الرحلة مازالت تفعل فعلها..(يخرج من غير الجهة التي دخل منها)
محجـــــوبة : الله الله ! من ورع هذا الرجل ومن مظاهر تقواه أنه بار بأهله.. إنه شغوف بأخواته البنات. ففي يوم من أيام الله، وكان ذلك بعد العشاء، جاءني بامرأة فاتنة سبحان الخالق عيونها نهار، وشعرها ليل..
الحـــــــاج : (يدخل) أسرار البيوت مقدسة يا محجوبة، وإياك أن تفشيها للغرباء..
محجـــــوبة : إنني فقط أكلم نفسي يا سيدي الحاج..
الحـــــــاج : نفسك كلميها ولكن.. بما يرضي الله. هل فهمت؟ وبما لا يخرج

عما في كتاب الله، وما في سنة رسول الله ..

محجـــوبة : اطمئن يا سيد الرجال. أنت ما في أسرارك إلا الخير والإحسان، ولقد كنت أحدث نفسي عن أختك الشقراء الفاتنة.. إنها قمر يمشي على الأرض. قمر ليلة التمام.. أي نعم، هي قمر يرتدي سروالاً ضيقاً، ويفوح منها (البارفان) على بعد ليلتين ونهارين و..

الحـــــاج : يا بنت الناس، ألم أقل لك، مراراً وتكراراً، بأن خير الكلام ما قل ودل؟ إنك تعتدين على ضعفي بالكلمات والعبارات..

محجـــوبة : الحسن أنطقني يا سيدي الحاج .. حسن أختك الشقراء، وفك عقدة لساني، وجعلني أقول الشعر، وما أنا بشاعرة..

(تظهر امرأة داخل بقعة ضوء ضيقة)

الحـــــاج : إنها أختي يا للا محجوبة..

محجـــوبة : سبحان الله ولا إله إلا الله .. لولا أنها بلا لحية وبلا شاربين، لقلت إنها أنت..

الحـــــاج : إنها أختي الصغرى.. آخر العناقيد وأحلاها و.. أشهاها و.. هي تشبهني كثيراً.. أليس كذلك؟

محجـــوبة : كأنكما فولة وانقسمت نصفين. إنها تشبهك في كل شيء. فقط هي شقراء وأنت زنجي، وهي ساحرة وأنت كاهن من الكهان. وهي لها شعرها الحريري في رأسها وأنت شعرك المجعد في وجهك، وهي طويلة وأنت مربع..

الحـــــاج : (لنفسه في فرح) هذه المحجوبة زوجة مثالية. إنها من فصيلة بشرية منقرضة، أو في الطريق إلى الانقراض، ما أسعدني بها زوجة بليدة، وما أشقاها بي زوجاً، مخادعاً ومكاراً..

محجـــوبة : تلك المرأة يا سادة يا كرام جاءتني تتلوى كالثعبان، وألقت إلي بالسلام الإفرنجي وقالت البونجور عليك يا مدام، وقلت لها ؟ عليك البونجور ، ورحمة الله تعالى وبركاته .. وباتت الفاتنة..

الحـــــاج : (مؤكداً) أختي..

محجـــــوبة : في غرفة نومي وفي فراشي.. وبت أنا في المطبخ.. أشم رائحة الثوم والبصل..(يأخذ الحاج المرأة من يدها ويخرجان) وتكرر الحال.. يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وفي كل ليلة يأتيني بأخت من أخواته ويقول لها، سلمي على زوجة عزيزك .. لقد أحصيت له ما يزيد عن المائة أخت .. فيهن الشقراء والسمراء والجميلة و(الخائبة) وفيهن الصغيرة الشابة والعجوز الشمطاء والطويلة والقصيرة والسمينة والنحيفة والناطقة بالضاد والناطقة بالصاد. أمم كثيرة، متحدة ضد ضعفي وجهلي وضد جناحي المكسور..(تخرج المرأة نفسها وهي في زي رجالي، وقد تدلت من وجهها لحية طويلة)وفي يوم من أيام الله، تغير كل شيء، وأصبح سيدي الحاج رجلاً آخر. انقلب فجأة، ودون مقدمات، وأصبح غير ذلك الرجل الذي عايشت وعاشرت، وداريت.. هل رأيتم أخته الفاتنة؟ لقد أصبحت أخاً، والأنثى تحولت بجهد العلي القدير إلى ذكر، له صلعة ولحية وزبيبة في الجبهة، وأصبح بيتنا العامر ملتقى الإخوان في الله، بعد أن كان ملتقى الأخوات في الشيطان .. سيدي الحاج تغير كثيراً، أما أنا فلا، ومازلت منفية ومبعدة في مطبخي...

الحـــــــاج : (يدخل وهو يمسك يد المرأة الرجل) هذا أخ لم تلده أمي، وهو أعز لدي من كل عزيز..

محجـــــوبة : رحمة الله على أمك .. يظهر أنها ولدت فيلقاً من البنات الفاتنات ، وفيلقاً من البنين ..

الحـــــــاج : طريق الله وحدنا، فأصبحنا بحمده وعونه إخواناً..

محجـــــوبة : ما أسعدك بهم يا سيدي الحاج..

الحـــــــاج : يمكنك أن تسلمي عليه يا محجوبة. فهو فعلاً أخي، ولكنه أيضاً أخوك، وأخو كل المؤمنين والمؤمنات..

محجـــــوبة : (تلف يدها في ثوبها وتسلم)مرحباً بك سيدي بين ذويك وأهلك..

الحـــــــاج : أخوتي في الله وهذا واحد منهم ألحوا علي أن أكون أميراً عليهم. فما رأيك يا للا محجوبة؟

محجـــــوبة : أنت؟ أنت أمير ؟! يهديك الله يا سيدي الحاج. قل غير هذا الكلام. فالجدران لها آذان..

الحـــــــاج : يا بنت الناس افهميني. من كان الله معه ورجاله لا يخاف أحداً. لقد أمّرتني الجماعة عليها لأنني الأكثر علماً..

محجـــــوبة : الأكثر علماً أو الأكثر رزقاً ؟ خدعوه بقولهم أمير..

الحـــــــاج : .. والجماعة الآن تبحث لي عن اسم..

محجـــــوبة : اسمك هو .. هل نسيته يا سيدي الحاج؟

الحـــــــاج : لا لا لقد فهمتني خطأ، فأنا أحتاج إلى لقب أميري. لقب يميزني عن الأمراء الآخرين في التاريخ..

محجـــــوبة : عجباً .. حتى أنت ستدخل التاريخ؟.

الحـــــــاج : لقد دخلته يا محجوبة. وقضى الله أمراً كان مفعولاً. هذا الأخ الكريم يقترح علي لقب المنتصر بالله. فما رأيك؟

محجـــــوبة : المنتصر بالله ؟ أنت ؟

الحـــــــاج : واقترح عليّ غيره ألقاباً أخرى. المقتدر بالله والمتوكل على الله والواثق بالله والمعتز بالله. واختلفت الجماعة في هذا الأمر، وفي اختلافها رحمة..

محجـــــوبة : رحمة؟! (لنفسها) أو نقمة.. من يدري؟

الحـــــــاج : واستأذنت الجماعة في أن أرجع إليك وأطلب رأيك. فماذا تقولين؟

محجـــــوبة : ماذا أقول؟ أقول إن أحسن لقب يليق بك يا سيدي الحاج هو.. هو..

الحـــــــاج : هو ماذا. يا للا محجوبة؟

محجـــــوبة : هو (أعوذ بالله). فما رأيك؟

الحـــــــاج : خاب ظني في التي .. تعال نرجع إلى الجماعة، وليفعل الله ما يريد.. (يمسك بيد المرأة الرجل ويخرجان)

محجـــــوبة : سيدي الحاج خرج، ومضى اليوم كله ولم يعد. ومضى يومان ولم تأتني عنه أخبار. ومضت الأيام بعد الأيام، والليالي بعد الليالي وأنا في هذا البيت أنتظر. كل الوساوس طافت بذهني. فرأيته مرة مسجوناً ومرة مجروحاً ومرة قتيلاً، إلى أن جاء أهل الخير والمعروف ونقلوا إلي الخبر اليقين. أخبروني بأن

سيدي الحاج أدركته نوبة عقلية. فباع كل أملاكه، وأخذ معه جماعته، واشترى لها المؤونة والسلاح ورحلوا جميعاً إلى بلد يسمى أفغانستان.. هذا هو مصيري.. مضحك قليلاً، ومحزن كثيراً، وغريب جداً. الزوج الأول مات. في بيته وفراشه وفي بلده، والثاني قتل أو سيقتل في دار الغربة والمنفى..أنا اليوم أرملة و(هجالة) ولم يبق أمامي سوى أن أتنازل عن ذلك الدور الذي كان، دور (مولاة) الدار وصاحبة الرأي و(الشوار) وماذا أفعل؟ الأيام تخلت عني، وخذلتني، وأفقرتني بعد غنى، وأذلتني بعد عز. إنني مضطرة لأن أخرج من هذا البيت، وأن أعمل في بيوت الأغنياء، وأن ألقي بهذا الحجاب إلى الجحيم.. (تلقي به بعيداً) وهذه السمنة الزائدة، ما معناها؟ إنها لا تليق بامرأة هجالة مثلي، ومن حقها أن تتخلى عني. لأخرج الآن، فالمشهد يحتاج إلى إعادة ترتيب، وبعد قليل، سأبدأ فصلاً جديداً من وجودي..

(تخرج وهي تجري)

12 - بداية عصر الصابون ..

(يدخل عاملان من عمال المسرح .. يمدان أسلاكاً وحبالاً لنشر الغسيل.. يحضران طستاً كبيراً جداً .. يضعانه وسط المسرح ثم يخرجان،يتدفق الصابون من الطست، وتتطاير الفقاعات في السماء يرافق هذا المشهد الصامت ألحان شعبية قادمة من بعيد تدخل محجوبة وقد تحررت من سمنتها، ومن زيها الذي كان، وأصبحت أقل شباباً وأكثر أكثر شيخوخة)

محجـــــوبة : لقد اكتشفته وحدي، وعرفت طريقه، ولم يدلني عليه أحد. قلت هو الحاجة، وسمعت الناس يسمونه الفقر، وهو مثل الموت تماماً، أو ألعن منه وأفظع.. له وجود كئيب، وله طعم مر، وله ملايين الصور الغريبة. آه من ذلك الشيء القديم الذي تبخر في الهواء .. ظننته حلماً من الأحلام، وإذا به وهم من الأوهام، ذلك العمر الذي كان، أين هو الآن؟ لقد أصبح ذكرى، مضت ساعات الهناء، وطارت وذابت في هذا الفراغ، ومعها راح واختفى كل شيء بديع وممتع.. رحلوا كلهم. تخلوا عني. الثاني بعد الأول، والزوج بعد الزوج، والأم بعد الأب، والأخ بعد الابن، وأصبحت وحدي، أمضغ تعاستي، وأجتر أحلامي وأوهامي..(وهي تصبن) هذه هي النهاية إذن، وقد عرفتها، ومن علاماتها أن يرحل كل شيء، وألا تبقى إلا هذه الأوساخ. يرحل المال والجمال، ويرحل الشباب والفتوة، وترحل الصحة والعافية، ويرحل الأهل والأحباب .. ما أنا اليوم إلا أطلال وظلال. . أطلال عمر كان، وظلال بلا روح وبلا أضواء.هل رأيتم؟ كنت أنا وأصبحت غيري، كنت سيدة وأصبحت خادمة.. أتعبتني أوساخي فزادوني أوساخ الناس.. إنني أعيش لأصبن، وأصبن لأعيش. وسوف أموت يوماً وأنتهي، وتبقى هذه الأوساخ من بعدي، المستقبل لها وحدها، أما المصبنون والمصبنات فكلهم إلى زوال ..لست أدري من أين تأتي كل هذه الأوساخ. إنني أصبن كل يوم، وأعصر كل يوم ، وأنشر كل يوم. وكأنني أحرث في الماء. فهذا القميص هذا كان

في الصبح ناصعاً كالكفن، ولكنه الآن أوسخ من (منديل صفية) وهذا الفستان هذا كان تحفة حقيقية، فانظروا إليه كيف أصبح الآن. إنه (جفاف) لمسح البلاط.. اللعنة عليكم جميعاً. فكروا قليلاً في أمكم محجوبة، فأنا لست من رصاص ولا من حديد وما أنا إلا امرأة من لحم ودم. ارحموني.. ارحموني يا أرباب الأرض يرحمكم رب السماء..(يدخل الرجل محجوب، وهو في زي تقليدي، تؤثثه بقع زيتية كثيرة .. لقد أصبح رجلاً منتفخاً بشكل مبالغ فيه) هذا هو (الباطرون) .. إنه أكبر منتج للأوساخ، وأكبر المالكين لها. فما أسعده أو ما أتعسه.. لست أدري .. يسميه الناس المرفه، أو المرفح..

المرفـــــه : صباح الخير يا أمي محجوبة..

محجـــوبة : أكبر مني سناً، وأكثر أوساخاً، ويناديني أمي! ولكن لا يهم، فهو المشغل وأنا الخادمة، والكلمة الأولى والأخيرة كلمته، حكم الأقوياء على الضعفاء.. (تلتفت إليه) صباح الخير يا سيدي المرفه.. إنه أكبر تاجر للزيت في أفريقيا والشرق الأوسط..

المرفـــــه : وأكبر تاجر أيضاً لعسل النحل، لا تنسي هذا..

محجـــوبة : وكيف أنسى ؟ عسلك عسل خالص، وغير مخلوط بأي شيء، فأنت لا تكره شيئاً أكثر من الغش..

المرفـــــه : أعوذ بالله من الغش، وأعوذ بالله من الغشاشين ومن المزيفين ومن الكذابين..

محجـــوبة : آمين ..

المرفـــــه : وأنا أيضاً تاجر في (الخليع) والقوق والبرقوق والزيتون المشقوق..

محجـــوبة : تبارك الله. وكل هذا من فضل ربي ؟

المرفـــــه : أي نعم، مع شيء قليل من الحظ ومن التفكير والتدبير الحسن. لم تخبريني. أين وصلت يا أمي محجوبة؟

محجـــوبة : أين وصلت؟ إنني أقاوم يا سيدي، وبعنف وشراسة، كما ترى .. (وهي تدعك الملابس بعنف وقوة)

المرفـــــه : رائع.. رائع جداً. يعجبني فيك هذا الوفاء والإخلاص لعملك الشريف والنبيل..

محجـــــوبة : شريف ونبيل ويعجبك، ولكنك لا تقدره حق قدره يا سيدي..

المرفـــــــه : يا أمي محجوبة ماذا تقولين؟ الله وحده قادر على أن يجازيك الجزاء الأوفى، وأن يعطيك كما أعطاني، وأن يغنيك كما أغناني، أما العبد الضعيف مثلي فماذا تنتظرين منه؟ لاشيء..

محجـــــوبة : نعم، وبهذه اللاشيء سوف نعيش إن شاء الله. .. وبها نكذب على أنفسنا، ونوهمها بأننا مثلكم من الأحياء ..

المرفـــــــه : احرصي الله يرضى عليك على أن تخرج ملابسي بيضاء من غير سوء، وعلى أن تصبني وتغسلي أكثر وأكثر، وذلك بأقل ما يمكن من الماء والصابون. وإن كان ضرورياً أن تضيفي مجهوداً إضافياً، فإنني شخصياً لا أرى أي مانع، وأنت كذلك، أليس كذلك؟

محجـــــوبة : أضحكتني يا سيدي المرفه..

المرفـــــــه : (لنفسه) أضحكتها، وهذا معناه أن أفكاري أعجبتها وأقنعتها..

محجـــــوبة : إنني أقول دائماً بيني وبين نفسي طبعاً لماذا الغسل بالماء؟ وفي بلاد كثيرة يصبنون بالتيمم فقط؟

المرفـــــــه : حقاً ؟ ها ها.. حتى أنت أفكارك جهنمية مثل أفكاري..

محجـــــوبة : (لنفسها وهي متضايقة) بخيل، وبليد أيضاً، وبهذا تكتمل (الباهية).. هل رأيتم مع من نشتغل؟ (للجمهور) إذاً قولوا، كان الله في عون أمي محجوبة..

المرفـــــــه : تعرفين يا أمي محجوبة بأن فاتورة الماء فظيعة وقاتلة..

محجـــــوبة : أعرف..

المرفـــــــه : أما ذلك العداد اللعين عداد الماء فهو عدوي الكبير والخطير، وهو لا يشفق ولا يرحم، ولا يدع رحمة الله تنزل على عبده الضعيف

محجـــــوبة : أنت ضعيف؟ وماذا أقول أنا؟.

المرفـــــــه : ها ها. كل هذا ولم أخبرك بما فعل في العداد الآخر..

محجـــــوبة : العداد الآخر؟

المرفـــــــه : عداد الكهرباء، هو عدوي الأكبر والأخطر، وإنني أشكوه وأشكو

أصحابه إلى رب العالمين..(يخرج من بطنه كومة من الملابس ويضيفها إلى(جبل) الملابس الملقاة على أرضية المسرح)

محجوبة : ماذا تفعل يا سيدي؟

المرفه : هذه ملابس أخرى، متسخة قليلاً، كما ترين..

محجوبة : هذه متسخة قليلاً ؟ يعلم الله لو كانت متسخة كثيراً...

المرفه : قليلاً أو كثيراً لا يهم.. ليس بين الكرماء حساب يا أمي محجوبة. اسمعي الله يرضى عليك هذه الملابس، رشيها بالقليل القليل من الماء، ولكن افركيها جيداً، ولكن .. بحنان.. حتى لا تتمزق ..

(يشرع في خلع الملابس التي عليه)

محجوبة : ماذا يفعل هذا الرجل؟

المرفه : الطهارة من الإيمان يا أمي محجوبة..

محجوبة : الإيمان ؟! ومن أين يأتيك الإيمان؟

المرفه : في زمن من الأزمان كانوا يقولون، الماء بلا شراء والقبلة بلا كراء والله يلعن تارك الصلاة، واليوم أصبح الماء بالأداء وغداً، يعلم الله ماذا سيقررون في شأن القبلة..

محجوبة : وأنت ماذا ستقرر في شأن أجري؟

المرفه : إن غسل ملابس المصلين والعابدين من أمثالي لها عند الله أجر كبير وثواب غليظ..

محجوبة : (لنفسها) يراعي حق الله ويأكل حقوق عباده.

المرفه : لقد فكرت يا أمي محجوبة وقلت لنفسي. هذه هي المناسبة، (الجفنة) ها هي، والرغوة موجودة، وأنت هنا. وماذا يبقى؟

(ينزع قميصه ويضعه في الطست، يبقي فقط على سرواله التقليدي)

محجوبة : يا ويلي. ما هذا؟ (يشويني فيك) وفي عقلك. اخرج.. اخرج يا سيدي المرفه.. لعنة الله عليك وعلى سيادتك المزيفة.. واللعنة علي أنا أيضاً، وعلى مهنتي التي ليست مهنة.. (يخرج) سنوات

طويلة وأنا أصبن وأصبن، في الصباح والمساء. وبالليل أحياناً، والعمر يمضي ويمضي، ولكن هذه الأوساخ لا تنقضي، وأفكر في أوساخ الناس، ولا أحد من الناس يفكر في أنني أبيع الطهارة، ولا أشتري إلا الخواء والهباء.. (تصرخ بأعلى صوتها) يا أهل الأوساخ في كل مكان ارحموني قليلاً، وحاولوا أن تنتجوا شيئاً آخر غير هذا العفن .. (تتساقط عليها الملابس من فوق) هل رأيتم؟ إن السماء تمطر.. تمطر ملابس الخردة.. شكراً لكم، يا أيها الذين تسكنون في السماء، وتقيمون في مدن السحاب. رسالتكم وصلت، وعرفنا أنكم بألف وسخ، ونقول لكم، نحن أيضاً بخير، ولا يخصنا والحمد لله شيء سوى قلة النظر في ملابسكم العزيزة..

(تأخذ عصاً، وتشرع في ضرب الملابس وهي تصبن، وذلك على الطريقة القروية في التصبين .. تضرب بقوة وعنف)

13 - ماذا بينك وبين الملابس ؟

(يدخل الرجل نفسه الآخر الحاج، وقد أصبح شاباً يافعاً، يرتدي زياً شبابياً .. يضع سماعات الووكمان في أذنيه، يتلوى في شبه رقص)

الشـــــاب : آه لا لا .. ما هكذا يكون التصبين يا أمي محجوبة. ضعي في قلبك قليلاً من الرحمة، فليس في ملابسنا إلا أرواحنا الطاهرة..

محجـــــوبة : ملابسكم طاهرة؟ إذن تعال شمها، وستعرف كل شيء..

الشـــــاب : ماذا؟ هل قلت شيئاً يا ماما محجوبة؟ إنني لا أسمعك..

محجـــــوبة : ومتى كنت تسمع يا.. ولد سيدي وللا ؟ متى ؟

الشـــــاب : ومع ذلك فقد فهمتك..

محجـــــوبة : وحق الله ما فهمت شيئاً، ولن تفهم شيئاً أبداً ، وستبقى دائماً (في دار غفلون)

الشـــــاب : ماما محجوبة.. اسمعيني جيداً.. إنك تشتغلين بطريقة غير آدمية..

محجـــــوبة : أنـا؟!

الشـــــاب : .. يا إلهي .. إنك تصبنين بشكل همجي وبدائي ووحشي ..

محجـــــوبة : هذا مبلغ علمي، وهذا (جهدي) إنني امرأة مجذوبة، وإنني أصبن على الطريقة الحمدوشية، وفي أحيان كثيرة أصبن على الطريقة الجيلالية أو العيساوية أو الدرقاوية أو النقشبندية، وإذا رأيت شيئاً غريباً فقل (الله يستر)

الشـــــاب : كل ما فيك غريب يا .. ماما محجوبة (الله يستر)

محجـــــوبة : أنت أيضاً. كل ما فيك غريب يا ولدي.. (الله يستر)

الشـــــاب : سبحان الله.. إن كل من يراك وأنت في هذه الجرب القذرة لابد أن يقول..

محجـــــوبة : ماذا يمكن أن يقول؟

الشـــــاب : بأن بينك وبين هذه الملابس عداوة كبيرة وثأر قديم..

محجـــــوبة : لا.. أعوذ بالله. فما بيني وبينها إلا الخير والإحسان، فهي تحبني وأنا أحبها، وهي تعينني وأنا أعينها، وربنا يعين

الجميع.. انظر. هذا القميص. هذا . إنه قميصك. أليس كذلك؟

الشـــــاب : هو قميصي يا ماما محجوبة..

محجـــوبة : لقد صبنته وفركته وعركته وعجنته عجناً. ولم يبق سوى أن أعصره عصراً..

الشـــــاب : ماذا تفعلين؟

محجـــوبة : ماذا أفعل ؟ إنني أشتغل كما ترى أشتغل يا .. ولد سيدي وللا بكل صدق وإخلاص..

الشـــــاب : آه.. إنك تمسكينني من رقبتي..

محجـــوبة : هذا رقبتك ؟ إذاً ، افتح عينيك وانظر كيف أعصر لك رقبتك..

الشـــــاب : آي آي.. هذه المرأة الشمطاء ستقتلني.. يكفي.. يكفي قلت لك..

محجـــوبة : خذ.. انشر قميصك على ذلك الحبل..

الشـــــاب : ماذا ؟ أتريدين مني أن أضع عنقي في الحبل؟ تحرضينني على الانتحار يا عدوة الشباب والجمال والفتوة..

محجـــوبة : أنت شاب ؟. (يشويني) في الشباب أمثالك ..اغرب عن وجهي ودعني لهمي وغمي..

الشـــــاب : هذه المرأة لا تزداد إلا غرابة، حكم العمر، أو حكم الفقر، أو حكمهما معاً ؟ لست أدري .. إنها امرأة معقدة ومجنونة، وهي ترعبني بتصرفاتها الحمقاء..

محجـــوبة : هذا الطربوش. هل تعرفه؟

الشـــــاب : هل أعرفه.. هو طربوش السيد الوالد، ورثه عن جده. أو عن جد جده.. لا أذكر، ولذلك فهو متعلق به، ولا يطيق فراقه..

محجـــوبة : سبحان الله! طربوش الوالد يحمر خجلاً، أما وجهه فلا. إنه وجه قُدّ من صخر أو من قصدير أو من خشب..

الشـــــاب : ماذا تقولين يا ماما محجوبة؟

محجـــوبة : لقد علمت ياولد سيدي وللا ومن مصادر عليمة وثقة، أن السيد الوالد لا يحتاج هذا الطربوش الأثري والتاريخي إلا مرتين في السنة. فهل هذا صحيح أو غير صحيح؟

الشـــــاب : صحيح.. فهو يرتديه في العيدين؛ عيد الفطر وعيد الأضحى، وهو يؤدي به الصلاة يوم الجمعة، مع الجلباب والسلهام والبلغة، ثم يرد كل شيء إلى الصندوق..

محجـــــوبة : آه. والمناسبة الآن على الأبواب..

الشـــــاب : أرجوك ماما محجوبة أتوسل إليك وأقبل يديك، صبنيه بعناية، فهذا الطربوش عزيز على الوالد. عزيز عليه مثل (شكارته) أو أقل كثيراً..

محجـــــوبة : لاشيء أعز لدى أبيك من (الشكارة) فهي عينه التي يبصر بها، وهي أذنه التي يسمع بها، وهي يده التي يبطش بها. انظر.. هذا الفراغ يا ولد سيدي ولللا يضع أبوك فراغه الآخر والذي يحسبه رأساً، وما هو برأس..

الشـــــاب : واي.. النجدة.. الإسعاف.. اطلبوا لي المطافئ ، هذه المرأة. امسكوها.. إنها مجرمة وقاتلة..

محجـــــوبة : لماذا يصرخ هذا الملعون؟

الشـــــاب : لقد هشمت دماغ أبي وعجنته و(عوجته) و..

محجـــــوبة : سبحان الله! ومتى كان لأبيك دماغ؟ ما في جمجمته إلا الهواء والغازات المسيلة للدموع؛ دموع الأرامل والثكالى واليتامى والمقهورين والمقهورات..

الشـــــاب : أنت امرأة حمقاء..

محجـــــوبة : وأنت ولد أعور العقل..

الشـــــاب : كل كراهيتك تصببينها على ملابسنا البريئة والطاهرة..

محجـــــوبة : نعم، وكل سمومكم القاتلة، تنفثها أنت وأبوك وماماك وأهل بيتك في عروقي.. ابتعد عني وإلا كسرت رأسك.. ابتعد..

الشـــــاب : ماما.. ستقتلني هذه المجنونة.. أين أنت يا ماما؟

محجـــــوبة : يا رب العالمين. أمن العدل أن يلبس واحد، وأن يصبن الآخر؟ إنني لا أفهم هذا .. هم ينتجون الأوساخ، وأنا أحاربها .. وحدي؟ غير ممكن.. وهم يفرحون ويسعدون وأنا (أشطح) لهم.. هذا هو (خرجان) العقل يا عباد الله..

14 - الصابون قبل الخبز أحياناً ..

(تدخل امرأة أنيقة، تمشي بشكل آلي يذكر بالسينما الصامتة، بيدها صندوق كبير، تحمله بعناية فائقة .. الصندوق ملفوف في ورق الهدايا، ومحاط بخيط مذهب .. وبحركة بطيئة جداً، تفتح المرأة الصندوق، وتخرج منه ملابس بالية ومتسخة، تشمها ثم ترمي بها بعيداً .. تلقي بالملابس في الماء من غير أن تلتفت إلى محجوبة)

محجـــــوبة : (وهي تراقب هذا المشهد الصامت في اندهاش) ماذا تفعل هذه المرأة؟ ثم أيضاً. من تكون؟ لا أظنني رأيتها قبل الآن.. يا.. سيدتي.. إنني هنا. فكلميني.. قولي أي شيء.. اخبريني على الأقل.. (تخرج المرأة بالحركات الآلية التي دخلت بها) طارت وتبخرت.. راحت هي، وهذه كل مخلفاتها.. (وهي تتأمل ملابسها) وهي فعلاً تدل عليها، وتشبهها و..

(يدخل الرجل محجوب المرفه، وهو في زي ممثل شركة، يمسك بيده بعض العلب ..)

م.الشركـــة : صباح الخير والربح المبين..

محجـــــوبة : بسم الله الرحمن الرحيم.. من أين دخلت أنت؟

م.الشركـــة : من ذلك الباب..

محجـــــوبة : هل أنت سيدي المرفه؟

م.الشركـــة : لا. أنا مواطنه.. نظرياً، لنا الحقوق،نفسها، وعلينا الواجبات نفسها؛ هكذا يقولون في الراديو، فقط هو غني جداً، وأنا فقير جداً جداً.. إنني كما ترين يا للا رجل ممثل..

محجـــــوبة : أنت ممثل؟!

م.الشركـــة : ممثل شركة (قد) الدنيا. وكل شيء مكتوب على هذه العلب..

محجـــــوبة : القراءة ليست مهنتي..

م.الشركـــة : سيدتي.. واي واي. هذا هو البياض حقاً. وهذه هي النظافة وإلا، فلا أنت امرأة عالمة وحكيمة، واختياراتك لا يمكن أن

تكون إلا صائبة، وأنت لا يمكن أن تكوني إلا مصيبة..

محجـــــوبة : حقا.. أنا مصيبة..

م.الشركـــة : النقاء يشم من بعيد يا للا. أعرف أنك امرأة متواضعة، ولذلك فلن أحرجك بالأسئلة الغليظة، سأقول أنا، وأتكلم أنا، وتسمعين أنت. فهل لديك مانع؟ أبداً ،هل سمعتم ؟ لم تقلها هي، ولكنني فهمتها أنا. ما أروع هذه المرأة. فهل يمكن أن نعرف اسمك يا للا؟

محجـــــوبة : أنا ؟ أنا اسمي محجوبة..

م.الشركـــة : اسمها محجوبة ..ماذا أقول لك يا للا؟ الله يحجبك، وينجيك من عين الإنسان وعين الشيطان.. الحسد موجود يا للا، صدقيني، وعين الحسود فيها عود وفيها سفود و..

محجـــــوبة : يحسدونني؟! وعلى أي شيء يا ولد الناس؟

م.الشركـــة : على أي شيء. على هذا البياض وعلى صابونك الفعال. فهل يمكن أن نعرف ياللا بأي صابون تصبنين؟

محجـــــوبة : إنني والله يا..

م.الشركـــة : هل سمعتم؟ إنها تصبن بصابوننا المشهور والفعال. حقاً. لم تقلها هي، ولكنني فهمتها أنا. واللبيب مثلي من الإشارة يفهم. سر هذه المرأة العظيمة يا سادة يا كرام أنها لا تصبن بأي صابون، فهي منحازة إلى الجودة، لأنها سيدة بيت ممتازة، وتعرف من أين يؤكل الصابون.. خذي يا للا. هذه هدية الشركة..

محجـــــوبة : ما هذا ؟

م.الشركـــة : هذا صابونك المفضل..

محجـــــوبة : وأين خبزي المفضل يا ولد الناس؟

م.الشركـــة : الصابون أهم من الخبز. صدقيني.. خذي هذه العلب واعلمي أن هذا وحده هو الصابون الحقيقي، وهو الذي يصبن أحسن..

محجـــــوبة : يا ولد الناس .. كذبوا عليك. أنا التي أصبن أحسن..

م.الشركـــة : ميزة هذا الصابون يا للا تكمن في أنه صابون وفراكة وآلة للتصبين

محجـــــوبة : آلة التصبين هي أنا.. أمك محجوبة..

م.الشركـــة : بهذا المنتوج ستوفرين كثيراً من وقتك الثمين، وسيكون بإمكانك أن تزاولي رياضتك المفضلة، أن تركبي الخيل، أو تزاولي المسايفة أو على الأقل أن تهتمي بأظافرك، وأن تستمعي إلى الراديو، وأن تثرثري مع الجارات، وأن تتصفحي مجلات الموضة، وأن تتابعي أخبار النجوم، وأن تتعرفي على ما يجري في فلسطين وفي العراق وفي أفغانستان..

محجـــــوبة : آه. ذكرتني بذلك الغائب.. ما أظنه إلا قتل مع القتلى يا ولدي. هل أنت فعلاً من هذه الأرض؟ ومن هذه البلاد؟

م.الشركـــة : ما هذا السؤال الغريب يا للا؟

محجـــــوبة : عجباً ؟ إن من يسمعك تتكلم هكذا، يظن أنك من بلاد الشطحان، التي ليس لها مكان..

م.الشركـــة : يا للا .. أنا من هذه البلاد، ومن هذا الحي أيضاً..

محجـــــوبة : يا سبحان الله ! ومع ذلك تتكلم كما يتكلم الراديو والتلفزيون..

م.الشركـــة : يا للا اسمعيني، وافهميني. إن الشيء الذي أتى بي إليك، هو مصلحتك. وحق الله والنبي رسول الله لاشيء يهمني إلا مصلحتك..

محجـــــوبة : مصلحتي؟! أين هي مصلحتي؟ دلني عليها وأجرك على الله..

م.الشركـــة : أنت صاحبة هذا القصر الكبير. زادك الله من خيراته ..

محجـــــوبة : كذبوا عليك يا ولد الناس..

م.الشركـــة : .. وإنك بلا شك تحتاجين لمنتوج مثل هذا ؟ يوفر لك المال، ويحتفظ لك بالشباب والجمال..

محجـــــوبة : المال؟ أنا مالي غير آلتي التي ترى .. (تشير إلى جسدها) والتي تطحنها هذه الأكوام من الأوساخ ..القصر له أصحابه. هل فهمت؟ وما أنا غير خادمة وأجيرة فيه و(الله يجيبك على خير)

م.الشركـــة : آه. هكذا إذاً ؟ ومع ذلك لم نختلف كثيراً يا للا..

محجـــــوبة : وا عباد الله.. هذه المصيبة من أين خرجت لي؟

م.الشركة : هذا المنتوج هذا يمكن أن يوفر لك ما هو أهم من المال، فهو يرفع عنك شيئاً من المعاناة، ويضمن لك شيخوخة مريحة، ويجعلك تعيشين إن شاء الله أكثر وأطول.. إيه. ما قولك؟

محجوبة : نعم. وكل هذا من أجل أن أطحن أكثر، أليس كذلك؟ ابتعد عني..

م.الشركة : سأبتعد. جسدياً فقط، أما قلبي فسوف يبقى معك.. خذي يا للا. هذه علب أخرى. وهي تحتوي على الصابون الحقيقي، وهو معروف بهذه العلامة. ولا يمكن تقليده أبداً، وإن جاءوك بشيء آخر لا تقبليه، وإن كان صابون تازة، والقي به في وجوههم، وأخبريهم بأنك تحبين هذا، وبأنك تموتين عشقاً فيه، وأنكما منذ الصغر تعاهدتما على الإخلاص والوفاء.. خذي. قربيه إلى صدرك وقولي له (أنت أو لا أحد) و(أنت عمري) و(بعيد عنك حياتي عذاب)

محجوبة : انظر يا ولد الناس.. هل تعرف هذه الآلة المباركة؟

م.الشركة : نعم. أعرفها. إنها «الخباطة» يا للا..

محجوبة : أحسنت. وهي من فصيلة العصا التي خرجت من الجنة. قل يا ولد الناس، هل سبق لك مرة وجربت أن تصبن بها؟ لا تقل شيئاً حتى أكمل. لقد قلت من الكلام ما يكفي قبيلة ويزيد، وما رأيك أن أصبنك بها؟

م.الشركة : بها؟

محجوبة : بالخباطة ؟

محجوبة : وبلا صابون ولا (فراكة) ولا آلة تصبين وسأجعلك إن شاء الله أنظف من جيب المزلوط..

م.الشركة : لا. إن هذه المرأة لا يمكن أن تكون عاقلة. أردت أن أساعدها على التصبين، واختارت هي أن تصبنني..

محجوبة : لم يكذب .. إنه فعلاً ممثل.. ممثل هزلي..

15 - امرأة لم تولد امرأة ..

محجـــــوبة : آه .. ماذا أقول؟ هما غلطتان اثنتان في حياتي.. نعم، هما غلطتان وليس أكثر، ولكنهما مدمرتان وقاتلتان .. غلطتان يا عباد الرحمان (واحدة درتها بيدي، والثانية كاتبت علي، ما بيدي ما اندير) (تضحك) صدقوني .. أنا في البدء لم أولد امرأة، وحق لا إله إلا اللّه لم أولد إلا كما يولد كل مولود .. عار من كل شيء، من ثوبه ومن اسمه ومن جنسه،ولكن أهلي سامحهم اللّه علموني ودربوني من أجل أن أصير امرأة.. أسموني محجوبة .. وقلت لا بأس، وحجبوني عن الدنيا .. كل الدنيا .. وما عرفت بوجود شيء يسمى الدنيا.. وعشت مبعدة ومنفية، ولم ترني حتى العفاريت الزرقاء.. وعلموني كيف أصبن وأعجن، وأفهموني أن معرفة الأشياء خير من جهلها.. صنعوا مني امرأة .. امرأة بيت ممتازة ..آه ، ما أشقاني بنفسي .. أيام (الباكور) قليلة جداً يا بنات الناس، وهي تمضي بسرعة.. تظهر فجأة، وتختفي، وتلمع في سمائنا ثم .. تنطفئ.. أمكم محجوبة كانت سيدة بيت .. متوجة بتاج العروس، وكان ذلك في غابر الأيام .. حقاً ، ضيعت الآن كل شيء ، ولكنني ربحت صنعتي .. صنعة تنظيف ملابس الآخرين.. الماضي ضيعته، أو ضيعوه ، والمستقبل في كف عفريت، وأنا بينهما أعيش معلقة في الفراغ، بلا تأمين ولا ضمان وبلا أمان..(تلقى من الكواليس ملابس كثيرة ، ومن كل الجهات) اللّه اللّه .. هل رأيتم؟ لقد تحسنت أحوالي، ولم يعد هناك أحد (بحالي) .. أصبحوا يرمونني بالورد والزهر، فما أسعد أمكم محجوبة .. (تكلم أشخاصاً وهميين في الكواليس) شكراً .. شكراً على الهدايا التي لا تقدر بصابون.. ماذا؟ هل سمعتم؟ لقد أجابوني وقالوا، لا شكر على أوساخ.. هكذا تكون الآداب الرفيعة، وأنا أيضاً، ينبغي أن كون في المستوى، أليس كذلك؟ وأن أرد لهم التحية بمثلها، أو بما هو أحسن منها.. خذوا .. (تأخذ في إعادة الملابس إلى الجهة التي أتت منها)

هذه بضاعتكم المعطرة نردها لكم .. وهي مشفوعة بالتحيات الطيبات، وموصولة بالأماني الزكيات .. خذوا .. (تلتفت إلى الجهة الأخرى، فتجد أن ملابس أخرى تلقى منها) ما هذا؟ إنهم يصرون إصراراً كبيراً على الكرم العظيم .. (تنادي بأعلى صوتها) يا أيها الناس .. جعل الله بيوتكم دائماً عامرة.. عامرة بأي شيء؟ عامرة بالأوساخ المباركة، وهل لديكم غيرها؟ ونحن بعون الله مع قوته نقتسمها معكم، تأخذون أنتم الأموال وتسمونها وسخ الدنيا، وتعطوننا نحن الأوساخ وتسمونها فقراً، وهذا منتهى العدل ومنتهى الإنصاف (وهي ترمي وتلقي الملابس إلى الخارج .. وتعود إليها الملابس نفسها من كل الجهات)لا .. لا .. غير ممكن .. أيها الناس .. ارحموا عجزي وضعفي .. ارحموا شيخوختي .. ألا ترون يا أهل العيون المفتوحة أنني أغوص وأغرق .. أغرق في حوض الماء والصابون، وأنني أموت في كل لحظة مرتين.. ارحموني. ارحموني.. وحدي لا أقدر على شيء والمقاومة أصبحت عبثاً في عبث .. صدقوني .. أنتم لا شي يطهركم اليوم إلا الطوفان.. طوفان الماء والصابون، وهو بلا شك قادم.. إن لم يكن اليوم فغداً، أو بعد غد، أو بعد بعد غد ..سيأتي الطوفان يوماً .. نعم سيأتي .. صدقوني .. (يدخل الشاب وهو في حالة توتر شديد.. يفتش في جيوبه بعصبية .. ترتطم بعض الملابس الطائرة بوجهه، فيبعدها عنه بعصبية)

الشـــــاب : قالت سيأتي .. وقد أتيت .. (يتجه صوب جبل الملابس، ويأخذ في البحث عن شيء ما)

محجـــــوبة : ماذا تفعل يا .. ولد سيدي؟

الشـــــاب : لقد نسيته في جيب من جيوبي ..

محجـــــوبة : نسيته؟ ماذا نسيت؟

الشـــــاب : شيئاً مهماً وخطيراً، عليه يتوقف كل شيء .. يتوقف وقوفي على قدمي، ويتوقف رأسي على جسدي ..

محجـــــوبة : سبحان الله .. ومتى كانت لك في جيبك أشياء مهمة؟ ما أعرفه عنك، هو أن أباك البخيل لا يعطيك شيئاً ..

الشـــــاب : نعم، ولكن ماما تعطيني كل شيء ..

محجـــوبة : ماماك؟ يعطيها الذل .. (لنفسها) سارقة وزوجة سارق.. تأخذ من جيب الوالد، وتضع في جيب الولد ..

الشـــــاب : آه .. ليتني أقدر أن أتذكر ، فقد كان في جيب من الجيوب ..

محجـــوبة : ومن كانت جيوبه كثيرة، لابد أن يضيع أشياءه ..

الشـــــاب : أنت .. ماذا تفعلين.. ساعديني، وتذكري معي .. ماذا كنت أرتدي هذا الصباح؟

محجـــوبة : تذكر وحدك .. الملابس ملابسك، والجيوب جيوبك ..

الشـــــاب : ما هذا الذي تقول هذه المرأة العجوز؟ إنها ترفض طلبي، مع أننا كرماء معها، وندفع لها الأموال الطائلة من رزقنا ..

محجـــوبة : بأموالكم نعيش، ونربي الريش ..

الشـــــاب : إنني لا أقدر أن أتذكر، وحالتي لا تسمح لي بذلك .. إني في حاجة إلى ذلك الشيء .. ساعديني على أن أجده، ولك ما تريدين .. ساعديني .. أتوسل إليك .. أقبل يديك .. (ينحني ليقيل يدها)

محجـــوبة : آه .. فهمت .. أنت تتحشش يا رأس الغول ..

الشـــــاب : هس .. استريني (الله يخليك) استري عرضي، فما أنا إلا (ولية) مسكينة

محجـــوبة : ما كل هذا السعد الذي نحن فيه؟ حشاش بيننا ؟ يا مرحباً يا مرحباً .. ما أسعد ماماك بك ..

محجـــوبة : لا لا .. أرجوك لا تفهميني خطأ يا ماما محجوبة .. إنني فقط أتناول ما يعدل مزاجي ، ويجعل هذه الدنيا في عيني أحلى وأبهى ..

محجـــوبة : آه .. هكذا؟ ما شاء الله ولا إله إلا الله .. فلوس الحرام تتبخر في الظلام، وقديماً قال الناس ..

الشـــــاب : ماذا قال هؤلاء الناس؟

محجـــوبة : قالوا، فلوس اللبن، أو فلوس الزيت، يأكلها زعطوط .. سبحان الله .. حتى صاحبك زعطوط هذا، له غوله الأكبر منه، والذي يأكله، ويأكلنا جميعاً..

الشـــــاب : (لنفسه) هذه المرأة العجوز تهذي، وتقول أي كلام ، وحالي

الآن حال سيئ، بل وأكثر من سيئ، وهو لا يسمح لي بأن أسمع مثل هذا الكلام .. (ينصرف عن المرأة ، ويغرق بين أكوام الملابس .. يفتش في جيوب السراويل والقمصان بعصبية شديدة)

محجـــوبة : هذه الملابس .. ولأوساخها الشديدة، لا يمكن أن تصبن إلا بالأرجل، وهي لا تستحق إلا الرفس بالأقدام .. هكذا .. (تقف داخل الطست، وتضع قدميها وسط الرغوة، وتنخرط في (جذبة) قوية وعنيفة، يصاحبها عزف طقوسي حاد) لا تسامح مع الأوساخ .. ولا تساهل معها، والعنف العنف يصبن أحسن، ويغسل أحسن ، ويطهر أحسن..

16 - الخاتمة

(يدخل ممثل الشركة من جديد .. يدخل وهو يحضن علبه التي تحجب وجهه .. تسقط من يديه بعض العلب، فيدفعها بقدميه)

م.الشركـــة : أبشري يا .. أم الدنيا .. لقد عدت إليك ..

محجـــــوبة : أنت .. مرة أخرى؟

م.الشركـــة : نعم .. هذا أنا، وقد عدت إليك يا للا .. ما أسعدك بي .. عدت والعود أحمد ومحمد وحميد.. (يضحك)

محجـــــوبة : مثل هذا الرجل، لا ينفع معه إلا القتل شنقاً .. أو على الأقل، رجماً بالحجارة..

م.الشركـــة : (وهو يدخل مزيداً من العلب .. يأتي بها من الكواليس .. يرتبها بعناية) سبحان الله .. هذه المرأة (الدرويشة) لا تطيق فراقي ..

محجـــــوبة : كذبوا عليك يا ولد الناس ..

م.الشركـــة : (للجمهور) تمزح معي ..

محجـــــوبة : .. أو كذبت على نفسك، وصدقتها .. لست أدري ..

م.الشركـــة : أنا وأنت يا للا لا يمكن أن نفترق، فأنا الصابون وأنت الصبانة، وأوساخ الناس وأوساخنا، هي ما يجمع بيننا ..

محجـــــوبة : لا شيء يجمع بيننا .. هذا الممثل الهزلي سأقتله يوماً .. مثل هذه الوجوه لا يمكن أن تموت إلا مقتولة ..

م.الشركـــة : ها ها .. هذه المرأة خفيفة الدم .. اسمعي يا للا محجوبة، ما رأيك لو تغرقيني في الماء والصابون، وأن تغسليني غسلاً كاملاً من الأساس إلى الرأس جربي هذه المادة العجيبة، وسوف تقولين إن شاء الله، صدق هذا الممثل المحترم، وكذب كل الآخرين ..

محجـــــوبة : لن أصدقك، حتى أراك تصبن .. خذ هذه الملابس واشتغل .. ماذا تنتظر؟ شمر عن ساعديك و(فرجني)..

م.الشركـــة : أنا .. أنا اختصاصي هو أن أبيع فقط، أما ذلك الشيء الآخر فمن اختصاص المحجوبات .. اذهبي أنت وصبني،

إنا هنا قاعدون .. (يجلس على علبه) ننتظر أن نروج هذه البضاعة..

محجـــوبة : أنت دجال أيها المغني ..

م.الشركــة : ها ها .. ممثل الشركة أو مغني الشركة .. لا فرق .. المهم هو أن نبيع بضاعتنا والسلام..

محجـــوبة : لست أدري إن كنت أحمق، أو أنك تتحامق ..

م.الشركــة : أحمق؟ أنا؟ ها ها .. مازالت تمزح معي .. من الأحسن لو تقولين، إنني تاجر شاطر ..

محجـــوبة : أنت ؟ أنت تاجر شاطر؟

م.الشركــة : وبأنني بائع عبقري، وشيطان ماهر .. (تخرج من وسط الطست وتتجه نحو ممثل الشركة)

محجـــوبة : اقترب .. قلت اقترب، ألا تسمع؟ أنت ممثل، وتبيع الصابون .. هذه فهمتها، ولكن الشيء الذي لا أفهمه هو حالتك ..

م.الشركــة : ماذا بها حالتي؟

محجـــوبة : عجباً .. يسألني أنا .. ولو سأل المرآة لعرف كل شيء .. تبيع الصابون المسحوق يا ولد الناس وأنت مسحوق؟ تبيع الصابون، ومع ذلك ترتدي هذه الملابس المتسخة .. اخبرني .. كيف تفسر هذا؟

م.الشركــة : ها ها .. كيف أفسره؟ الأمر سهل يا للا .. ألم تسمعي قول القائلين.. الجزار يتعشى باللفت، وعليه، فمن المنطقي أن تكون ملابس الصبان متسخة، والبرهان هو أنت وأنا .. ها ها ..

محجـــوبة : سبحان الله .. عالم غريب وعجيب ..

(يخرج الشاب من بين أكوام الملابس .. يقترب من محجوبة)

الشـــــاب : ماما محجوبة .. هنئيني، فمازال شيء من دماغي في رأسي .. أخيراً تذكرت وعرفت..

محجـــوبة : ماذا عرفت؟

الشـــــاب : أنني هذا الصباح كنت أرتدي سترتي الوردية .. تلك المخططة بخطوط خضراء ..

محجـــــوبة : الحمد لله على سلامتك ..

الشـــــاب : ماما محجوبة .. أين هي سترتي الوردية؟

محجـــــوبة : المخططة بخطوط خضراء؟

الشـــــاب : نعم نعم . أين وضعتها؟ أخبريني بسرعة .. بسرعة كبيرة أرجوك، فدماغي لم يعد يحتمل الانتظار أكثر ..

محجـــــوبة : تسأل عن سترتك الوردية؟ إنها مع سروالك الخوخي ..

الشـــــاب : وأين هو سروالي الخوخي؟

محجـــــوبة : ألا تعرف؟ إنه على بعد شبرين من جلباب أبيك الزيتي ..

الشـــــاب : وأين هو جلباب أبي الزيتي؟

محجـــــوبة : إنه على بعد سراويل قليلة من قفطان أمك الفجلي ..

الشـــــاب : وأين هو قفطان أمي الفجلي؟

محجـــــوبة : إنه تحت قميص نومها البرقوقي ..

الشـــــاب : وأين هو قميصها البرقوقي؟

محجـــــوبة : إنه في المكان الذي فيه سلهام جدك العسلي ..

الشـــــاب : ستقتلني هذه المرأة المجنونة .. وأين هو سلهام جدي العسلي؟

محجـــــوبة : إنه على بعد عمامتين من سروال خالتك العكري ..

الشـــــاب : فقدت أعصابي .. ضيعتها .. بالله خبريني .. وبسرعة .. أين هو سروال خالتي العكري؟

محجـــــوبة : ماذا أقول لك؟ لست متأكدة تماماً، فقد يكون فوق أو تحت سترتك الوردية ..

الشـــــاب : وأين هي سترتي الوردية؟

محجـــــوبة : سبحان الله.. أتسأل عن سترتك الوردية؟ لقد أخبرتك بأنها مع سروالك الخوخي .. ألا تذكر؟

الشـــــاب : لقد فهمت .. إنك تسخرين مني ..

محجـــــوبة : آه .. الحمد لله أنك أصبحت تفهم ..

الشـــــاب : انتظري أيتها العجوز الشمطاء.. سأنتقم منك شر انتقام.. سأبعثر لك هذه الملابس التي تصبنين ..

محجـــــوبة : تفعل خيراً يا .. ولد سيدي وللا ..

الشـــــاب : ثقي بأنني لا أمزح معك، وبأنني جاد كل الجد .. سأرمي بهذه الملابس في الهواء .. هكذا .. (يرمي بالملابس في كل الجهات)

محجـــــوبة : يا ويلي .. هذا عمل شاق ومتعب، ولا يصح أن تقوم به وحدك.. اسمع .. إن كنت تريد أن أساعدك فقلها .. قلها ولا تخجل يا رأس الغول .. (تضحك) إنني مستعدة لأخدمك، تماماً كما خدمت ماماك وباباك وكل أهلك وعشيرتك ..

(تقهقه بأعلى صوتها وهي تلقي بالملابس في الهواء)

الشـــــاب : لا لا .. ابتعدي أنت .. وحدي سأرمي بهذه الملابس إلى الجحيم.. إنها كلها لا تساوي أي شيء .. إنها مجرد ألوان خادعة وكاذبة، وقد سرقت مني متعتي ولذتي، وحرمتني نشوتي وبهجتي، وسرقت مني اطمئناني وسعادتي .. (بهيستيريا) اللعنة على كل الملابس، واللعنة على كل الجيوب، واللعنة على كل الناس في كل مكان ..

(تدخل امرأة وتأخذ في التقاط الملابس التي يلقي بها الشاب في الهواء، ثم تتجه نحو حبل الغسيل، وتنشر عليه ما بيدها من ملابس)

م.الشركـــة : ماذا تفعل هذه المرأة؟ إنها تنشر الملابس من غير غسيل ..

محجـــــوبة : من غير غسيل؟ وأنت ماذا يهمك من هذا؟

م.الشركـــة : ماذا يهمني؟ وهذه العلب .. علب مسحوق الصابون .. ماذا أفعل بها؟

محجـــــوبة : افعل بها ما تشاء .. كلها إن شئت، مشوية أو مقلية أو محمرة، إنه لا شيء ألذ من الصابون المسحوق .. (تقهقه بصوت مرتفع)

م.الشركـــة : عالم مجانين وحشاشين وحمقى .. أوقفوا هذه المهزلة الأرضية.. أوقفوا هذا السيرك ..

(يستمر الشاب في إلقاء الملابس بعصبية وجنون، وتستمر المرأة في التقاطها ونشرها على حبل الغسيل، ويواصل ممثل الشركة في رد الملابس إلى مكانها)

محجـــــوبة : ولماذا تريد أن توقف هذه المهزلة؟ لماذا؟ (تضحك ضحكاً عصبياً) ألا تريد أن تضحك مثلي؟ اضحك يا رأس الغول.. اضحك .. ألا ترى بأن الحمق يضحك ويبكي .. إنني .. إنني.. ماذا كنت أريد أن أقول .. ضيعتم الكلام من فمي، ولم أعد أعرف ماذا أقول .. أخزاكم الله يا أولاد الأبالسة.. (مرة أخرى تقف وسط الطست، وتأخذ في رمس الملابس بقدميها الحافيتين، تتحرك على الإيقاع الطقوسي المتصاعد في عنفه وقوته) اسمعوني .. أنا محجوبة .. سلطانة الحسن والدلال بلا جدال، في سرير وفراش كان مسقط رأسي، وفيهما كان صعودي وانهياري ، وكان سعدي وبؤسي، وكان اشتعالي وانطفائي .. إنني أكلمكم عن محجوبة.. أكلمكم عني .. ومضت الأيام تطارد الأيام، ومضت الليالي تتنكر لليالي وتخونها وتتبرأ منها .. المحجوب .. زوجي الذي كان، اختار الموت.. ربما لأنه الاختيار الأسهل، ولأن العيش الحق صعب وصعب وصعب .. أما سيدي الحاج، فقد اختار الأوهام على الأحلام، ومشى في طريق غريب.. طريق داخله مفقود والخارج منه مولود .. وبقيت وحدي.. وحدي بقيت أصارع العفاريت التي تسكن الأزياء، وأقاتل الشياطين التي تقيم في دهاليز النفوس المظلمة .. دوامة العيش قاهرة ومدمرة يا .. أولاد الناس، وأمكم محجوبة مازالت تصر على الحياة، ومازالت رغم كل شيء على قيد الحياة، أو على قيد ما يشبه الحياة .. لست أدري .. لست أدري .. (تتوقف الموسيقى فجأة، فتتوقف محجوبة عن الحركة الموقعة وعن الكلام) آه.. ماذا كنت أفعل؟ وحدي لا يمكن أن أطهر كل هذه الدنيا.. ما أغباني من امرأة .. (اللي ولد شي ولد يربيه) هذا هو المنطق.. و(اللي وسخ شي وسخ يصنه) بيديه أو بقدميه أو بأسنانه .. (تحمل صرة كبيرة وتدير ظهرها للجمهور) إنني ذاهبة إلى بيتي .. عائدة من حيث أتيت .. (تلوح بيدها وهي تمشي في مكانها .. تصبح الحركة من حولها أكثر سرعة، ويتحول المشهد إلى ما يشبه مشاهد السينما الصامتة .. فجأة .. يعم الظلام كل المسرح)



مسرحية

ياليل ياعين

موال مسرحي
في نفس واحد

شخصيات المـوال المسرحي

عبد اللـــــه : مجذوب الحي والمدينة

عبد البصير : الكاتب الذي كان أعمى

القنفـــــود : المخبر

النمـــــس : المخبر

درهمـــــان : الشحاذ الأعمى

جوقة العميان

عـــــــواد : العواد في الجوقة

موســـــى : عازف الكمان

القصبـــاوي : عازف الناي

فرحـــــان : ضابط الإيقاع

الصافيـــــة : المرأة المنتظرة

بن هـــــدي : الرجل المنتظر

معـــــروف : صديق بن هدي

البحـــــار : الناسي

الرجـــــل

1 - بـداية الـمـوال ..

(ساحة فارغة، هي جزء من جسد مدينة راقية، وعند هذه الساحة تلتقي مجموعة من الطرق، والتي تأتي من أحياء سكنية مختلفة من المدينة في الخلف، وعلى بعد بعيد جداً ، تلمع أضواء باهتة تمثل أحياء صفيحية فقيرة، غارقة في الصمت والظلام .تطوق الساحة أشكال هندسية متداخلة تمثل أبواب الفنادق الفاخرة، وتشير إلى أبواب النوادي الليلية وإلى المطاعم، وإلى الواجهات الزجاجية اللامعة.. على هذه الأبواب تلمع كتابات ضوئية، يمكن أن نقرأ منها: مقهى النور، حانة الوجود، فندق الهناء، مطعم الذوق الرفيع، كشك الجرائد والهدايا، نادٍ خاص..)

الوقـــــت : ما قبل منتصف ليلة ربيع..

أما الزمـــن : فهو هذه الأيام، أو ما يمكن أن يشبه هذه الأيام، أو ما يمكن أن تأتي به الأيام في يوم من الأيام.

أعمدة الإنارة العمومية ترسم بقعاً ضوئية هنا وهناك

(يسمع جرس يرن، يدخل درهمان الشحاذ، وهو يسوق دراجة هوائية)

درهمـــــــان : (يضع على عينيه نظارات سوداء ، مما يوحي بأنه أعمى)
وا ديرو الطريق، راه درهمان الشحاذ، واللي هو أنا ، جاي فالطريق، أنا غير اعمى، والعمى ما عليه لومه، أنا غير أعمى، والهم همكم أنتما .. (يترجل) أسيادنا ، أمالين الخير ، من فيكم يكون كريم وزعيم ، ويعطينا شي مليون درهم؟ كثيرة مليون ؟ ما عليهش ، ربما بالغت كثيراً ، وألف درهم ، ما قولكم فيها ؟ حتى هي كثيرة ؟ إيوا اعطيوني غير اميا، ولا مياتاين .. إلى كنتم من هذه البلاد، بحالي، أعطوني الدرهم، راه مقبول منكم، أما إذا كنتم من السواح ، آراو العملة ، و كيف ما كانت هاد العملة يا احباب الله، ما يهمش ، المهم أن تكون صعبة،

أمريكية كانت ، كندية ، أوروبية ، يابانية خليجية، روسية، كل شي مقبول عند الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.. (يعترض طريق رجل خارج من حانة ، ويوقفه بعصاه) آجي انت فاين غادي ؟ أدخل يدك في جيبك، وآرا شي بركة ..

الرجـــــل : قل أولاً، كيف رأيتني وأنت .. ؟

درهمـــــان : كيف ؟ الله وحده يعلم كيف ، أما ، أنا فلا شيء يشغلني إلا كم.. كم تعطيني أنت ، وكم يعطيني الآخر..

الرجـــــل : إنني لا أظن أنك قد رأيتني بأم عينيك ..

درهمـــــان : سبحان الله، ألا تعرف ؟ أم عيني ماتت يا صاحبي (يبكي بافتعال) ماتت وتركتني يتيم العينين ..

الرجـــــل : أقلت ماتت ؟

درهمـــــان : من زمان هادي ..

الرجـــــل : كلنا لها يا صاحبي ، والدوام لله وحده ..

درهمـــــان : ومن أجل أم عيني أريد أن (تدور) معي ، وأن تعطيني شيئاً من وسخ الدنيا..

الرجـــــل : ماذا أقول لك يا صاحبي ؟

درهمـــــان : قل هاك آدرهمان ، قلها ولا تخف ، واعطني بلا حساب، راه ما كيحسب، ولا يتحاسب إلا المزلوط ـ حاشاك ـ وما أظنك مزلوطاً ولا مسخوطاً ..

الرجـــــل : جئت متأخراً يا صاحبي ..

درهمـــــان : متأخراً؟ واخا جئت راكباً عود الريح، واللي هو ولد عم بساط الريح؟

الرجـــــل : صاحب الحانة أخذ كل شيء ..

درهمـــــان : ولد الحرام ..

الرجـــــل : ولو أنك جئت قبل ساعة ، لأعطيتك ، وأعطيتك ، وأعطيتك، حتى تقول كفاني .. كفى ..

درهمـــــان : أنا أقول كفى ؟ الله يعطيني لعمى لكحل إلى نقولها ، وإلى حتى أفكر فيها.. أبيه ، راهم قالوها في الأمثال وما كذبوا ..

الرجـــــل : ماذا قالوا ؟

درهمـــــان : قالوا، أصحاب الحانة ، ما تركوا لأولاد الحلال شيئاً (مشيراً

إلى نفسه) اعطني سيجارة (الله يعفو عليك) ..

الرجـــــــل : تريد سيجارة ؟

درهمـــــان : أبيه ، وأريدها ـ شرف الله قدرك ، أمريكية ، هذا هو شرطي ومطلبي، وأن تكون شقراء ، مثل الذهب الخالص ، أو في لون الويسكي المستورد ..

الرجـــــــل : خذ (يمد إليه بعلبة السجائر، فيتلقفها درهمان، يخرج منها سيجارة واحدة، ثم يضع الباقي في جيب سترته)

درهمـــــان : ماذا أقول لك ؟ شكر الله سعيكم ، وعلى كل حال ، هذه حسنة، ولو أنها صغيرة وتافهة ، فقد كتبت لك، وستجدها إن شاء الله يوم الحساب في ميزانك المقبول.. (وهو يشم السيجارة) آش هذا ؟ هذه سيجارة ليست ولابد يا صاحبي ..

الرجـــــــل : وكيف عرفت ، وأنت لا ترى ؟

درهمـــــان : لا أرى نعم ، ولكنني أشم يا صاحبي ، وقد يحدث أن أرى في بعض الأحيان..

الرجـــــــل : عجباً، أنت أعمى وتراني، وأنا الذي لست أعمى لا أراك ، ولا أرى أحداً سواك ..

درهمـــــان : ومن قال ، أنت لست أعمى ؟ العمى يا صاحبي أشكال وألوان، وأخطر كل العميان ، في هذا الزمان، وفي غير هذا الزمان ، هم السادة الأغبياء..

الرجـــــــل : وأظن أنني ، ياصاحبي ، لست من هؤلاء ..

درهمـــــان : آه، ومن سوء حظك وحظي، أننا لسنا من هؤلاء ، ومن يرفض أن يكون من أصحاب السعادة، ومن أصحاب الفخامة ، ومن أصحاب العظمة البلداء ؟ غبي وابن غبي ، من يرفض أن يكون غبياً في دولة الأغبياء .. أنا أعمى حقاً ، ولكنني حاضر دائماً يا صاحبي، والأعمى الحاضر يرى ما لا يراه المبصر الغائب .. (يواصل الكلام، ولكن كلامه لا يسمع ، لأنه يتلاشى وسط الضجيج والصخب ووسط موال صادر من الحانة، تدخل جوقة العميان ، وتعبر بسرعة ، ويطل المخبران ، النمس والقنفوذ من خلف حائط، وتعبر الصافية وهي تدفع عربتها ، ويدخل رجل في زي البحرية، وهو بتمايل، وتكثر الحركة على

المسرح، وتتعالى الأصوات الخارجية ، ويتداخل صوت الغناء والموسيقا وتتقاطع الكلمات المبهمة ، وفجأة يتوقف كل شيء، ويصبح المشهد جامداً، وتزحف الظلمة عليه شيئاً فشيئاً ، ولا تبقى إلا بقعة ضوء صغيرة وضيقة ، داخلها يقف عبد الله المجذوب)

2 - المدينة وشهادة المجنون

(عبدالله، وهو يتأمل الفضاء الفارغ حوله ، وينصت لموال قادم من بعيد)

المـــــــوال : سكرت من المعنى الذي هو طيب ،ولكن سكري بالمحبة أعجب

عبد اللـــــه : هذه هي المدينة، ليس كل المدينة ، ولكن وجهها الليلي فقط، وهؤلاء الناس، هذا وذاك وتلك والآخر، وهؤلاء والآخرون والأخريات ، هؤلاء هم كائنات الليل فيها ، ومن كان مجنوناً مثلي، ومن كان مدمناً على التسكع مثل عبد الله المجذوب، لابد أن يعرف كل شيء ، ولابد أن يعلم ، أن كائنات هذا الليل، ليست هي نفسها كائنات النهار..أنا الموجود هنا ، الاسم فلان ، والجنس إنسان ، والوطن ؟ وطن الغرائب والعجائب ، ووطن الهم والأحزان ، أما العنوان ، فهو هذا المكان، وهو كل مكان، وهذا العمر يا سادتي، ما هو إلا رحلة .. رحلة طويلة أو قصيرة، باتجاه مملكة الصمت والنسيان ..هذه فنادق، لها نجومها الأرضية، كما السماء لها نجومها السماوية، وهي كائنات إنسية حقيقية، مثل كل الناس في المدينة ، بعضها سيءالسمعة، وبعضها الآخر سمعته بين بين ، وأكثرها فنادق مشبوهة والعياذ بالله ..وهذه مطاعم فاخرة، أكلها طيب وشهي وحلال، هكذا قالوا، والله أعلم، ولكن بعض روادها - قلنا بعضهم فقط - من أولاد الحرام، ورزقهم أيضاً ، رزق حرام ..إنهم يأكلون طعاماً له ذوق ، ويشربون شراباً له طعم ولون، مع أن الأصل في الماء، أنه بلا طعم ولا لون، وسبحان الله الذي فضل بعض الماء على بعض .. هل رأيتم ؟ هي بنايات لها واجهات زجاجية لامعة وشفافة ، وهي حاجز بين إنسانين مختلفين ، الإنسان الأول يأكل - بالصحة والعافية - والثاني يتفرج عليه ، واللي ما أكل يتفرج ، والفرجة بالمجان .. وهذه.. هذه حانات وعلب ليل ، بها حنان له أجر وله أثمان، وبها شراب روحي، قليله معتق ، وأكثره (مغشوش) ، وبها

أجساد فيها أرواح ، وأكثرها جثث بلا أرواح .. وهذا الضجيج الذي أسمعه وحدي ، هو الذي يسمونه الموسيقا ، وتلك الأجساد التي تتلوى بداخل هذه البنايات (وهو يطل من خلف النافذة) ليس بها وجع أو مغص ، ولكنها فقط ترقص، أي نعم ، هي اختارت أن ترقص هكذا (وحنا مالنا ؟) وهي حرة في أن تفعل بأجسادها ما تشاء ..وهذا الليل له طقوسه ، وله زيه، وله ألوانه.وله سحرته وكهنته ، وله حكامه وسلاطينه ، وله حكماؤه ومجانينه ، وله جلادوه وضحاياه ، وله مشعوذوه ودجالوه ، وله إنسه وجنه، وله ملائكته وشياطينه ... (يحرك شفتيه ليقول كلاماً ، ولكنه لا يُسمع)هذا كلام حذفته الرقابة..

(تعود الحركة إلى ما كانت عليه من قبل، يخرج من الجهة نفسها التي يدخل منها المخبران القتفود والنمس، يرتدي الرجلان معطفين أسودين طويلين جداً، ويضعان على عينيهما نظارات سوداء)

القنفـــــود : واش سمعت شنو قال هاد البشر آصاحبي ؟

النمــــــس : سمعت ..

القنفـــــود : إيوا وشنو رأيك ؟

النمــــــس : هذاك راه غير هبيل ، وكلامو ما عندو لجام ..

القنفـــــود : أنت اللي اهبيل آصاحبي وما عندك خبار ..

النمــــــس : آنا هبيل ؟ إيوا الله يحيبك على خير ، واش نسيتي باللي أنا هو النمس ؟

القنفـــــود : أييه ، أنت هو النمس ، وآنا سماوني القنفود ، وربما غير باش يضحكوا علينا ، وداك الرجل هو عبد الله المجنون ، ولكن ..

النمــــــس : ولكن شنو ؟

القنفـــــود : شكون اللي فينا العاقل ؟

النمــــــس : احنا ..

القنفـــــود : وشكون هو المجنون ؟

النمــــــس : هو ..

القنفـــــود : متأكد أصاحبي ؟

النمـــــس : مليون فالمية أصاحبي ، وكل هاد لكلام اللي كيقولو ما عندو راس ولاأساس..

القنفـــــود : أييه ، ما عندو راس ، وغير انت بوحدك ـ فهاد لبلاد ـ اللي عندك الراس ..

النمـــــس : كلامو كلو تخراف أصاحبي ، صدقني ..

القنفـــــود : وعلاش ما نقولوش ، كلو معاني فمعاني، وكلو ألغاز ورموز، وخاصو اللي يعرف يقراه ؟

النمـــــس : آش عندو ما يقرا فيه ؟ الرجل احمق ومصرفق ، وغير كيخربق، وزيد على هدا كلو ، أنه حمق بالحجة والبرهان ..

القنفـــــود : واش من حجة ؟

النمـــــس : عندو شهادة التخرج آ صاحبي ..

القنفـــــود : التخرج ؟ أمنين التخرج ؟ من الجامعة ؟

النمـــــس : ألا ، من مستشفى الأمراض العقلية ..

القنفـــــود : وهاد الشهادة ، أنت شفتها ؟

النمـــــس : أييه ، شفتها ، وعليها الطابع دالمخزن ..

القنفـــــود : ايوا .. إلى كان هبيل بالشواهد ديالو، ومن عند المخزن ، ما عندنا مانقولو، إيوا ياالله نشوفو ما نديرو .. (يخرجان من جهة ليدخل عبد الله المجنون من الجهة الأخرى)

عبد اللـــــه : لقد خرجا .. الأول نمس ، والثاني قنفذ أملس، وهما كائنان متلازمان ، مثل الثلاثاء والأربعاء، ذهبا إلى (الجايحة الكحلاء) (مشيراً إلى الرجلين)هما عينان اثنتان مفتوحتان على الخواء ،العين الأولى حولاء ، والعين الثانية عمشاء، ومن عول عليهما عول على (الخلاء) خلف كل شيء في هذا الليل شيء ، أو أشياء ، فخلف هذه الأضواء الساطعة واللامعة ظلام حالك ، وفي كثير من النفوس المريضة ظلام دامس، وفي قلب هذا النظام الظاهر فوضى خفية ومختفية، ووراء هذا الهدوء المزيف، عاصفة حقيقية قادمة، فانتظروا العاصفة ، وتوقعوها في أية لحظة ، ومن يزرع الريح ، هل يمكن أن يحصد إلا العاصفة ؟

(يخرج)

3 - عبد البصير، يبصر أو لا يبصر ؟

(يدخل عبد البصير الأعمى ، وهو ممتلئ فرحاً ونشوة ، يضع على عينيه نظارات سوداء ، ويمسك بعصا بيضاء يتلمس بها الطريق ، ويتأبط حزمة من الكتب)

عبد البصير : آه ، ما أجمل هذا الليل، إنه مثلي ، سلطان متوج ، وهذا القمر الذي في السماء، إنه تاجه المرصع بالجواهر والياقوت والمرجان، وهو تاجي أنا أيضاً ، وتاج كل العشاق والشعراء والمجانين والمتسكعين (ينزع النظارات، ويضعها في جيبه) هذه النظارات السوداء أصبحت تضايقني ، إنها تتحالف مع العمى ضدي ، وهذه العصا التي في يدي ،لماذا ترافقني دائماً ؟ أنا لست في حاجة إليها ، لقد مضى ذلك الزمن الذي كان ، وهذا زمن آخر (يجلس على مقعد خشبي) وأنا، ما كنت أعمى،إلا يوم كان العمى موضة ذلك العصر، وكان غريباً ومتخلفاً من ليس أعمى، ولكنه اليوم أصبح ذكرى ، وحرام علي أن أغمض العين أو أنام ، فلا عمى اليوم ولا نوم غداً، فالنوم أخو الموت ، وأخو العمى أيضاً ، وأخوالصمم، ولهذا جئت هذا الحي ، لأنه حي الساهرين وحي الفرحين،وحي الأحياء .. الأحياء حقاً وليس الموتى ولا أشباه الموتى ..

(يخرج من جيبه قلماً وأوراقاً، ويشرع في الكتابة، تدخل امرأة وهي تدفع عربة بها رضيع)

الصافيـــــة : ما أشد سواد هذه الليلة ..

عبد البصير : (يكتب) هذا الليل ليس أسود ، ولكنه رمادي ، وهو ليس لوناً واحداً، ولكنه لونان متحابان في الطبيعة وفي الحياة ، وعشقهما ليس كمثله شيء، هو بياض في سواد ، أو هو سواد في بياض .. (من غير أن ينتبه لوجود المرأة)

الصافيـــــة : إنه مظلم مثل سواد قلبي ، وطويل طويل كشقائي وعذابي

(تكلم ابنتها التي في العربة) أنت على الأقل لديك هذه العربة، وهي شبه بيت، أو هي بيت صغير في حجم الحلم الهارب، أما أنا فلا بيت لي، وإنني أنتظر حتى يأتي أبوك ، ليشتري لنا بيتاً في هذا الحي ..

عبد البصير : إمرأة قالت ، لا بيت لي، مع أن كل هذه الأرض بيتها ، ومن يسكن القلوب العامرة، أفضل ممن يسكن البيوت المعرضة للخراب ..

الصافيــــة : يا ابنتي، لو كنت ميتة ، مثل كل الموتى ، لأعطوني بيتاً من طين وحجر ، وسموه قبراً ..

عبد البصير : (يكتب) لعبة الأسماء ماكرة، فاحذروها يا عباد الله، احذروا أقنعتها وغوايتها، هكذا تكلم مجذوب المدينة ..

الصافيــــة : ولأنني أحيا نصف حياة أو ربع حياة، فإنني عارية كما ترين، ولا أرتدي إلا جلدي، وإذا مت غداً، وليس في نيتي أن أموت أبداً، فسوف يعطونني ثوباً بلون واحد، ويعطون لهذا الثوب اسماً واحداً، وسيقولون هو .. الكفن، وليس من حقك إلا هذا الثوب الواحد الأوحد ..

عبد البصير : (يكتب) وأنا ، عندما كنت أعمى ، لم يعطوني إلا لوناً واحداً أيضاً، وقالوا لي ليس في الحياة ، وليس في الوجود، وليس في المدن والقرى ، وليس في كل الدنيا إلا هذا اللون وحده ، والليلة أكتشف الألوان والأصباغ والأشكال، وأعرف أنهم كانوا كاذبين..

الصافيــــة : أوصيك بالحذر يا ابنتي، وما هذه الوجوه إلا أقنعة ..

عبد البصير : (يكتب) قالت هي أقنعة ، ومضت تبحث عن وجهها بين الوجوه..

الصافيــــة : وما هذه الألوان اللامعة إلا أصباغ كاذبة ..

عبد البصير : (يكتب) وأخذت الأصباغ ، من حقيبة يدها ، وتجملت، ونظرت إلى المرآة الصغيرة وقالت..

الصافيــــة : لو كان هذا الزمن جميلاً ، ما تجملت له ، ولو كان سيدي يعشق روحي ما تجملت له ..

عبد البصير : من وحي هذا الليل الرائع ، وفي سكونه ، سأكتب الروائع، ونحن ما خلقنا إلا للنهار

الصافيـــــة : صدقيني يا ابنتي فرح ، هذا الليل لا شيء فيه ، لا شيء ، إلا الفضائح والفظائع..

عبد البصير : إن أصعب ما في الأشياء هي البدايات دائماً ، فمن أين أبدأ مسرحيتي ؟ ومن قال إنها مسرحية ؟ فقد تكون شعراً، أو خواطر طائرة، أو قصة أو رواية أو ملحمة أو حكاية أو مجرد خرافة ، وأنا لا أدري ؟

الصافيـــــة : وأخطر كل الأشياء يا ابنتي هي النهايات ، ولا شيء يقلقني اليوم ، إلا نهايتك غداً ..

عبد البصير : هل أبدأ من هذه الأنثى الفاتنة ؟ إنها تنتظر، وما أقسى الانتظار. هي عاشقة من زمن الفروسية ، إنها تنتظر حبيبها الذي سوف يأتي ..

الصافيـــــة : من حقنا عليه أن يأتي ، أنت لك أب ، ولابد أن تعرفيه، وأن يعرفك،وأن يعترف بك ، وأنا لدي زوج، ولكن زواجنا تنقصه ورقة، ورقة فقط ، ويكون لك إسم في سجل الأسماء، ويكون لنا بيت ، ويكون لنا عمر نحياه مع الناس ..

عبد البصير : (يكتب) هذا زمن الأوراق .. الأوراق في الإدارات، والأوراق في المعاملات ، والأوراق حتى في المراحيض والحمامات ..

الصافيـــــة : يوم مضى، تم ذلك على عجل ، ولم يكن لدينا الوقت حتى نذهب إلى عدلين،وأن نكتب زواجنا على ورقة ، وهاجر بحثاً عن لقمة خبز، وكنت أنت وحدك ، شاهدة على علاقتنا وعلى زواجنا ، كنت في أحشائي نطفة ..

عبد البصير : فارسها له إسم ، ووليدها الذي في العربة له إسم ، وقصتهم لها إسم..

الصافيـــــة : هذا الرجل، لماذا ينظر إلي بهذه العين ؟ إنه يكتب كلاماً في الأوراق، ترى ماذا يكتب ؟ أيكون من رجال الحال، ومهمته أن يحصي أنفاسي نفساً نفساً ، لنهرب يا ابنتي ، قبل أن تقع الواقعة .. (تدفع عربتها وتخرج)

عبد البصير : لقد ذهبت ، أثقل عليها الانتظار، ودمر أعصابها القلق ، وكان لابد أن تفعل شيئاً ، وبلا شك، فقد راحت الآن تبحث عنه في المستشفيات، إن الطريق اليوم غير آمن ، والحوادث فيه

كثيرة، ولا أحد ينجو من الأخطار إلا من أدركته رحمة الله ، أنا أيضاً ، ينبغي أن أغير هذا المكان ، وأن أذهب للبحث عن مشهد آخر ، وأن أغير المكان والزاوية ، لعلني أكتشف في هذا الليل الجميل جمالاً آخر

(يخرج)

4 - جوقة العميان في الطريق إلى الحان

(تدخل مجموعة من العميان وهي في معاطف سوداء طويلة جداً، يضع كل واحد منهم على وجهه نظارات سوداء ، ويمسك بيده عصاه التي يتحسس بها المكان، يمسك بعضهم بكتف البعض الآخر، يدخلون وهم يتأبطون أدواتهم الموسيقية ، مما يدل على أنهم جوق موسيقي)

عـــــــواد : (وهو يتأبط عوده) ما هذا يا صحبي ؟ لقد انطفأ الضوء فجأة ..

القصبـــاوي : (وهو يمسك الناي بيده) ماذا تقول يا أعمى ؟ ليس الضوء الذي انطفأ ، ولكنه المساء الذي عاد إلينا.. لقد عسعس الليل وأنت لا تدري ..

موســـــى : (وهو يتأبط آلة الكمان) سبحان الله ـ أقلت عسعس الليل يا صاحبي ؟ ولكن الشمس لاتزال في السماء ..

عـــــــواد : نعم ، ولكن في أية سماء ؟

فرحـــــان : (وهو يمسك بيده آلة الدف) سماء الآخرين بلا شك يا صحبي، وليس في سمائنا، وليس من المعقول أن تكون هناك سماء واحدة ..

عـــــــواد : أحسنت، خصوصاً وأن الله سبحانه وتعالى تحدث عن سبع سماوات، وهذه التي فوقنا، هي واحدة منها فقط ، وهي الأدنى بلاشك ..

القصبـــاوي : إذاً لقد عاد المساء إلينا ، عاد من جديد ، وعلى الله أن يكون فيه الجديد ..

موســـــى : أنا ما يحيرني ، أن هذا المساء قد عاد اليوم قبل أوانه ..

فرحـــــان : يخيل إليك فقط يا صاحبي ، لأنه لا شيء يأتي قبل أوانه ..

موســـــى : وأنه لا يشبه تلك المساءات التي كانت ، والتي لم تكن بكل هذا السواد وبكل هذه القتامة ..

عـــــــواد : هذا السواد يا صحبي ، ليس سواداً عادياً، أتعرفون لماذا ؟

الجميـــــع : (بصوت واحد) لماذا ؟

القصبـــاوي : لأنه مركب من كل الألوان السوداء ، وما أكثرها، وهو بهذا

سواد على سواد على سواد على سواد ..

عـــــــواد : أخبروني ـ الله يرضي عليكم ـ سواد هذا الليل الطويل، إذا أضفتم له شيئاً من سواد الوقت، وشيئاً من سواد هذه النظارات التي على عيونكم، ماذا يعطي ؟

الجميـــــع : يعطي الكارثة ..

موســـــى : أما إذا أضفنا له القناطر المقنطرة من سواد النفوس المظلمة والظالمة والمقفرة ، فماذا يعني ذلك ؟

الجميـــــع : (بصوت واحد) يعني قيام القيامة ..

فرحـــــان : أما أنا ، يا أصحابي ، فإنني لا أرى الآن أية ظلمة..

موســـــى : لا يرى ؟ ومتى كنت ترى من قبل شيئاً ؟ (يضحكون)

فرحـــــان : أنا لا أرى ليلاً ولا ظلمة ، وما هذه النظارات التي على عيوننا إلا من أجل أن نتقي أشعة الشمس ..

موســـــى : الشمس ؟ وأين هي الشمس ؟

فرحـــــان : هي هنا ، في قلبي ، وهي هنا ، في رأسي، وهي تسري في عروقي مع دمائي الحارة ، وهي تشرق على أفكاري وحالاتي ، قبل أن تشرق على هذه الأرض ..

عـــــــواد : هذا كلام الحمقى والمجانين ..

القصبـــاوي : لا ، بل هو كلام العميان .. (يضحكون)

فرحـــــان : ولم لا تقولون ، هو شطح الحكماء ، وهو كلام الشعراء (مشيراً إلى نفسه)؟

موســـــى : سبحان الله ، ومتى كان الشعر أعمى يا أعمى ؟

فرحـــــان : الشعر ليس أعمى، ولا الحكمة عمياء ، وفي أقصى درجات الإبداع ياصحبي ، يكون هذا الشعر هذياناً وعربدة، وقد يكون حمى ..

موســـــى : نعم، وما هذا الكلام الغريب العجيب إلا كلام الحمى ، وأحسن شيء تفعله الآن يا فرحان ، هو أن تصمت ..

عـــــــواد : اسكت ، وإلا دعونا عليك جميعنا ، وقلنا ..

الجميـــــع : (بصوت واحد) الله يعطيك العمى (يضحكون)

فرحـــــان : أرجوكم ، أتوسل إليكم ، وأقبل الوحل الذي تحت نعالكم، كل شيء أقبله منكم يا أولاد الكلب إلا العمى ..

القصبـــاوي : نحن جوقة موسيقية ، ونحن الآن في الطريق إلى تقديم وصلة غناء وطرب..

عـــــــواد : ولاشك أن كل الناس، في علبة الليل ينتظرون قدومنا على أحر من القهر ..

فرحــــــان : ولاشك أنهم يتساءلون، ويقولون ..

عـــــــواد : من عساه يكون ذلك العواد جميل المحيا، والذي هو أنا ..

موســـــى : (وهو يمد يده ليسلم على شخص وهمي) أنا هو موسى ، اسمي موسى ، وحتى لا يسرح خيالك بعيداً أقول لك ، أنا يا سيدي لا علاقة لي بموسى ولا بعيسى ، ولا بفرعون ولا بهامان ، ولا بكل أولئك الذين طواهم الزمان ، والذين غيبهم النسيان ..

عـــــــواد : نعم، ولكن لك علاقة بموسى الحلاقة .. (يضحكون)

القصبـــاوي : فأنت يا موسى، أحد من سيف، وأمضى من شفرة الحلاقة ، ومهمتك، أن تذبح هذه الكمنجة المسكينة كل ليلة .. (يضحكون)

عـــــــواد : وأنا عواد (وهو يقدم نفسه لشخص وهمي) .. اسمي عواد ، هكذا سماني الوالد والوالدة ، وبهذا الإسم عرفت دائماً بين الناس ، حتى قبل أن أختار هذا العود ، وقبل أن أتخذه صاحباً ورفيقاً ، وقبل أن أكلمه مساء كل يوم ويكلمني، وبهذا الإسم سوف أدخل التاريخ إن شاء الله من أبوابه الواسعة ..

فرحــــــان : وأنا فرحان (وهو يمد يده باتجاه الفراغ ، ويقدم نفسه)

موســـــى : فرحان ابن من ؟

فرحــــــان : ابن غضبان.. ها ها .. أنا فرحان يا سيدي المحترم ، وعلامة فرحي أنني اخترت العزف على هذا الدف المحترم، إنني أنا الضابط في هذه الجوقة، ضابط الإيقاع يا سيدي، وحيثما نكون نحن، يكون النشاط حاضراً معنا، ونوزعه على كل الناس، بالدربوكة والبندير، حتى (يشيط الخير) ..

القصبـــاوي : أما أنا ، فقد اخترت من بين كل الأسماء إسم القصباوي ، ولأنني أعشق هذه القصبة ، وأهيم فيها حباً ، فقد بادلتني حباً بحب، ووفاء بوفاء ، وجعلت مني عازفاً بارعاً وكبيراً وعظيماً وعبقرياً ، وأدخلتني سجلات التاريخ، وكتبتني مع الخالدين ..

موســـــــى : ولعنة الله على الكاذبين ..

فرحـــــــان : سبحان الله ، لقد تعود النفخ في القصب ، وهو اليوم ينفخ في كل شيء .. (يهتزون من شدة الضحك)

عـــــــواد : أما أنك عازف على الناي ، فهذا ما لا جدال فيه يا صاحبي..

فرحـــــــان : وأما أن تكون عازفاً بارعاً ، وأن تكون من الأولين ومن النابهين ، فتلك مسألة فيها نظر ..

القصبـــاوي : فيها نظر ؟ ها ها ، ومن أين يأتيك النظر يا عديم النظر؟ (يهتزون ضحكاً)

فرحـــــــان : من أين يأتيني النظر ؟ أستعيره من خالتك العمياء ..

عـــــــواد : والآن، يا أصحابي ، ويا أهل الفن الغالي، ما رأيكم، دام عزكم، لو نستعيد شيئاً من الجد، و نذهب إلى العمل الذي ينتظرنا .. ؟

فرحـــــــان : ليمسك إذاً ، كل أعمى بصاحبه ، ولنتوجه إلى العلبة الليلية..

موســـــــى : تمسكوا بي، وسأدلكم عن الطريق، فأنا ـ ولا فخر ـ أقلكم عمى، (يخرجون وهم يغنون ويعزفون ، ويهتزون في شبه رقص)

5 - معروف يسأل عن مجهول ..

(يدخل معروف، وهو يحاول أن يجد من يسأله، يتعقبه المخبران القنفود والنمس، من غير أن يحس بوجودهما)

القنفـــــود : أنت يا هذا ، آش عندك ؟ وعلاش كتقلب ؟

معـــــروف : أنا ؟

النمـــــس : أبيه أنت ، شفناك تايه ودايخ ، وغير كتدور، وياك لاباس آولد الناس ؟

معـــــروف : ما لاباس والو، أنت كتسولني على اللي عندي ، وأنا كنقلب على اللي ما عنديش ..

القنفـــــود : راه بغينا نعرفوا ـ أنا وهاد صاحبي هدا ـ أشنو عندك فداك الراس ؟

معـــــروف : أشنو عندي ؟ عندي سؤال واحد ، سؤال ما كبير ما صغير، ما طويل ما قصير ، ما واسع ما عريض ، ولاهو صعيب ولا خطير ..

النمـــــس : صاحبي القنفود ، أسمعت آش قال هاد خونا ؟

القنفـــــود : أسمعت ، قالك عندو سؤال خطير ..

معـــــروف : وهاد السؤال هذا ، إلى عرفت جوابو، غادي نفرح، ونكون سعيد ، سعيد ، سعيد ..

القنفـــــود : صاحبي النمس ، أسمعت آش قال عاودتتاني ؟

النمـــــس : أبيه ، قالك إلى لقى داك الشي اللي كيقلب عليه ، غادي يكون سعيد ..

القنفـــــود : سبحان الله ، ولى ما لقاهش أصاحبي ، آش غادي يكون ؟

النمـــــس : آش عندو كاع ما يكون، إلى ما كانش سعيد، غادي يكون الجيلالي ولا عبد القادر ، ولا ميمون ولاعباس ..

القنفـــــود : ما قلتلناش ، اعلاش كتقلب ؟

معـــــروف : كنقلب على صديق ، قالوا لي شافوه فهاد الحي ، في حالة غير حالتو الطبيعية..

النمـــــس : وانت يا لفضولي ، وبلا عكز عليك ، جيت تشوف آش عندو، ياك؟

معـــــــروف : أبيه ، جيت نتأكد من كلام بعض الناس اللي قالوا شافوه ، مع أنه ـ وبحسب ما كنعرف ـ موجود من سنة ، فبلاد الهجرة ..

القنفـــــود : وصاحبك هذا ، اشنو اسميتو ؟

معـــــــروف : اسميتوبن هدي ..

النمـــــس : (يخرج من جيبه مذكرة صغيرة ويقرأ) بن خدي .. بن جدي، بن سعدي ، بن رشدي ، بن زهدي ، بن عدي .. أما بن هدي هدا ، راه ما كاينش فالحي، ولا حتى فالمدينة ..

معـــــــروف : متأكدين ؟

النمـــــس : مليون فالمية ، وليه المخزن كيلعب آولد الناس ؟ (يدخل عبد الله المجذوب وهو يكلم نفسه)

عبد اللـــــه : يا أعمى البصيرة وأعمى البصر ، الغائب موجود، هنا أو هناك ، وغداً سوف نقول ، حضر المنتظر ..

معـــــــروف : آش كيقول هذا ؟ ومع من كيدوي ؟

النمـــــس : هذا ياسيدي ما كيقول والو ..

معـــــــروف : ما يمكنش ..

القنفـــــود : راه مع المجانين كل شي ممكن آصاحبي ..

عبد اللـــــه : كذب كل الناس ، وصدق روحك وقلبك ، إن من نسأل عنه، قد يكون على بعد خطوة ، أو أقل من خطوة ، ونحن لا ندري.. (يخرج)

معـــــــروف : إلى سمحتوا لي عافاكم ، راه عادي بعض الأسئلة لقليلة ، بخصوصكم انتما، شكون تكونوا انتما ؟

النمـــــس : آه يا عدو الله ، عرفتك ..

معـــــــروف : شنو عرفت في ؟

النمـــــس : باغي تخرج لي لساني من فمي ياك ؟

معـــــــروف : والله العظيم ما ..

القنفـــــود : قالك ما ، آسكت ، واعرف مع من كتدوي ..

معـــــــروف : مع من كندوي نعم آس ؟

النمـــــس : راك مع المخزن ..

معـــــــروف : أنا ما باغي والو ، والله العظيم ما باغي غير السلامة ..

النمـــــس : وعلاش كتسولني ؟ علاش ؟ باغي تخرج لي لساني ياك ؟ ما

حشمتيش آعدو الله ، باغي تخرج لسان المخزن ؟

معـــــروف : اسمح لي يا آسيدي، ما يسحابليش انتما هما المخزن ..

القنفـــــود : عرفتها .. عرفتها ..

معـــــروف : شنو عرفت نعم آس ؟

القنفـــــود : باللي كذبوا عليك هادوك ..

معـــــروف : هادوك ؟ هادوك شكون نعم آس ؟

القنفـــــود : الناس دلبولتيك ، ولازم راهم قالوا ليك باللي أنا ثرثار وصاحبي مهذار ، وأنه عزيز علي نكشفوا الأسرار ..

معـــــروف : ألانعم آس، وحرام واش يكون هاد الشي ..

النمـــــس : عرفتك آعدو الله شنو بغيتي ..

معـــــروف : أنا ما بغيت والو ..

النمـــــس : باغي نقولوليك بيللي احنا ـ القنفود وآنا ـ خدامين مع المخابرات السرية ، أدوي ؟ إيوا والله العظيم آخويا لا قلناها ليك ..

معـــــروف : وعلاش ما تقولوها ليش ؟ واخا حنا وللينا دابا صحاب ، وشركنا تقرقيب الناب ؟

القنفـــــود : آسيدي السربيس سربيس ، احنا اعطاونا مهمة خطيرة وقالوا لينا ، ردوا بالكم ، وحل عينيكم مزيان ، وها هما عينينا محلولين ، هانت شوف ..

معـــــروف : راني كنشوف ..

النمـــــس : وقالوا لينا طرطقوا ودنيكم مزيان ، وعندكم يمشوا يفيقوا بيكم القومان ، وسمعوا لخبار، وحافظوا على الأسرار ، وعنداكم تمشيوا تقولوها لشي واحد ..

معـــــروف : أبيه ، ما تقولوها لحتى لشي واحد ، إلا أنا ..

القنفـــــود : إلا انت ؟ وعلاش انت بالذات ؟

معـــــروف : لأنني أنا ، ماشي واحد ..

النمـــــس : ماشي واحد ، وشنو انت ؟

معـــــروف : أنا غير نص واحد ..

النمـــــس : آه ، إلى كان هكذا ما كاين مشكل .. أنا حتى واحد ما يمكن يديرها بي ..

معـــــروف : لا باين ..

القنفـــــود : وحتى أنا بحالو، راني مطور، ومجبد مزيان، وكنطير فالسما، أنا عفريت ومسخوط، وعليها راهم سماوني القنفود..

عبد البصير : أهلا وسهلا بصاحبي القنفود (يمد له يده ليصافحه)

القنفـــــود : وهذا صاحبي النمس ، أسمح لي ، راه باقي ما ولينا صحاب، وقبل كل شي، لازم نعرفوا، شكون انت ، ومنين انت، وشنو كتدير فالخدمة ديالك ؟

معـــــروف : أنا ؟

النمـــــس : أبيه ، أنت ..

معـــــروف : أنا معروف ..

النمـــــس : أنا كتسولك على سميتك ..

معـــــروف : اسميتي معروف ..

القنفـــــود : سبحان الله ، مع أننا ما كنعرفوكش

معـــــروف : وكتعمل مروض الأسود فواحد السيرك ..

النمـــــس : إيوا .. ها ها .. فرق كبير بيناتنا حتى نولليو صحاب ، أحنا راه صحاب المخزن إلى ما عندك خبار..

معـــــروف : كنعرف، أنتما صحاب المخزن ، ولكن آنا راه صاحب السبع، إلى ما عنكم خبار ؟

القنفـــــود : إلى كان هكذا راحنا صحاب ..

النمـــــس : اصحاب واحباب ، واخوت (يخرجان ، ويبقى معروف وحده)

معـــــروف : سبحانك يا الله ، وشكون يفهم هاد خلق الله ، من غيرك يا الله ؟ راهم احترموني وقدروني وخافوا مني ، واصبحت منهم وصاحبهم وحبيبهم وواحد منهم ، وهاد الشي كلو مناش ؟ لأنني نافقتهم وكذبت عليهم، وقلت ليهم كندرب السبوعة .. (يضحك) أنا معروف المتلوف ، قراد الحلقة ، في الساحات الضيقة، ولليت صاحب السبع ، وكرمني الله من حيث لا أدري، وصبحت صاحب المخزن ..قاليك الصدق حبو الله ، ولكن الكذوب على الكذابين والمنافقين كيخرج مولاه.. هما صدوني، وهذاك شغلهم ، ولكن أنا ، واش حتى أنا نصدقهم، ونقول بن هدي ما كاينش فهاد الحي ؟ كنت حاير ، ومازال باقي حاير..

(**يخرج**)

6 - أنت يا أنت، من أنت ؟

(يدخل عبد البصير من جديد ، وهو يمسك بأوراقه وكتبه ، يعود إلى المقعد نفسه الذي جلس عليه أول مرة)

عبد البصير : سكون هذا الليل يغري بالكتابة ،وجمال هذه الدروب يغري بالتسكع، وبعد حصة من المشي ، لابد من هذه الاستراحة ، ولابد من لحظة للتأمل الهادئ ، الله الله، ما أروع الليل هذا ، إنه يبهج العين ، ويريح الروح ، وربما لهذا غنى المغني (يغني) يا ليلي .. يا عيني

(يطل عليه النمس والقنفوذ من خلف حاجز ما)

النمـــــس : واش سمعت اللي اسمعت أنا آصاحبي ؟

القنفـــــود : أبيه، اسمعت اللي اسمعت انت ..

النمـــــس : هاد الرجل كان أعمى ، وما بقاش عمى ، وكل شي هاد الشي، بلا خبار المخزن ..

القنفـــــود : آجي انقربوا لعندو ونشوفو آش كاين .. (يقتربان منه)

النمـــــس : آمولاي ، آلزين ، آمرضي الوالدين ، قبل ما تجلس وتغني ، وتقول ليلي يا عيني ، قل لينا بعدا ، اشكون أنت ؟

عبد البصير : من أنا ؟

القنفـــــود : آبيه .. هي هديك .. شكون انتما سيادتكم ؟

عبد البصير : أنا هو أنا ، أما عرفتني ؟

النمـــــس : لا ، اسمح لي، ما عرفتكش ..

عبد البصير : أنا هو الذي ، والذي .. آه ، كم يلزمني من الكلام، حتى أعرف بنفسي، وكم يلزمك أنت من الوقت حتى تعرفني ..

القنفـــــود : واشحال صعيب هاد الإنسان ..

عبد البصير : أكيد أنك لا تعرفني، ولو كنت تعرفني ما سألتني ..

النمـــــس : وكيف نعرفك، وآنا ما عمرني شفتك ؟

عبد البصير : يا سبحان الله، تقول لا تعرفني ، مع أنك تعرف الله يا صاحبي، أليس كذلك؟

النمـــــس : اييه كنعرف الله ..

عبد البصير : وهل رأيته يا هذا ؟

النمـــــس : آش كيقول هذا لهبيل ؟

عبد البصير : هل رأيت؟ إنه ليس شرطاً أبداً، ألا نعرف الناس والأشياء ، إلا إذا رأيناهم بالعين ..

القنفـــــود : ما علينا ، وشنو سميتك آمولاي الفيلسوف ؟

عبد البصير : إسمي عبد البصير ..

النمـــــس : ولد من ؟

عبد البصير : ولد أبي ، رحمة الله عليه، وأبي إسمه عبد السميع ..

القنفـــــود : واسميت امك ؟

عبد البصير : إسمها أسماء ، وهي بهذا ليست إسماً واحداً، ولكنها كل الأسماء (يضحك)..

النمـــــس : من قبل هاد الساعة فاين كنت ؟

عبد البصير : قبل هذه الساعة لم أكن ، وبعد هذه الساعة لن أكون ، وما أنا إلاساعة ، ولو قلت غير هذا ، لكنت كاذباً ..

القنفـــــود : آش كيقول هذا ؟

عبد البصير : أنا ساعة ، صدقني، تأتي ثم تمضي، وتدور مع الفلك الدوار، وأنت مثلي ، ومثل كل عباد الله ، ساعة ..

القنفـــــود : (يضحك) ألا آسيدي أنا ساعة وربع ، ويمكن نكون ساعتين وللا اكثر ..

عبد البصير : هي ساعة، إذا كنا فيها تضحكنا ، كما تضحك أنت الآن ، وإذا غادرناها ، تبكي الآخرين علينا ..

النمـــــس : إيوا ، وفاين بالسلامة راك ماشي ؟

عبد البصير : أنا لن أمشي إلى أي مكان ، مادام أن هذا المكان هو كل الأمكنة ، والمهم يا سيدي أنني هنا ..

القنفـــــود : أبيه ، هادي عرفناها، وعلاش أنت هنا ؟

عبد البصير : ولم لا أكون هنا ؟ أنا يا سيدي هنا ، وأنت هنا ، وكلنا هنا، ولا أحد فينا يدري لماذا هو هنا ..

النمـــــس : وا كلام هذا ، أشكون علمك هاد الهلسفة ؟

القنفـــــود : من قبل شفناك أعمى ، وكان عندك فيدك عكاز ..

النمــــــس : ودابا تحللو ليك العينين آلجن ..

القنفــــــود : وكل شي هادا، بلا خبار المخزن ، قل اشكون أنت ؟

النمــــــس : أنت ممثل ياك؟ قلها ولا تخف ..

عبد البصير : كلنا في مسرحية الوجود ممثلون ..

النمــــــس : ياك انت هو اللي كنت أعمى ؟

عبد البصير : أنا ما كنت أعمى ، ولكن بعض الناس هم الذين رأوني أعمى ، وبعضهم الآخر، هم الذين أرادوا أن أكون أعمى ، ومصيبتي أنني صدقتهم ، وأغمضت عيني ، وكان كل ذلك بلا معنى ..

القنفــــــود : أبيه ، ومن بعد آش كان ؟

عبد البصير : عرفت أنهم خدعوني، وتيقنت بأن جمال هذا الوجود يحتاج إلى مليون عين وعين ، وليس إلى عينين اثنتين فقط ..

النمــــــس : وكفاش حتى ، حن عليك الله ، وولليت بحالنا كتشوف ؟

عبد البصير : كنت مصراً على الرؤية فرأيت ..

القنفــــــود : وصافي ؟

عبد البصير : رأيت يوم كنت أعمى ، ورأيت يوم طلقت العمى ، وعلمت أن في المبصرين مثلكما ..

النمــــــس : مثلنا ؟

عبد البصير : كثير من العميان، ومن الصم والبكم ، ومن المقعدين والمعوقين.. لقد حاصرتني الظلمة أعواماً طويلة، حاصرتني وقاومت ، وسدت كل منافذ النور في وجهي وناضلت ..

النمــــــس : (لصديقه) صاحبي ..

القنفــــــود : أم ؟

النمــــــس : اسمعت ؟ خونا كيتكلم على المقاومة وعلى النضال ..

عبد البصير : وكان الضوء الذي في قلبي أكبر وأقوى ، ولذلك انتصرت، لقد رأيت ، وأبصرت ، وما نريده لابد أن يكون ..

القنفــــــود : سبحان الله ، والإرادة بوحدها تكفي ؟

عبد البصير : نعم تكفي ، تكفي وزيادة .. لقد سمعت من يقول، إن الكائنات التي تزحف على بطنها، هي الكائنات التي لم تفكر في الطيران..

النمــــــس : آش كيقول هذا آصاحبي؟

عبد البصير : ولو أنها فكرت فيه، وأرادته، وعشقته، لنبتت لها أجنحة، ولطارت في السماء، ولحلقت مع الطيور المحلقة ..

القنفـــــود : صاحبي.. ياالله نمشيو نديروا شي حاجة أخرى..

النمـــــس : وللحديث بقية..آلسي الفيلسوف (يخرجان)

7 - المرأة التي تمشي على أرض تمشي ..

(تدخل المرأة من جديد ، وهي تدفع عربتها وتتغنى بلحن حزين، تقترب من عبد البصير)

عبد البصير : يا أيتها المرأة التي تمشي وتغني ..

الصافيـــــة : إنني فعلاً أمشي ، على أرض تمشي ، في زمن يمشي ، ولكنني لا أغني ..

عبد البصير : لا تغنين ؟ عجباً ، وماذا تفعلين إذن ؟

الصافيـــــة : ما أفعله لا أجد له إسماً ، سمه أنت إذا كنت تعرف ..

عبد البصير : (يعود إلى المقعد الخشبي ، ويجلس) هذه امرأة غامضة ، ربما لأنها عاشقة حتى الجنون ، وهل هناك جنون بغير غموض ؟

الصافيـــــة : (تكلم نفسها) قال لي في خطابه ، انتظريني هنا ، خارج حينا القصديري ، وليتني كنت أعرف لماذا ، لماذا في هذا الحي الذي ليس حينا ، وليس هناك، هناك بين أهلنا التعيسين ؟ (يدخل المجذوب، من غير أن يلتفت إلى المرأة)

عبد اللـــــه : هو الذي يعرف كل شيء ، نعم هو وحده ، وليس أنت ولا أنا ، ولا أي واحد فينا ..

الصافيـــــة : هو الذي يعرف ؟ من يقصد الرجل ؟

عبد اللـــــه : صاحبي ومولاي وسيدي ، والذي هو هنا وهناك ، ولا يخلو منه أي مكان ..

الصافيـــــة : يا الله . هذا رجل مجذوب ، وما أظنه ينطق عن الهوى .. وليته يكلمني ، ويحدثني عن مصيري ومصير ابنتي في هذه الليلة المرعبة ، ولكنه ـ لسوء حظي ـ لا يكلم إلا نفسه ..

عبد اللـــــه : من تنتظرين أن يأتي يا امرأة ..

الصافيـــــة : هل سمعت يا فرح ؟ لقد التفت إلي وقال، أبوك سوف يأتي ، الليلة بلا شك يا مولانا ؟

عبد اللـــــه : ومن قال إن عمر هذه الليلة هو ليلة واحدة ؟ إنها الدهر كله .. تنتظرين المهدي المنتظر ، أليس كذلك؟

الصافيـــــة : إسمه بن هدي ، وليس المهدي ..

عبد اللـــــه : لست أنا من يخلط بين الأسماء ، ولكنه هو يا امرأة ؟

الصافيــــة : ماذا ؟ أقلت هو يا مولانا ؟

عبد اللـــــه : وليس هو وحده فقط ، ولكن معه عصبة كبيرة ، وكل واحد فيهم يرى نفسه المنتظر، ويقول أنا المهدي ..

الصافيــــة : وأنا لا أنتظر إلا بن هدي ، وطلب مني أن ألقاه هنا ، في هذا الحي الفاخر ، ولست أعلم لماذا ؟

عبد اللـــــه : أنت لا تعلمين، ولكن زوجك هذا، يعلم لماذا ..

الصافيــــة : وطلب مني أن أصطحب معي ابنتي فرح ..

عبد اللـــــه : نعم، ومرة أخرى لا تعرفين لماذا ؟

الصافيــــة : قلت ، مع نفسي ، ربما كان ينوي أن يدعونا إلى العشاء ، في أحد هذه المطاعم الفاخرة ..

عبد اللـــــه : ربما ، ربما نعم ، وربما أيضاً لا ..

الصافيــــة : ليتني يا ابنتي فرح ، كنت أعرف ،فيمَ يفكر أبوك ؟

عبد اللـــــه : أبوها لا يفكر يا امرأة ..

الصافيــــة : لا يفكر ؟

عبد اللـــــه : وما حاجته للتفكير، وهناك اليوم من يفكر له ، ومن يفكر لغيره ؟ والذين يفكرون عادة يا سيدتي، يفكرون في الظلام ، ربما لأن الظلمة تساعد على التركيز أكثر.. (يقول آخر كلمة ويخرج)

الصافيــــة : الظلام ؟ أنا لم أفهم كلامك يا سيدي ، تعال فهمني ..

عبد اللـــــه : (يطل عليها) وأنا أيضاً ، وحق الله ، لا أفهم من كلامي إلا ما تفهمين أنت، وما يمكن أن يفهم كل الناس .. (يختفي ، يدخل الحاج لمفضل ، وهو رجل بدين ، يرتدي جلباباً ناصع البياض ، ويضع على رأسه طربوشاً أحمر اللون، ويمسك بعصا ، يمشي بزهو كبير، ورأسه إلى السماء ، كل شيء فيه يوحي بأنه من الأغنياء ومن الأعيان) الحاج لمفضل أجمل ما خلق الله هو الإنسان ، وأروع ما خلق الإنسان هو هذه الملابس ، إنها تعطي الذات حجماً خرافياً ، وإذا أضفت الأسماء الكبيرة إلى مثل هذه الأثواب ، فإنه لابد أن تصبح محترماً مثلي ، ولا شيء أهم من أن يقدرك الناس ، وأن يحسبوا لك ألف حساب..

عبد البصير : من يكون هذا الرجل ؟ ما أظنه إلا أحد الأغنياء ، وقد جاء ليحرق ماله في الملاهي .. (وهو يخرج ، يلقى في طريقه عبد الله المجذوب داخلاً)

عبد اللـــــه : (وهو ينظر جهة المفضل) أول مرة رأيت هذا الرجل ، كان له إسم آخر ، وكان له زي آخر ، وكانت له مشية أخرى ، وسبحان مغير الأسماء في دنيا الأسماء ..

عبد البصير : (وهو يكتب في كراسة) وجاء إلى الحي رجل غريب ، رجل يمكن أن أسميه ـ مؤقتاً ـ ماذا أسميه يا ربي ؟ ماذا أسميه ؟

عبد اللـــــه : يا عبد البصير، سمه ما شئت من الأسماء، ولا تخف ..

عبد البصير : إنه يعرف اسمي ..

عبد اللـــــه : وكل أسماء ذلك الرجل مؤقتة ، واسمه الحقيقي لا يعرفه إلا الله والمخزن ..

عبد البصير : صوت هذا الرجل ليس غريباً علي ، وكم سمعته يوم كنت أعمى ، آه ، تذكرت، إنه صوت عبد الله المجذوب ، واليوم أراه صورة وصوتاً ..

عبد اللـــــه : يخيل إليك فقط يا عبد البصير ، أنت اليوم لا تراني ، ولا ترى أي شيء، وكما كنت من قبل أعمى ، فإنك مازلت أعمى ..

عبد البصير : ماذا تقول يا عبد الله ؟ إنني فعلاً أرى ، وأحاول أن أكتب ما أرى ..

عبد اللـــــه : أتكتب مسرحية يا عبد البصير ؟

عبد البصير : نعم ، وهي من وحي هذا الواقع ، أو قل أحسن ، هي الواقع نفسه ..

عبد اللـــــه : وعن أي واقع تبحث يا عبد البصير ؟ عن ذلك الذي حدث يوماً، والذي وقع وكان ، وأنت لم تعشه ، ولم تره ، ولم تعرفه ؟ أم عن ذلك الواقع الآتي، والذي هو الساعة في رحم الغيب ، والذي لا تعرف عنه أي شيء ؟

عبد البصير : أعترف لك يا عبد الله ، أن هذه الأسئلة أكبر مني ، وما أنا إلا رجل كان أعمى ، وأصبح مبصراً ..

عبد اللـــــه : ولم لا يكون العكس هو الصحيح يا عبد البصير ؟

عبد البصير : يكون العكس ؟ كيف ذلك يا عبد الله ؟

عبد اللــــــه : أقول لك كيف يا عبد البصير، أنك كنت مبصراً ، وأصبحت اليوم أعمى ..

عبد البصير : لا لا ، أنا مبصر يا عبد الله ، والدليل والحجة، هو أنني أرى، وأكتب ما أرى..

عبد اللــــــه : ولكن ، ما تكتبه الآن يا عبد البصير ، لم يكن ..

عبد البصير : أنت تمزح بلاشك يا عبد الله ؟

عبد اللــــــه : وما سوف يكون غداً ، لا يمكن أن يكتبه كاتب من الناس ..

عبد البصير : ومن يكون الذي .. سوف يكتبه ؟

عبد اللــــــه : (ينظر إلى السماء ، ولا يقول أية كلمة)

عبد البصير : أسألك يا عبد الله، بأي لون أكتب هذه المسرحية ؟ بلون الفرح الأبيض ؟ أم بلون الموت الأسود ؟ أم بلون العيش الرمادي ؟

عبد اللــــــه : أكتبها بلون الماء ؟

عبد البصير : وهل للماء لون يا عبد الله ؟

عبد اللــــــه : اكتبها بلون الحياة ، واجعلها ضاحكة بدمع ، ودامعة بقهقهات عالية ، إن الإنسان له عينان ، لا تنس هذا يا عبد البصير، عين يضحك بها ، وعين يبكي بها .. هو يضحك ويبكي بالوجه نفسه ، وفي اللحظة نفسها، وما هذا العمر إلا لحظة هاربة.. هاربة مثلي (يخرج مسرعاً، يدخل المخبران من الجهة الأخرى ، وهما يلاحقان عبد الله ببصرهما)

النمـــــــس : اسمعت لكلام لمهلسف كفاش داير أصاحبي ؟

القنفـــــود : اسمعت ، حقاً ، هذا الرجل ماشي عادي ، وكلامو غريب شي شوية ..

النمـــــــس : ما شي غير شويه آصاحبي ، آقول غريب بزاف ..

عبد البصير : هذا رجل مبروك ومجذوب ، وكلام المجذوب ليس كلامه دائماً ..

القنفـــــود : ليس كلامه ؟ وكلام من هو آصاحبي ؟

عبد البصير : كلام الآخر الذي فيه ، وهو، ليس في كل الأحوال هو ، وما هو، إلا حال وأحوال ، فمرة، يكون هو الذي يتكلم ، ومرة أخرى يكون الآخر هو الذي ينطق بداخله ، أو هو الذي ينطقه بما يشاء ..

النمــــــس : سبحان الله ، ما عمرني ظنيت باللي الرجل يمكن أيكونو فيه زوج دالناس..

عبد البصير : نعم ، هو جسدان اثنان ، الأول هو الجسد الساكن ، والثاني هو الجسد المسكون ..

النمــــــس : وشكون ايكون ساكنو آصاحبي ؟

عبد البصير : ماذا أقول لك ؟ هو جني بلاشك ..

النمــــــس : بسم الله الرحمن الرحيم

عبد البصير : وقد يكون الجني ذكراً ، وقد يكون أنثى، وقد يكون خنثى ، وقد يكونان معاً ، الذكر والأنثى ، ويكون معهما الأولاد والأحفاد ، وقد يكون للزوج أم ، وتكون له حماة أيضاً ..

القنفــــود : واسبحان الله ، ودابا هاد الجن ، ولا هاد الجنية ، ولا الدرية ديالهم، ما لقاو فين يسكنوا غير فهاد السي عبد الله مسكين؟

النمــــــس : أزمة السكن بلاشك آصاحبي ..

القنفــــود : العجب هذا ، ودابا حتى هما بحالنا ، عندهم أزمى فالسكنى؟

النمــــــس : ايوا هاد الشي اللي كيظهر آصاحبي ..

عبد البصير : وعليه، ومن باب النصيحة ، فإنني أوصيكما به خيراً، وأقول لكما - ودائماً من باب النصيحة - ابتعدا عنه هذا الرجل .. ابتعدا عنه بالقدر الذي تستطيعان ..

النمــــــس : إيوا ، إلى كان الجن ، اللي هو الجن ، ما قدرش يحل هاد المعضلة الخطيرة، واللي هي أزمة السكن ، كفاش بغينا يحلها البشر ، واللي هو غير بشر مسكين ؟

القنفــــود : المخزن معذور أصاحبي ، وهاد الناس غالطين ، وغالطين بزاف .. يا الله ، نمشيو نقلبوا على ما نشوفوا ، وعلى ما نسمعوا، وعلى ما نقولوا ..

النمــــــس : يالله آصاحبي (يخرجان)

8 - الشيخ والمريد والطريق ..

(يدخل عبد الله مسرعاً كعادته ، وكأنه يبحث عن شيء ، أو عن أحد من الناس ، أو كأنه مطارد من جهة ما)

عبد اللـــــه : هذه الجدران العالية، وهذه الأبواب وهذه النوافذ، إنها تخفي الذنوب والمعاصي ، وهذه الأجساد التي ترتدي الأقنعة والأزياء، إنها تخفي الجثث، وهذه الحياة التي نرى ، أو لا نرى، والتي تسعدنا وتشقينا، هذه الحياة الكاذبة لا تخفي شيئاً آخر إلا الموت، إنني أشم رائحة الموت..

عبد البصير : (وهو يكتب) لقد حضرت يا عبد الله ..

عبد اللـــــه : وهل غبت من قبل حتى أحضر الآن ؟

عبد البصير : هل أنت حقاً مجذوب يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : يا هذا، الجنون إشاعة، وقد يكون تهمة ، أو يكون وشاية كاذبة، أنا لست من الدراويش ولا من المجاذيب ، ولا من أهل الشطح والردح، ولا من أصحاب الجهالة والبطالة ، وما أنا إلا إنسان يرى ويبصر ، وعندما يرى، يفكر في الذي يرى ، ولا يقدر أن يكتم حقيقة ما يرى .. إنني في الأصل بصر وإرادة ، وعندما أريد شيئاً، أمشي إليه ، وأنا أقول ، إن الطرق القصيرة يا عبد الله ، تطيلها المنعرجات الكثيرة والكبيرة ..

عبد البصير : أنت رجل غريب يا عبد الله ، وليتني كنت أفهمك ..

عبد اللـــــه : أنا رجل مشاء، وأنت رجل قاعد ، وكيف تريد أن تفهمني، أو أن تفهم هذا العالم الذي يجري ؟

عبد البصير : ولماذا لا تكف عن المشي يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : إنني أهرب من سجن هذا المكان ، وأهرب من قيد هذه اللحظة، وإنني لا أستطيع أن أقيم إلا في المشي، وفي التجوال، وفي السفر والترحال، وحتى عندما أغفو، أو أنام لحظة، فإنني أمشي أيضاً، ولا أحلم نفسي إلا سائراً على الأرض أو محلقاً في السماء ..

عبد البصير : ولو عرضت عليك أن أكون مريدك ، فهل تقبل يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : وأنا ، لو عرضت عليك أن تمشي في طريقي، هل تقدر ؟

عبد البصير : هل أقدر ؟ إنه لا يمكن أن أعدك بشيء ، ولكنني سأحاول ..

عبد اللـــــه : حاول أن ترى أولاً يا عبد البصير ، وجاهد من أجل أن ترى بشكل صحيح، وأن تتحرر من عماك ومن صممك ومن جهلك ومن قيدك ومن مكانك ومن لحظتك ، وأن تكون مشاءً مثلي..

عبد البصير : نعم، وبماذا تأمرني الآن يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أنا ؟ أنا لست الآمر يا ولدي، ولست الناهي ، وما الأمر إلا لصاحب الأمر..

عبد البصير : حدثني عن أجمل الموتى ، من هو ؟

عبد اللـــــه : هو من يموت بعد أن يحيا ، وهو من يموت مؤمناً بأنه سوف يحيا، وهو الذي يظل دائماً هو هو ، ينقضي العمر ويمضي، ويبقى هو ..

عبد البصير : وأسوأ الموتي يا شيخي ، من عساه يكون ؟

عبد اللـــــه : هو من يموت بعد أن يموت ، ومن يعيش عيشاً يشبه الموت ، وهو من يكفن ويدفن، ويكون ذلك عصراً ..

عبد البصير : أي عصر تقصد يا شيخي ؟

عبد اللـــــه : عصر اليوم أولاً ، وعصر التاريخ ثانياً ، وعصر العمر ثالثاً، وعصر الأبدية رابعاً ..

عبد البصير : ولو خيروك يا عبد الله ، ماذا كنت تختار ؟

عبد اللـــــه : أختار ذاتي ، ومعها أختار الحق والحقيقة ، وأختار الجمال والإكتمال ..

عبد البصير : وأيهما تفضل يا شيخي ، أن تكون جندياً عادياً في جيش منتصر ، أو أن تكون قائداً كبيراً في جيش منهزم ؟

عبد اللـــــه : لا أحب الهزيمة ، ولا أريد أن أقترب من المنهزمين ..

عبد البصير : وأيهما تختار، أن تكون الأول في الجحيم ، أو تكون الأخير في النعيم ؟

عبد اللـــــه : ماذا أقول لك؟ أفضل أن أكون الأول ، ولا يهمني بعد ذلك ، أين يكون ذلك ، في الجنة أو في النار..

عبد البصير : وهل تريد أن تكون الأول دائماً ، وفي كل شيء ، وفي كل الحالات؟

عبد اللـــــه : نعم ، في كل شيء .. إلا في شيء واحد ..

عبد البصير : وما هذا الشيء يا عبد اللّه ؟

عبد اللـــــه : إنه الموت .. إنني أحب أن أكون أول من يحيا وآخر من يموت..

عبد البصير : بحسب رأيك، من هو الإنسان الأعمى في نظر الناس؟

عبد اللـــــه : هو من يرى نفسه ولا يراهم ..

عبد البصير : ومن أيضاً ؟

عبد اللـــــه : وهو الذي يخالفهم، ويرى غير الذي يرون، والذي لا يفكر كما يفكرون..

عبد البصير : هل تريد أن تصبح غنياً يا عبد اللّه ؟

عبد اللـــــه : أريد فقط أن أكون من أصحابي ، والذين هم أغنى كل الأغنياء، وأسعد كل السعداء ..

عبد البصير : من تقصد يا عبد اللّه ؟

عبد اللـــــه : أقصد الذين يحسبهم الجاهلون أغنياء من التعفف ..

عبد البصير : وبماذا تنصح الفقير مثلي يا عبد اللّه ؟

عبد اللـــــه : أنصحه ألا يتملق الأغنياء ..

عبد البصير : وبماذا تنصح الأغنياء ؟

عبد اللـــــه : بألا يأكلوا رزق الفقراء .. يا عبد البصير، إنني لا أنتظر من الأغنياء أي شيء ـ ولكنني أتوقع من الفقراء كل شيء ، لأن الفقر كافر وابن كافر ..

عبد البصير : بعض الناس كرماء يا عبد اللّه ، ولكن بالوعود فقط ، فما قولك في هذا ؟ أليست الكلمة الجميلة صدقة ؟

عبد اللـــــه : الوعود جميلة يا ولدي ، وأجمل منها الوفاء بها ، ومن أين يأتي الوفاء في غير زمن الوفاء ؟

عبد البصير : أنت تنطق بالحكمة يا عبد اللّه ..

عبد اللـــــه : يحدث لي أحياناً أن أنسى الكلام ، ويسألني أهلي وصحبي ويقولون ، هل ضيعت لسانك يا عبد اللّه، وأصبحت أبكم وأخرس ؟ وأقول لا ، أنا فقط ضيعت ذاكرتي، أو هي التي ضيعتني، وأصبحت أجوف من الداخل ، وأجد نفسي مضطراً لأن أتعلم اللغة من جديد ، وأن أبدأ من نقطة الصفر، وأن

أستعيد ذلك الذي كنته يوماً ، والذي كان أصدق مني ..

عبد البصير : وهذا البلد يا عبد الله ، هل فيه عدل ؟

عبد اللـــــه : نعم ، فيه عدل والله ..

عبد البصير : وما دليلك على ذلك ؟

عبد اللـــــه : دليلي أن فيه وزارة كبيرة للعدل ..

عبد البصير : وماذا غير الوزارة ؟

عبد اللـــــه : وفيه وزير محترم للعدل ، وفيه محاكم وقضاة ومحامون ، وكل هذا ، ألا يكفي ؟

عبد البصير : يكفي وزيادة ..

عبد اللـــــه : اشتقت إلى المشي ، ما رأيك أن نمشي معاً يا عبد البصير ؟

عبد البصير : المشي معك ، كالإنصات إليك ، شيء جميل يا سيدي .. (يخرجان) (يدخل الشحاذ درهمان وهو يسوق دراجته الهوائية)

درهمــــــان : صدقة لله يا محسنين ، أعينوا هذا الضرير الفقير ..

(يدخل المخبران القنفود والنمس)

النمــــــس : سبحان الله، أعمى ويسوق الدراجة ..

درهمــــــان : أنتم ما رأيتم غير الأعمى اللي كيسوق الدراجة، وغاب عنكم، اشحال من اعمى اللي كيسوق أمة ..

القنفــــود : (وهو يقترب من درهمان) يمكن لي نعطيك أيها الشحاذ هذه الورقة المالية (يلوح له أمام عينيه بورقة مالية)

درهمــــــان : ما هذا الشي الذي بيدك يا محترم ؟

القنفــــود : ورقة مالية محترمة ..

درهمــــــان : الله الله ، ورقة زرقاء ، من قبيل المائتي درهم المحترمة، هذا يوم العز الأكبر.

القنفــــود : هادي شفتها يا ولد الكلب ..

درهمــــــان : رأيتها بقلبي ، والله العظيم، وقلبي صادق دائماً .. ها ها ..

القنفــــود : وغير بقلبك؟

درهمــــــان : وشممتها بأنفي أيضاً ، أنا رجل شمام ، وكنشم في الدرهم

الألف والألفين ، ولو كانوا على بعد يومين ..

النمـــــس : أنت ضرير ولكن كتشوف ؟

درهمــــان : أحياناً فقط، أنا أعمى ، بحال كل العميان في هذا الزمان ، ولكنني أشم دائماً..

القنفــــود : وحنا في حاجة إلى هاد الموهبة يا صاحبي ؟

درهمــــان : أية موهبة ؟

القنفــــود : موهبة الشم ، قل لي بعدا، واش تقبل تشتغل شمام بحالي؟

درهمــــان : أفكر أولاً ، وأجيبك ثانياً ، ، والأجر يا صاحبي شحال ؟

النمـــــس : مرتفع جداً جداً ..

درهمــــان : اشنو نقولك ؟ لا أفكر يا صاحبي، وأقبل من الآن وأمري إلى الله .. (يضحكون) ولكن، بشرط أن أحتفظ بحرفتي الأصلية؟

القنفــــود : واشمن حرفة ؟

درهمــــان : حرفة الشحاذ الأعمى ..

القنفــــود : طبعاً طبعاً ،لأنها هي الأصل ، وهي القناع ، وهي الزي الذي كيخفي اللعبة.. (لصديقه) صاحبي ، وللينا حتى احنا كنتكلموا بحالو ..

درهمــــان : الله يستر، تبهدل الزمان ، حتى أصبحنا حتى احنا، مثقفين على آخر ايامنا ..

القنفــــود : الآن، وقد أصبحنا زملاء، ابغيت انسألك ، ونتمنى أن تجاوبني بكل صراحة..

درهمــــان : بصراحة ؟ بصراحة مطلقة يا صاحبي، أولا غير، نصف نصف ؟ راه كل حاجة بثمنها ..

القنفــــود : (بالعامية) أنت ووجهك آصاحبي ..

درهمــــان : وأي وجه من وجوهي تريد، وأنت كتعرف بأنني شحاذ ، وأن للشحاذ المحترف ألف وجه وجه ..

النمـــــس : باغي انسألك، واش أنت بالحق أعمى ؟ قلها وخذ مائة درهم أخرى ، حلال عليك ..

درهمــــان : أنا ؟ هاها .. أنا رجل مبصر، ولكن ، أعماه الفلس وأعماه الدرهم ، وأعماه الدينار والدولار ..

النمـــــــس : آه ، هذا الشي اللي كنت كنعرف ، إذن فأنت في الأصل مبصر آصاحبي ؟

درهمـــــــان : وكلنا في الأصل مبصرون يا صاحبي ، ولكن المال أعمانا أعمانا كلنا ، فمنا من أعماه كثيراً، ومن أخرسه ، وأنا ـ ولا فخر ـ منهم، وفينا اللي غيرعورو ، أولا غير حولو فقط ، أو أصابه بعمى الألوان، وأنا، بحمد الله ، ماشي منهم .. (يمتطي درهمان دراجته وينطلق ، يخرج المخبران وهما يضحكان)

النمـــــس : رد بالك أدرهمان ، عنداك تمشي تدوز فيك شي طريق عميا..

9 - جوقة العميان في زي الإيمان ..

(تدخل مجموعة العميان من جديد، ولكنها هذه المرة في زي مختلف ، بعض أعضاء المجموعة يستكملون لبسهم ، يرتدون الجلاليب البيضاء، ويلفون على رؤوسهم العمائم ، ويساعدون بعضهم بعضاً في تركيب اللحى، يظهرون هذه المرة أكبر سناً ، ويحاولون الظهور بمظهر الورع والوقار)

القصباوي : لقد غيرنا الأزياء ، وهذا لا يكفي يا أصحابي ..

موسى : كيف لا يكفي ؟

القصباوي : إنه لابد أن نغير الحالات أيضاً ..

عواد : وسوف نغيرها إن شاء الله ، اطمئن، سنغيرها ..

القصباوي : لقد علمتنا المهنة، أن نعرف ، أن لكل حالة لبوسها ..

فرحان : نعم ، لها لبوسها ، ولها قناعها أيضاً ، والويل الويل لمن ليس له قناع في مأدبة الضباع..

القصباوي : حفل السكارى له زيه الخاص يا أصحابي ..

موسى : وقد كنا فيه منذ قليل ، وأدينا نمرتنا ، وأطربنا ، وعزفنا ، وغنينا حتى بحت حناجرنا..

فرحان : وشطحنا، و(ردحنا) وأضحكنا الحمقى علينا ، وقدمنا مشاهد بهلوانية من فن الحلقة . .

عواد : ثم أعطونا رزقنا ، وخرجنا ، وها نحن الآن هنا ..

القصباوي : وطقس المؤمنين الصالحين له زيه..

موسى : ونحن الآن من المؤمنين الصالحين ..

عواد : أليست لديكم لحية غير هذه ؟ (وهو يمسك لحية بيده)

القصباوي : وهذه (مالها) ؟

عواد : انظروا ، إنها أكبر من وجهي ..

القصباوي : وربما كان وجهك أصغر منها (يضحكون)

عواد : إنني أرتدي في اللحية مقاس أربعين ..

موسى : وهذه اللحية المباركة، ما هو مقاسها ؟

عواد : أظنه ـ والله أعلم ـ يفوق الخمس والخمسين ، أو التسع والتسعين (يضحكون)

القصبـــاوي : هذا كل ما لدينا، ولقد اكتريت لكم هذه اللحى من فرقة مسرحية ، وهذه اللحية هي التي أدى بها الممثل محمد التسولي دوره التاريخي في مسرحية (أولياء الله وأعداء الله) ..

فرحـــــان : وأي دور مثل بها ا لمعلم ؟

موســــى : دور أبي مسيلمة الكذاب (يضحكون)

فرحـــــان : ونحن كلنا اللية ، سنؤدي أدواراً مشابهة ..

القصبـــاوي : لا تضيعوا الوقت ، خذوا (يوزع عليهم المسبحات) ما هي إلا ساعات من العمل ، وسوف تعودودون إن شاء الله تعالى إلى وجوهكم القبيحة وإلى عاداتكم السيئة ..

موســــى : من كثرة الوجوه التي ارتديناها ، ضيعنا وجوهنا الحقيقية ..

القصبـــاوي : ومتى كانت لكم وجوه حقيقية يا أولاد الحرام ؟

عــــــواد : متى ؟ ربما عندما كنا في بطون أمهاتنا .. (يضحكون)

موســــى : هذه هي مهنتكم ، ومصيركم هو هذا، والقبض على الخبزة الهاربة ليس سهلاً ..

القصبـــاوي : أنت (لموسى) ستتكفل بأمر هذه المبخرة النحاسية ..

موســــى : إن شاء الله ، وسأجعلها تقول وهي تغني (أنا وحدي انضوع لمكان ، أنا وحدي انضوع لمكان)

القصبـــاوي : أما أنت .. (لفرحان) فمهمتك أن تتولى هذه (البنادير) وأن تبحث لها عن (مجمر) كبير ، وأن تنفخ في جمره ، وأن تتولى تسخينها كلما بردت ، هل سمعت ؟

فرحـــــان : نعم فهمت ..

عــــــواد : يعلم الله ، كيف نبدو الآن لمن يرانا ؟

موســــى : نبدو وكأننا هربنا من التاريخ ، أي من زمن كليب بن ثعلبة ، أو أننا في شهر رمضان الأبرك ، وقد خرجنا ـ اللحظة ـ من مسلسل ديني ..

عــــــواد : والله صدقت يا أبا صندلة ، ولكن دون هذه النظارات يا أخانا في الله (وهو يحاول أن ينزع له نظاراته)

موســــى : كل الحكمة في هذه النظارات يا مغفل (وهو يعيد النظارات)

القصبـــاوي : أيها الناس، رجاء أن تمنحونا شيئاً من الانتباه ، وأن تتحلوا بالفضيلة وبالأخلاق الحسنة ، وأن تتجنبوا اللغو ، وأن تكونوا

في مستوى اللحظة التاريخية ..

موســــــى : (لفرحان بهمس) لدي شعور وكأننا أمام طارق بن زياد ، وأن اللحظة هي لحظة العبور الأكبر ، إن الشهادة قادمة لا ريب فيها ..

فرحــــــان : اللّه يستر ، إنني لا أعرف فن العوم يا صاحبي ..

موســــــى : (ماعليهش) يكفي أن تعرف فن الغوص ..

القصبــاوي : أنتم الذين تعودتم على إقامة الأفراح والليالي الملاح ، في الأعراس والمواسم ، وفي الأندية الليلية تحت الأرض ، وفي الكباريهات المشبوهة ، ستجدون أنفسكم في أجواء روحانية مختلفة ..

فرحــــــان : (لموسى) هذا امتحان عسير يا صاحبي ، وأنا ما أخرجني من المدرسة ، ورمى بي إلى هذه الحرفة الملعونة إلا الامتحانات ..

موســــــى : تجمل بالصبر ، أوصيك بالصبر ثم الصبر، واعلم أن اللّه معنا ..

القصبــاوي : سندخل بيتاً طاهراً إن شاء اللّه ..

عــــــواد : إنك تخيفنا آلمعلم ، نحن ما تعودنا أن ندخل البيوت الطاهرة..

القصبــاوي : ولكننا هذه المرة سندخلها ..

عــــــواد : (لنفسه) مؤكد سندخلها، ولكن ، هل سنخرج منها سالمين ؟

موســــــى : آلمعلم ..

القصبــاوي : أنا لست (المعلم) الذي تعرف ، هل تفهم ؟ وهذه الكلمة دعها للأعراس ، ولمجالس اللهو والعربدة ، أما هذه الليلة ، فهي ليلة الإيمان، وليلة الذكر ، وليلة الإنشاد الروحي ..

فرحــــــان : مرة أخرى أقول اللّه يستر ..

موســــــى : طيب ، من الآن لن نقول لك المعلم ، ولكن ، في مقابل هذه الكلمة المشبوهة والملعونة ، ماذا نقول لك آ .. لمعلم ؟

القصبــاوي : قولوا الشيخ .. قولوا مولانا .. قولوا سيدنا .. قولوا لمقدم ، وإذا تناديتم فيما بينكم، فلا تقولوا إلا أخي في اللّه ، وألا تتحدثوا عن شيء، وإلا وتقولوا إن شاء اللّه ، هل سمعتم ؟

عــــــواد : سمعنا، إن شاء اللّه ..

فرحـــــــان : وحتى هذا العدو اللدود أقول له أخي (مشيراً إلى موسى)

موســـــــى : رغماً عنك ، فأنت من الآن أخي ، وأنا أخوك إلى إشعار آخر، أنت أخي عبد التواب، وأنا أخوك عبد المولى، وأما أبونا فهو المدعو إبليس (النحيس) (يضحكون)

القصبـــاوي : نحن ذاهبون الآن إلى طقس ديني ..

فرحـــــــان : وهذا الطقس يا مولانا ، أليس فيه عربدة ؟

القصبـــاوي : فيه عربدة روحية يا ولدي ..

موســـــــى : وخمرته يا مولانا ، كيف هي ؟ وبأي لون هي ؟

القصبـــاوي : سألتهم عنها فقالوا ، هي خمرة ربانية سماوية ، ليس لها لون، وليس لها طعم ، وليس لها رائحة ..

عـــــــواد : خمرة سرية إذاً يا مولانا ؟

القصبـــاوي : نحن ذاهبون إلى حفل ديني ، روحي ، تقيمه نسوة من أهل الله ، تقرباً من الله ، ومن حبيبنا رسول الله ..

جميعـــــــاً : صلى الله عليه وسلم ..

القصبـــاوي : ولقد أكرمنا الله تعالى ، ووقع الاختيار علينا ، دون كل خلق الله، في كل بلاد الله ..

موســـــــى : الحظ أعمى ..

فرحـــــــان : أنت هو الأعمى يا .. أعمى ..

القصبـــاوي : وإذا هدانا الله ، فمن هذه الليلة سنغير حرفتنا ، وسنتوجه إلى الذكر وإلى الأمداح وإلى الإنشاد الصوفي ، وهل تعرفون لماذا وقع الإختيار علينا ؟

عـــــــواد : لماذا ؟

فرحـــــــان : لأن سمعتنا الطيبة في عين الذئاب وصلت إلى كل الناس ..

القصبـــاوي : لا ، بل لأننا فقط عميان ، ولأننا لا نرى ..

موســـــــى : (لنفسه) ومتى كان العميان لا يرون ؟

القصبـــاوي : سندخل إن شاء الله بيتاً محترماً ، يفيض بالإيمان وبالتقوى، وسنكون قريبين جداً من نسوة محجبات ، يرين وجوهنا الملتحية ، ولا نراهن ، ولا نسمعهن، وسيسمعن شدونا ، ويطربن لإنشادنا ، ولا شيء غير هذا ..

فرحـــــــان : هذه مهمة ليست سهلة أبداً ، ماذا أقول لكم يا إخوتي في الله؟

اللّه يستر ، ويخرج العاقبة على خير ..

القصبـــاوي : وأعود مرة أخرى ، وأكررها من جديد، إن المهمة فعلاً ليست سهلة ، ولكنها مفيدة ومربحة ومجزية ، وستخرجون منها ـ إن شاء اللّه تعالى ـ سالمين غانمين ، وجيوبكم ممتلئة حتى التخمة ..

عـــــــواد : (لنفسه) ليته يكون صادقاً ..

القصبـــاوي : سنكون أمام نسوة ، من غير ذلك الصنف الذي تعرفون ، نسوة صالحات ، متعبدات ، طاهرات ، عفيفات ، قانتات ..

موســــــى : وما معنى قانتات يا مولانا ؟

القصبـــاوي : واللّه يا ولدي ، لا أدري ، ومن قال في الناس لا أدري ، علمه اللّه ما لا يدري ، لقد سمعناهم يقولون فقلنا ، هذا كل ما في الأمر ، وفي البداية والنهاية، فأنا لست فقيهاً ، وما أنا إلا (جوايقي) مثلكم والسلام ..

فرحـــــان : وماذا سوف نغني لهن يا .. مولانا ؟

القصبـــاوي : قلنا ، نحن لن نغني ، ألا تفهم ؟

موســــــى : سننشد لهم نشيداً صوفياً ، سماوياً ، اسمه (السماوي . اللّه يداوي)

الجمـيـــــع : (وهم يعزفون ، ويغنون ، ويرقصون) السماوي اللّه يداوي أصحاب الحال ..

القصبـــاوي : لا لا ، قلت لن نغني ، ألا تفهمون ؟ سننقر على الدفوف فقط، وسنقوم بالإنشاد، وسنحرص إن شاء اللّه ، على أن يكون الجو ربانياً، تحضره الملائكة وحدها ، وتغيب عنه الشياطين..

عـــــــواد : تغيب عنه الشياطين، ونحن أخطر الشياطين، ولافخر ..

فرحـــــان : (لنفسه) اللّه يستر ، هذه مغامرة انتحارية ، فإما أن تكون (ربحة) وأن تكسبنا الأجر مع اللّه والعباد ، وإما أن تكون (ذبحة) وأن ترمي بنا إلى (قعر) الواد ..

القصبـــاوي : على بركة اللّه إذاً ، وليتحرك الموكب الرباني ..

(يخرجون وهم يرددون الأمداح النبوية)

10 - هي التي تميل وليس أنا ..

(يدخل بحار، وهو في حالة عربدة ، يتمايل ، وهو يغني)

البحـــــار : سأغني ، وأغني، وأعرض على الخلائق إبداعي وفني (يغني) يا ليلي ، يا عيني (يتوقف عن الغناء) يا أيها الليل ، أتسمعني؟ إن كنت تسمعني ـ كما أسمعك ـ فغن معي ، غن معي ، وقل للنجوم التي في السماء أن تغني معي، وقل للبحر أن يغني ، وقل للموجة الهاربة أن تغني ، قل لها (يغني) يا موجة غني ، عالبحر غني .. (تدخل الصافية ، تتأمل البحار من بعيد)

الصافيـــة : هذا الرجل ليس هو ..

البحـــــار : يا ليل، ألف مرة قلت لك، أنا لست هو، وهو ليس أنا ، وكل واحد له أناه، وهو حر في أن يفعل بها ما يشاء .. (يدخل المخبران)

الصافيـــة : ولا أحد في هذين الرجلين الغامضين يشبهه ..

البحـــــار : لا أحد في هذا الليل يمكن أن يشبه إلا نفسه ، ومن حاول أن يكون غيره ، فإنه لابد أن يضيع روحه ، وأن يفقد نفسه .. (تخرج الصافية، يقترب المخبران من البحار)

النمـــــس : أنت أيها الرجل ، علاش ما كتمشيش بحال عباد الله كاملين؟

البحـــــار : وكيف يمشي عباد الله (كاملين) ؟

النمـــــس : هكذا (يمشي بطريقة آلية) برجولية ونخوة، وبكل رصانة وتوءدة..

البحـــــار : أهكذا تسير دائماً ؟

النمـــــس : دايماً، هاك شوف، حل عينيك وشوفني مزيان وآنا كنمشي، مرفوع الهامة..

البحـــــار : جميل، جميل جداً ..

النمـــــس : ومنتصب القامة ..

البحـــــار : أما أنا، فإنني أمشي كما تمشي الأيام يا صاحبي ، انظر جيداً، وتأمل، واستفد (وهو يمشي على أطراف أصابع قدميه

ويتمايل ، وكأنه يرقص الباليه)

النمـــــس : امش امقاد ، اعلاش كتتمايل ؟ علاش ؟

البحـــــار : لست أنا الذي أتمايل يا صاحبي ..

النمـــــس : كفاش ماشي انت، وانا بعيني شايفك، وانت كتحيل وتميل؟ آدوي ، واشكون يكون من غيرك انت ، اشكون ؟

البحـــــار : (بهمس له) أقول لك ولا تقول لأي أحد ؟

النمـــــس : واغير قول، وعليك الأمان ..

البحـــــار : (بهمس) الأرض ..

النمـــــس : شنو قلت ؟

البحـــــار : هذه الأرض هي التي تدور يا صاحبي ، وليس أنا ، وهي التي تميل، مرة إلينا ـ إذا شاءت ـ وملايين المرات إلى غيرنا ..

النمـــــس : الأرض كتدور ، وبلا خبار المخزن ؟

البحـــــار : اللّه أعلم ..

النمـــــس : هادي معلومة مهمة وخطيرة ، ولازم نسجلها .. (يخرج كراسة وقلماً ويكتب)

البحـــــار : سجلها .. هذه الأرض تدوريا صاحبي ، وتتمايل ، وقد يحدث أن ترقص رقصاً شرقياً أيضاً ، وأن تهز البطن هكذا .. (حركة رقص)

النمـــــس : هكذا ؟ (بحركة رقص) وبلا خبر المخزن ؟

البحـــــار : تماماً ، وأن تهز الأرداف والأكتاف أيضاً ..

النمـــــس : وآ لفوضى هادي ، هكذا ؟ (يهز كفيه وردفيه)

البحـــــار : تماماً، ويمكنك أن تسجل هذا بكل أمانة ، وأن تضيف أن هذه الأرض غير مستوية ، وأنها منحرفة ..

النمـــــس : شنو منحرفة ؟ يعني سلكوطة ؟

البحـــــار : تماماً ..

النمـــــس : وكل شي هادا بلا خبار المخزن ؟

البحـــــار : وتريدني يا صا حبي أن أمشي من غير أن أتمايل ؟

النمـــــس : لا غير تمايل انت .. انت ما عليك كلام ..

البحـــــار : الأرض غير مستوية يا صاحبي ..

النمـــــس : هادي سجلناها ..

البحـــــار : والأيام غير مستوية ..

النمـــــس : حتى الأيام ؟

البحـــــار : وأرزاق الناس أيضاً، غير مستوية ولا متساوية، والويل الويل لمن لا يميل مع الأيام والليالي والأمواج التي في البحار هكذا ، ولا يدور مع الساعة ، ساعة بعد ساعة (يدور حول نفسه مثل الدراويش) ولمن لا يرقص كما ترقص الشيخات المشبوهات في الأماكن المشبوهة ..

النمـــــس : هكذا .. (يرقص)

البحـــــار : تماماً .. الله يرضي عليك ، تفهم في كل شيء (آلعفريت) ؟

النمـــــس : والآن، وبعد ما أصبحنا أصدقاء ، واش يمكن نعرف اسمك؟

البحـــــار : اسمي ؟ (يضحك) هل تصدق ؟ لقد ضيعت اسمي، وحق الله ، وبرغبتي وإرادتي ضيعته أو ضيعني ، كل ما أعرفه أنني بحار، ومؤقتاً ، يمكن أن تسميني الرايس ، وإذا شئت الدفة ، سمني الناسي..

النمـــــس : الناسي ، هذا اسم رواية ولاّ مطلع أغنية ؟

البحـــــار : لا أذكر يا صاحبي ، وما أنا الآن إلا حالة من الحالات ، حالة عابرة وطائرة .. حالة فرح أو حالة انتشاء ، أو حالة وجد ، أو حالة تحلل وفناء في هذا الهواء ، دعني من كثرة الأسئلة ولا تفسد علي نشوتي..

النمـــــس : وفاين هي البطاقة آلرايس ؟ بطاقة التعريف ديالك ؟

البحـــــار : لا ، ليست لدي بطاقة ، ولا صورة ، وإنني أسألك، ألا أجد في جيبك مرآة صغيرة ؟

النمـــــس : مرآة ؟ ولاش بغيتي المرآة آ صاحبي ؟

البحـــــار : أريد أن أرى هذا الوجه الذي أحمله في رأسي ، لأعرف من أكون..

النمـــــس : لعجب هذا ، انسيت حتى اسميتك آ صاحبي ؟

البحـــــار : وهل دخلت هذه الحان ، ثم خرجت منها ، إلا لأنسى ؟ لقد دفعت ثروة كبيرة في مقابل هذا النسيان الجميل ، ألا تشعر أنت أيضا ، ولو في بعض المرات، أنك في حاجة لأن تنسى شيئاً، أو تنسى كل الأشياء، وأن تبدأنفسك من الصفر، وأن

تكون من تشاء ، وأن تصنع بحياتك ما تريد ؟

النمـــــس : والله ، شنو نقولك ؟ بحال هاد الأسئلة هادي ، راها كبيرة علي، وبزاف آصاحبي ..

البحـــــار : تسألني عن اسمي، وأقول لك، لقد جئت متأخراً قليلاً يا صاحبي، ولو جئتني قبل ساعتين، لوجدتني حاضراً، ولعرفتك بنفسي، ولقلت لك ، أنا فلان اين فلان، ولكنني الآن في حال الغياب ، إنني الآن لست هنا ، وأنا لست أنا ..

النمـــــس : كفاش لست هنا، وانت هنا ؟

البحـــــار : وما عليك يا صاحبي ، سوى أن تؤجل سؤالك إلى الغد ، وإذا لقيتني، فإنني سأجيبك .. سلم لي على أم الأولاد، وعلى كل الأولاد ، ذكوراً وإناثاً .. (يخرج البحار الناسي من جهة ، ليدخل لمفضل من الجهة الأخرى)

لمفضـــــل : (بلهجة آمرة) آش كتديروا انتما هنا ؟

النمـــــس : أحنا ؟

لمفضـــــل : أبيه ، أنتما ، وياك ما تكونوا باغيين شي صدقة ؟

القنفـــــود : ألا نعم آس ..

لمفضـــــل : أنا فهاد لبلاد هادي ، راني من الناس المحسنين لكبار ، إلى ما عندكم خبار..

النمـــــس : (نفسه) هذا ظاهر عليه يدو طويلة ، وكلمتو مسموعة ..

لمفضـــــل : إلى كان خاصكم الخدمة قولوها ، راه الخدمة ـ والحمد لله والشكر لله ـ ما كاينه غير هي .. إيه ، وعنداكم تكونوا غالطين ، وتديروا بحال شي وحدين، وتمشيوا توقفوا أمام أبواب المسؤولين ، وتديروا الفوضى فالبلاد، وتقولوا أجمعين ، الشواهد ها هي ، والخدمة فاين هي ..

النمـــــس : لا احنا خدامين نعم أسيدي ..

لمفضـــــل : (لنفسه) سعداتكم ..

القنفـــــود : وخدامين بالنية والمعقول ، جمعة وسبت وأحد، وصباح وعشية ، وفكل وقت ، نعم آسيدي ـ تلقانا حاضرين وناظرين ..

لمفضـــــل : الله يرضي عليكم ، وهكذا نبغيكم تكونوا دايماً وأبداً ، أنا عزيز علي ناس المعقول وناس الجد والمثابرة بحالكم ..

النمــــــس : (وهو محرج) سمح لينا نعم آس ، راه بغينا سولولوكم ، أشكون انتما سيادنكم ، ولكننا ـ كما كتشوفوا ـ راحنا حشمانين ومحرجبن ..

لمفضــــــل : عندكم الحق تكونوا محرجين أيها المساكين ، وعندكم الحق تسولوا شكون احنا في أرض رب العالمين ..

القنفــــــود : (في حياء مفتعل) وما تاخذهاش منا قلة الصواب نعم آس

لمفضــــــل : أحنا فهاد لبلاد السعيدة هادي ـ والحمد لله والشكر لله دائماً، شي حاجة كبيرة ، وكبيرة بزاف ، والدليل هو هذا .. (يدور حول نفسه ليريهما زيه) هذا هو العنوان يا إنسان ، والعنوان يغني عن السؤال ..

القنفــــــود : وشنو سميتكم نعم آس ؟

النمــــــس : وشنو كتعملوا فالمهنة ؟ التجارة ولا السياسة ؟ الاستيراد والتصدير ولا البناء؟

لمفضــــــل : راه الليل باقي طويل ، ومازال نتلاقاو، ومازال عندي فراسي ما نحكي ليكم، كل شي بأوانو، ولما يجي الوقت، غادي نقولوا ليكم بالتفصيل الممل ، أشكون احنا .. (وهو يخرج) نتلاقا وبعد قليل ..

(يخرج المخبران وراءه من غير أن يشعر بهما)

11 - العميان بعد الليلة ..

(يدخل العميان ، وهم يهتزون من شدة الضحك)

موسى : ويلي ويلي ، هل تعرفون أين كنا ؟

فرحان : كنا في الجنة ، أو على أبواب الجنة ..

عواد : لا ، بل كنا في النار يا صاحبي ، أو كنا بين الجنة والنار، ونحن لا ندري ..

القصباوي : أما أنا فأقول، كنا في ليلة حلم..

فرحان : فعلاً، كنا في حلم يا أولاد الحلال

القصباوي : يا الله، ليت ذلك الحلم كان أطول قليلاً ..

موسى : أما أنا فأقول، كنا في مسرحية ..

فرحان : ها ها ، وأنت متى شاهدت المسرح يا أعمى ؟

موسى : لن أرد عليك أيها الأمي ، كنا في مسرحية غريبة عجيبة ، من ذلك المسرح الذي يسمونه اللامعقول ..

القصباوي : غير معقول ، مسرحية داخل مسرحية ، كيف تفسر هذا ؟

عواد : ولماذا تريد أن تفسر كل شيء ؟ قل كانت ليلة من ألف ليلة وكفى ..

موسى : أحس يا أولاد الحلال ، وكأنني أخرج اللحظة من التاريخ ، ما رأيكم لو نعود من حيث خرجنا ؟ (وهو يهم بأن يعود من حيث أتى)

القصباوي : إلى أين أيها الأحمق ؟ الليلة انتهت ..

موسى : نعم، ولكن المسرحية باقية يا أولاد الحلال ..

القصباوي : قل سبحان الله ، وافتح عينيك ، لقد راح الليل وهذا صباح يوم جديد ..

موسى : هذه الليلة لا يمكن أن تنتهي ، وإنني أراها بحجم الأبدية ..

فرحان : لقد أكلنا، وشربنا ، ونقرنا على الدفوف، وأنشدنا حتى بحت أصواتنا ..

عواد : بدأنا الليلة بنشيد (طلع البدر علينا)

موسى : وختمناها ب (طلع الفجر علينا)

عــــــــواد : وأين هو الفجر يا أعمى والقمر مازال في السماء ؟

القصبــاوي : وأخذنا أجرنا ، وزيادة ..

فرحـــــان : وجمعنا هذه (البنادير) وخرجنا ..

عــــــــواد : (ينزع نظاراته السوداء ويرمي بها بعيداً) لقد رأينا العجب في غير شهر رجب ..

موســــــى : (يرمي بنظارته هو أيضاً) ولو كنا عمياناً حقاً ، ما رأينا شيئاً، ولفاتنا أن نرى ما تفعل المحجبات الصالحات..

فرحـــــان : (وهو يرمي نظاراته) من حسن حظنا أن العمى ليس إجبارياً في عالم الخيال والاحتفال ..

عــــــــواد : .. ولو كان إجبارياً ، ما اكتشفنا نفاق الناس في دنيا الناس..

القصبــاوي : لقد رأينا، رأينا ، وتحررت عيوننا المعتقلة ، واكتشفنا، وليس من رأى كمن سمع ..

فرحـــــان : ألا ترون ، أنه لو كنا عمياناً حقاً ، لكان ذلك أحسن ؟

موســــــى : أحسن ؟ أحسن بالنسبة لمن ؟

فرحـــــان : بالنسبة لمن ؟ لست أدري .. بالنسبة للعبة الوجود ولعبة الحياة، ولعبة الأحياء ..

القصبــاوي : ولو من وراء الزجاج ، ورغم هذه النظارات السوداء (ينزع نظاراته السوداء ، ويضعها في جيبه) فقد رأينا ما لا عين رأت، ولا خطر على بال أعمى ..

عــــــــواد : لقد صدقن بأننا لا نراهن ، فمارسن حريتهن ..

فرحـــــان : تلك يا صاحبي لم تكن حرية ..

عــــــــواد : نعم، وماذا كانت ؟

فرحـــــان : كانت فوضى، وكانت معصية ، وكانت تهتكاً وفجوراً وشذوذاً، وكانت نفاقاً وكذباً على الله وعلى الناس المحترمين (مشيراً إلى نفسه) ..

موســــــى : وما فعلناه نحن ، ماذا تسميه أيها الفقيه المحترم ؟

عــــــــواد : كان (أكل عيش) يا صاحبي ..

القصبــاوي : نحن كنا في عالم ، والنسوة الصالحات كن في عالم آخر، كنا ننشد الأذكار ، ونصلي على النبي المختار، وكانت الحاجة ميلودة ، مع الحاجة نور العيون ترقصان التانغو ..

موســـــــى : نحن نمدح النبي ، ونقول يا جاه النبي، وهن يعاقرن النبيذ ..

فرحـــــــان : على الأقل، ونحن في العلب الليلية ، وفي الكباريهات ، يكون غناؤنا من جنس ما يفعل الناس ، ونجد الناس صادقين مع أنفسهم ومع الله ..

عـــــــواد : وأجمل ما فيهن - يا أولاد الحلال - قدودهن التي تميل يميناً وشمالاً، وتدور وتتلوى كما تتلوى الأفاعي ..

القصبـــاوي : وأجمل من قدودهن ملابسهن الغالية ، إنها على موضة باريس ولندن ..

موســـــــى : تلك لم تكن ملابس يا صاحبي ..

القصبـــاوي : وماذا كانت ؟

موســـــــى : سمها ما تشاء من الأسماء ، إلا أن تكون حقاً ملابس ، فهي أثواب حرة، مفتوحة على كل الجهات ، وكأنها لم تعرف الخيط والإبرة ..

القصبـــاوي : تلك هي الموضة هذه الأيام يا صاحبي ، ألا تعرف هذا ؟

موســـــــى : أية موضة ؟

القصبـــاوي : موضة أمنا حواء ، والتي هي أقدم موضة أخرجت للناس ..

عـــــــواد : سبحان الله ، كان الأصل في اللباس أن يستر العورة ، فأصبحت مهمته أن يكشفها للعيون ..

فرحـــــــان : ورنات الأساور الذهبية ، هل سمعتموها ؟ لقد كانت موسيقا ساحرة ..

موســـــــى : سبحان الله ، من يمكن أن يصدق هذا ؟ نساء محجبات، ومبرقعات ، ومع ذلك فقد استطعنا ، نحن العميان ، أن نراهن ؟

فرحـــــــان : وهذه واحدة من معجزات رب العالمين (يضحكون)

القصبـــاوي : هل رأيتم الحاجة غيثة وهي ترقص ؟

الجـــميـــع : رأيناها ..

موســـــــى : لقد (حزمت) وسطها ، وفكت أسر شعرها، وألقت بحذائها بعيداً ، و ركزت، ولوزت ، ما رأيكم في رقصها ؟

فرحـــــــان : فعلاً هي موهبة خارقة، وأين منها سامية جمال ؟

عـــــــواد : إن مثل هذه المواهب المحجبة ، هي التي ضاع فيها شارع الهرم،

وخسرتها علب الليل في الكورنيش ..

فرحـــــان : ما قولكم ـ دام نفاقكم ـ أن نقضي ما تبقى من هذا الليل، في هذا المطعم الفاخر؟

عـــــواد : هي فكرة ليست حسنة ، وإنني أستغربها من رجل سيء مثلك..

موســـــى : وأنا أقول ، مادام كاين الرزق ، اعلاش ماندير هاش ؟

القصبـــاوي : على بركة الله ..

(يدخلون المطعم ، وقد استعادوا زيهم الأول)

12 - كيف سألقاه ؟

(تدخل الصافية ، وهي تدفع عربتها ، تنظر في كل الجهات ، وقد أعياها الانتظار)

الصافيــــة : إنني أشعر أنه هنا ، نعم ، هو الآن هنا ، أو هو فريب جداً من هنا، وإحساسي صادق في حال القلق دائماً .. يا الله ، بأي وجه ألقاه؟ ليتك كنت تتكلمين يا فرح ، لتساعديني على أن أتجمل له ، وأن تخبريني ، إن كان أبوك سيتعرف علي بسرعة؟ لا أظن يا فرح ، لا أظن، فسنة من الغياب ليست قليلة ، ثم إن اللقاء في ظلمة هذا الليل، ليس مثل اللقاء في واضحة النهار، ثم إن الوقت متأخر جداً ، وقد نكون على مشارف الفجر .. (من الجهة الأخرى يدخل لمفضل ، وهو في كامل طاووسيته)

لمفضــــــل : الناس كلهم كيحترموننا ، والحمد لله على كل حال ، والبركة كلها في الجلابة والبلغة ، وفهاد النخوة ، إيوا الله لا يخطي علينا النخوة.. (يدخل المخبران القنفود والنمس ، ويقتربان منه)

النمــــــس : (وهو ينحني في احترام شديد) مرة أخرى ، كنجدوا التحيات، ونقولوا نعم آس ، مساء السعد والخيرات ..

لمفضــــــل : بسم الله الرحمن الرحيم، عاودتاني انتما؟ واش انتما هما انتما ولا كاين منكم شي وحدين اخرين ؟

القنفــــود : وعلاه نعم آس ؟

لمفضــــــل : اعلى حقاش ، فاين ما درت نلقاكم قدام وجهي ، وبغيت نعرف، اشنو هي طلباتكم آلولاد ؟

النمــــــس : بسيطة نعم آس ، بغينا غير نعرفو، انتما شكون انتما ؟

لمفضــــــل : ساهلة ، وما كاين ما سهل منها ..

النمــــــس : بغينا نخدموكم، ونكونوا عند السمع والطاعة ، وعليه، لازم نعرفوا اسميتكم نعم آس ؟

لمفضــــــل : نحن ؟ نحن اسميتنا لمفضل ..

القنفــــود : تبارك الله . أنتما هما موالين الخير كلو وخلاص ؟ وشكون

اللي سماكم لمفضل آمولاي .. لمفضل ؟

لمفضـــــــل : نحن .. نحن اللي سمينا راسنا براسنا ..

النمــــــس : أبيه، إيوا راس عندكم آمولاي لمفضل ..

لمفضـــــــل : شفتو العبقرية والنبوغ والسنطيحة حتى هي، شنو دايره بي ؟

النمــــــس : شفنا نعم آمولاي .. واللّه إلى شفناها ..

لمفضـــــــل : إبوا قولوا باز، وقولوا التسليم لرجال اللّه ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

النمــــــس : نقولوها ، وحق اللّه حتى نقولوها ، باز آسيدي باز، والتسليم ، واسنطيحة كبيرة عندك أمولاي .. لمفضل ..

القنفــــود : (لصديقه على انفراد) لا ظاهر، السنطيحة هو مولاها ، والشي لآخر ، يعلم اللّه ..

لمفضـــــــل : آسيدي، اسمعني انقولليك ، راه السنطيحة لمقزدرة هي كلشي فهاد الزمان ..

النمــــــس : ياك نعم آس ؟

لمفضـــــــل : وهكذا بغا ت الوقت، شرف اللّه قدركم ..

النمــــــس : ابغيت نسولك آلسي لمفضل ؟

لمفضـــــــل : (لنفسه) عاد دابا وهو يقوللي مولاي ، ودغية دغية اصبحت غير السي، وولات هاد السي حافية وناشفة ويابسة ، آش جرا وطرا في ملك اللّه تعالى؟ (للنمس) أبيه ، راني كنآذن لك باش تسولني ، أتفضل ..

النمــــــس : أشكون اللي فضلك ألسي لمفضل ؟ وعلى من فضلك ؟ وشنو درت في زمانك، حتى فضلك على غيرك من الناس ؟

القنفــــود : واش أنت هو اللي جريت الماء فالعيون والسواقي ؟

لمفضـــــــل : ألا ..

النمــــــس : ولا أنت هو اللي رفعت هاد السما للسما ؟

لمفضـــــــل : بالصراحة ، ألا ..

النمــــــس : ما تكونش أنت هو اللي قلت للديك الفصيح باش يصيح ؟

لمفضـــــــل : وحتى هادي ، ألا ..

القنفــــود : وعلاش سميتك لمفضل آلمفضل ، اعلاش ؟ ابغينا غير نعرفوا اعلاش ؟ قوللينا اعلاش ؟

لمفضـــــــل : نحن ما اسميتناش لمفضل حافية ، اسميتنا ـ شرف الله قدركم ـ الحاج لمفضل النخوة ..

النمـــــــس : الله أكبر ، ووقتاش حجيتي ؟

لمفضـــــــل : نحن ؟ باقي ماحجينا ..

القنفـــــود : وكيفاش درتي ليها ، حتى ولليتي حاج آ .. الحاج ؟

لمفضـــــــل : العبقرية ، والنبوغ ، والسنطيحة ، ياك جات معايا ؟ الحاج لمفضل مول كل شي، والعالم في كل شي ، هو نحن ..

النمـــــــس : وهادا لحماق هذا ..

القنفـــــود : واش أنت مسؤول كبير ؟

لمفضـــــــل : ما أنا مسؤول كبير ولا صغير ..

النمـــــــس : عرفناك ، أنت من الأعيان ..

لمفضـــــــل : ألا ، راك باقي ما عرفت والو ..

القنفـــــود : (يهمس له) وياك ما تكون من الأمن السري ؟

لمفضـــــــل : أنا من الأمن السري ؟ (يضحك) الله يجيبكم على خير ..

القنفـــــود : إيوا ما تكون غير شي واحد غني، وشبعان وسخ الدنيا ؟

لمفضـــــــل : أبداً أبداً ، نحن ـ ولا فخر ـ رجل فقير، ولكنني شريف ، وغني بكرامتي ..

النمـــــــس : آويلي، أنت فقير؟ وكتقولها بوجهك حمر؟

لمفضـــــــل : أبيه ، وعلاه بغيتني نقولها بوجهي خضر؟ فقير بحال كا عباد الله، مع أنه كان من اللازم باش نكون من أغنى الأغنياء في هاد الوطن، كتعرفوا علاش ؟

القنفـــــود : اعلاش ؟

لمفضـــــــل : (لنفسه) ما بقاوش كيقولولي نعم آس.. لأنني مواطن، مواطن كامل المواطنة ، فهاد الوطن الغني بخيراته ..

النمـــــــس : كفاش ؟ أنت غير مواطن ؟

القنفـــــود : مواطن وصافي ؟

لمفضـــــــل : وليه مواطن جاتكم ساهلة يا لولاد ؟

النمـــــــس : اتخدعنا فيه آصاحبي ، واحترمناه ، وقدرناه ..

القنفـــــود : وهو غير مواطن ..

النمـــــــس : وشحال من مرة خفنا منو ، وجاملناه ، وحاولنا تقربوا منو ..

القنفـــــود : وهو غير مواطن ..

لمفضـــــل : نحن غير مواطن ، ولا شيء يعلو فوق الوطن ، ولا كرامة تعلو فوق كرامة المواطن الشريف في وطنه .. والآن ، شرف الله قدركم، يمكن ليكم تبعدوا من الطريق شي شويه ، لأننا في الطريق إلى هاد المطعم الفاخر، لنمارس مواطنتنا كاملة ، ولنحيا ساعة هناء ، قبل ما تجي الموت، وتسوقنا جميعا إلى الدار الدايمة .. (يدخل إلى المطعم وهو يمشي بزهو كبير)

القنفـــــود : وا ليلة هادي واشمن ليلة ..

النمـــــس : شفنا فيها آصاحبي اللي ما عمرنا شفناه ..

القنفـــــود : شفنا غرائب المخلوقات ، ودابا عاد عرفت وتأكدت، باللي كائنات الليل ماشي بحال كائنات النهار ..

النمـــــس : قلة لحيا هادي، غير مواطن وجا للمطاعم الفاخرة ..

القنفـــــود : وحتى احنا يمكن لينا نديروا بحالو، نفرحوا براسنا شي شويه ، وندخلوا لهاد المطعم ، ياك هاد الليل آ صاحبي امشى فحالو؟

النمـــــس : (وهو يرى حوله) إيه .. تقريبا آصاحبي ..

القنفـــــود : ها انت شوف ، السما صافية والدنيا هانية ، وكل شي بألف خير ..

النمـــــس : يا الله أصاحبي، وتما نكتبوا التقرير على خاطر خاطرنا ..

القنفـــــود : نكتبوا التقرير ؟ وشنو غادي نقولوا فيه آصاحبي ؟

النمـــــس : غادي انقولوا اللي شفنا وسمعنا ..

القنفـــــود : أبيه ، ونزيدو شي شوية فالكلام، وقولوا فالتقرير، إنه بفضل يقظتنا، أصبح كل شي على ما يرام ..

القنفـــــود : والسلام، وها هي الليلة دازت بخير وعلى خير ، إيوا يا لله آصاحبي (وهما يهمان بدخول المطعم ، يسمع صوت درهمان قادما من بعيد)

النمـــــس : آش هذا آصاحبي ؟وياك ما وقعت الواقعة وحنا لا خبر ؟

القنفـــــود : ما تخافش أصاحبي ، هذا غير ذاك الشحاذ لعمى ..

(يدخل درهمان الشحاذ وهو يسوق دراجنه بطريقة بهلوانية)

درهمــــــــان : يا أهل هذا المكان من بني الإنسان، لا تخافوا ولا تحزنوا، وابقوا حيث أنتم، ولا تغادروا المكان، ابقوا قلت لكم ، حتى نفرجكم علينا ، ونريكم من آياتنا عجباً ، الفرجة هذه الليلة، وفي كل ليلة ، بالمجان، أي نعم، بالمجان ، أو.. تقريباً ، بما يمكن أن يشبه المجان ..

القنفـــــــود : وا منحوس هاد لعمى ..

النمـــــــس : هذا أعمى ساكنو عفريت ، والأعمى اللي ساكنو، ظاهر آصاحبي عندو عينيه ..

درهمــــــــان : لست من الجن ولا من الشياطين، وما أنا إلا رجل فنان، أنا نابغة وعبقري، أنا ساحر وبهلوان ، وما الفنون يا ضيوفي إلا جنون، ولكنكم لا تعلمون ، أنا صاحبكم درهمان ، شوفوني وتأملوا آش كيديوا العميان في ليل العميان .. أنا مصيبة المصائب، في زمن الغرائب والعجائب ، أنا فلتة من فلتات الزمان، أنا معجزة من معجزات الرحمان .. (يتوقف عندهما)

النمـــــــس : عاودتناني انت ، اشنو بغيت آدرهمان ؟

درهمــــــــان : أنا ؟ والو ، وحق لا إله إلا الله ، ما بغيت لكما إلا السلامة والعافية وطول العمر ، وأن يخرج الله سربيسكما على خير، قولا آمين يا رب العالمين ..

القنفـــــــود : آمين ..

درهمــــــــان : راني شفتكم يا أولاد ال .. ومن بعيد جداً

القنفـــــــود : قلت شفتنا ؟

درهمــــــــان : أي نعم، وبعين قلبي والله ، وليس بعين وجهي ، شفتكم غاديين للمطعم ، باغيين تتعشاو ياك ، ومتى ؟ في هاد الوقت المتأخر من الليل، أو .. المتقدم من النهار، لست أدري ..

القنفـــــــود : آش بغيت تقول أدرهمان ؟

درهمــــــــان : ابغيت نقول ما يلي ، ياك الخدمة خدمناها جميع ، وبحال اللي شميتوا انتما ، راه نحن أيضا شمينا ..

النمـــــــس : آ درهمان ، راه باقي ما شفنا منك خدمة ..

درهمــــــــان : سوف تأتي الخدمة قريباً ، وستقولان إن شاء الله ، فعل درهمان ، وقال لنا درهما ن ، وحذرنا من هذا وذاك درهمان ،

وستندمان لأنكما نسيتماني ساعة العشاء .. (بحزن مفتعل)

القنفـــــود : ياك بغيت غير لعشا ؟ يا الله آسيدي معانا ، مرحبا بك ..

درهمـــــان : فهمتني خطأ يا صاحبي ، أنا ما بغيت العشاء ..وا لحماق هاذا، وشنو بغيت ؟بغيت ثمن العشاء ، إلى ما كان عندكم مانع، صرفوه لي فلوس ، الله يصرف ذنوبكم إلى حسنات ..

النمـــــس : وانمرة هذا، واشمن نمرة ..

درهمـــــان : أنا نمرة رابحة في يانصيب الزمن ، شكاك دائماً ، هجاء أحياناً ، سليط اللسان إذا دعت الضرورة ، طماع إذا وجدنا أهل الخير والإحسان (بحالكم) طفيلي في المآدب ، حاضر ناظر، إذا مدت الموائد ، وصفت الأطباق، كما أنني ـ ولا فخر ـ كثير الشكوى إلى الله، وإلى عباد الله ، كثير الإدعاء قليل الحياء ..

القنفـــــود : لا، باين عليك ..

درهمـــــان : ثرثار، مهذار ، بضاعتي الكلام في سوق الكلام ، والأهم من كل شيء ، أنني جبان وضعيف ..

النمـــــس : أنت ضعيف ؟ سبحان الله ..

درهمـــــان : أبيه ، أنا ضعيف ، خصوصاً أمام سيدنا ومولانا ، والذي إذا ظهر هو ، تبخرت أنا ..

القنفـــــود : مولانا ؟ (في غضب زائد) اشكون كتقصد ؟ أدوي ..

درهمـــــان : يا سيدي ، افهمني أولاً ، ثم من بعد اعطني ما شئت من الأموال، راه مولاي هو مولاك نفسه، وهو مولى كل الناس أجمعين ، أسماؤه كثيرة وهو واحد أحد ، مرة ـ يا أولاد ال ـ هو الدرهم ، ومرة هو الدينار ، ومرة هو الدولار ، وأنا لا أغمض عيني ، ولا أفتحهما ، إلا من أجل مولانا هذا ، حرسه الله ورعاه، وجعلني ـ وإياكم ـ من خدامه الأوفياء ، ومن محبيه ومن رعاياه ..

النمـــــس : هذا شحاذ مثقف مزيان آصاحبي (لصديقه)

درهمـــــان : أنا ماشي شحاذ ، ولا متسول ، وما أنا إلا فاعل خير، ومهمتي شريفة ونبيلة جداً، وإنني أشتغل ـ يا أولا ال ـ بتنظيف الجيوب الوسخة والقذرة والعفنة ، وآخذ من المتخمين شيئاً قليلاً ، حتى

لا تقتلهم التخمة .. ديوا الخير تلقاو الخير يا أولاد الذين..

القنفـــــود : هاك ، خذ (يعطيه ورقة مالية) وبالحق سر شوف شغلك ..

درهمــــــان : (وهو يشم الورقة) اللّه اللّه ، ما أطيب ريحها (يطويها بعناية ويضعها في جيبه الداخلي) شفت الفجر قرب ، وعليه فإنني أقول لكما، من دابا ـ صباح النار .. عفواً ، صباح الأنوار ..

(يركب دراجته وينطلق ، ويدخل المخبران إلى المطعم)

13 - وأخيراً حضر ابن هدي المنتظر ...

الصافيـــــة : (وحدها) يا الله ، كيف أبدو الآن ؟ ليت لي مرآة ، حتى أرى وجهي، لاشك أنني تغبرت ، ولكنني لم أشخ بعد ، ولا أحد يمكن يشيخ بعد سنة، أليس كذلك يا فرح ؟ أخبريني عن الرجل المنتظر، هل سيتعرف علي من أول نظرة ؟ لا أظن ، وأنا ؟ هل سأعرفه ؟ جائز أن يخطئه بصري ، ولكن قلبي العاشق لابد أن يدلني عليه ، وأن يقول لي هو هذا ..إنني أتصوره الآن يا فرح، وقد ازداد وسامة وأناقة، وأصبح يرتدي القميص والبنطلون، ومن يدري ؟ فقد تكون على رأسه برنيطة، وأن تكون في يده سيجارة ، وأن يكون عنقه مطوقاً بربطة عنق حريرية ، وأن يكون متعطراً بالبارفان الباريسي ..وعقله أيضاً، مثل ملابسه، سيكون قد تغير كثيراً، وأصبح أكثر تفتحاً وأكثر تحرراً ، وأكثر تسامحاً ، وأكثر تفهماً ، وهذا شيء طبيعي يا ابنتي ، ومن عاشر قوماً أربعين يوماً ، فإنه لابد أن يصبح مثلهم، وأن يكون منهم ، وهو قد ساكنهم سنة كاملة ، ولابد أنه قد أصبح اليوم رجلاً آخر .. يا الله ، ما أجمل المعرفة ، وما أنبل العلم ، ولقد أخبرني أبوك - في رسالته الأخيرة - أنه منكب على دراسة العلوم ، ويعلم الله أية علوم يدرس ؟ عندما يأتي، سنعرف كل شيء ..

(يقف عبد الله المجذوب وعبد البصير وظهرهما إلى الجمهور، تخفت الإضاءة شيئاً فشيئاً ، ولا يتبقى إلا بقعتان ضوئيتان ، الأولى تقف بداخلها الصافية وعربتها ، والثانية يقف بداخلها عبد الله المجذوب وعبد البصير)

عبد البصير : أنت من أنت أيها الرجل الحكيم ؟

عبد اللـــــه : لست حكيماً يا هذا، وما أنا إلا طالب حكمة ..

عبد البصير : ولكنك لست أعمى ، في ليل العميان ..

عبد اللـــــه : ما أنا إلا واحد بين كل الناس ..

عبد البصير : واحد؟ وابن من أنت ؟

عبد اللـــــه : أنا من أبناء عبد الواحد ، وأنت أيضاً، من أبناء عبد الواحد، وكلنا يا عبد البصير ـ في هذا الكون الواحد ـ أبناء أبينا عبد الواحد ، وكل أبناء عبد الواحد واحد .. (يصبح المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى الجانب الآخر)

الصافيـــــة : (وهي تقف أمام عربتها ، يدخل رجل بلحية كثة وهو في رداء أفغاني، وهو يمسك بيده صرة كبيرة وثقيلة جداً، يقترب منها في حذر شديد) هذا الرجل ، ملامحه ليست غريبة عني ، إنه ينظر إلي ، وكأنه يعرفني ..

بن هـــــدي : السلام عليكما أيتها المنتظرتان .. (وهو ينظر حوله في خوفه، ويحاول أن يخفي ملامح وجهه)

الصافيـــــة : وعليك السلام ورحمة الله ، وكيف عرفت أنني أنتظر ؟

بن هـــــدي : إنني أعرف أنك تنتظرين ، وأعرف كم مضى من الوقت وأنت تنتظرين، وأعرف أيضاً، من يكون الرجل الذي تنتظرين ..

الصافيـــــة : (لنفسها) يا الله . هذا الصوت ليس غريباً عني ، أتكون أنت هو ؟

بن هـــــدي : نعم ، أنا هو، بعلك الذي أعاده الله إليك سالماً غانماً ..

الصافيـــــة : (وهي تتأمله) ولكنك تغيرت كثيراً ..

بن هـــــدي : وأحمد الله أنني تغيرت يا امرأة ..

الصافيـــــة : أما أنا ، فمازلت كما كنت ..

بن هـــــدي : لقد غيرت طريقاً بطريق ، وتخليت عن أوهامي القديمة، واستبدلت كل رفاق الطريق، وذلك بعد أن أدركتني رحمة الله تعالي ، وهدتني إلى الطريق المستقيم ..

الصافيـــــة : هذه اللغة ، لم تكن لغتك من قبل ..

بن هـــــدي : تلك اللغة ، كانت لغة الجاهلية يا امرأة ..

الصافيـــــة : لقد ذهبت إلى بلاد الغربة ، لتبحث لنا عن رزق ، هل نسيت هذا ؟

بن هـــــدي : ماذا أقول لك؟ هجرة المهاجرين الأولين، لم تكن بقصد المال يا امرأة

الصافيـــــة : وبقصد أي شيء كانت ؟

بن هـــــدي : كانت بحثاً عن الحق والحقيقة ، وكانت هجرة إلى النور، وهروباً من الظلم والظلام ..

الصافيـــة : (وكأنها تكلم نفسها) الحق والحقيقة، والنور والظلام ؟ دعنا من هذا الآن، والمهم من كل شيء ، هو أنك عدت لنا..

بن هـــــدي : نعم عدت ، ومعي اليوم خير كثير..

الصافيـــة : تقول الخير الكثير ؟ هل أصبحت غنياً ؟

بن هـــــدي : ماذا تقولين يا أمة الله ؟ الله وحده الغني ، وكلنا في ملكه فقراء ..

الصافيـــة : والمال ، ألم تتغرب من أجله ؟

بن هـــــدي : وما عندي اليوم ـ لو تعرفين ـ أفضل من المال ..

الصافيـــة : أفضل من المال ؟

بن هـــــدي : لقد عرفت الله يا أمة الله، أخيراً عرفته وعرفني، وقربني من أهل الإيمان والتقوى ..

الصافيـــة : عجباً ، أخيراً عرفت الله ، وأين تم هذا الفتح المبين ؟ قل أين ؟ في بلاد الغربة ؟ ألم يكن الله موجوداً هنا أيضاً ؟

بن هـــــدي : هكذا شاء الله ، وما أراد الله كان ، وقدري أن أعرفه هناك وليس هنا ..

الصافيـــة : يا ويلي، إنك تخيفني بهذا الكلام .. (يسمع صوت بكاء الرضيع)

بن هـــــدي : (مشيراً إلى العربة) أهذه هي الأمانة يا امرأة ؟

الصافيـــة : أية أمانة ؟

بن هـــــدي : تلك التي استودعتها في بطنك ، ورحلت ؟

الصافيـــة : سبحان الله ، كأن الرجل ليس هو، وحتى لغته لم تعد لغته ، فماذا جرى لهذه الدنيا ؟ (لنفسها)

بن هـــــدي : ماذا تقولين يا امرأة ؟

الصافيـــة : أقول، تلك الأمانة التي كانت في أحشائي ، هي الآن هنا ، في (الكروسة)

بن هـــــدي : (وهو ينظر داخل العربة) سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، وماذا سميتموها ؟

الصافيـــة : سميناها (فرح)

بن هـــــدي : (بغضب شديد) ماذا ؟ فرح ؟ ومتى ؟ في زمن الغضب ؟ اسمعي يا امرأة، من الآن هي الشيماء، وأنت أم الشيماء ، وأنا أبو الشيماء، هل سمعت ؟

الصافيـــــة : نعم سمعت (لنفسها) ويا لهول ما أسمع الليلة ..

بن هـــــدي : ثم أيضاً ، ما هذه الملابس التي عليك ؟

الصافيـــــة : هي ملابسي يا رجل ..

بن هـــــدي : بل هي ملابس الفرنجة يا أم الشيماء، وما في هذه المدينة الفاجرة إلا الخارجون عن الحق ..(يبقى المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى البقعة الضوئية الثانية)

عبد البصير : وأنا يا عبد الله ، من بين كل عباد الله ، في دنيا الله ، ماذا أمثل بالنسبة إليك ؟

عبد اللـــــه : لست أدري ، إن كنت صديقي فأنت صديقي، وإن لم تكن، فلست عدوي ..

عبد البصير : هذه الحكمة يا عبد الله ، من علمك إياها ؟

عبد اللـــــه : الظلم علمني، والفقر أغناني، والغربة غربتني ، وهذا القهر الذي في وطني أماتني ثم أحياني ، وأدخلني في لجة الظلمة ثم أخرجني ..

عبد البصير : يا الله ، في هذا البلد خلل إذاً ؟

عبد اللـــــه : نعم ، وهو بسعة هذا العالم كله، لقد أدخلوني السجن يوماً، وقلت لهم، ما أضيق هذا الكون ، وما أوسع سجني، وأغمضت عيني ورأيتني أكبر من لحظتي وأرحب من مكاني.. رأيتني ورأيت سجاني ، وأشفقت عليه، وقلت في سري ، ما أشقى هذا الرجل وما أسعدني ، أنا في هذا السجن أكثر حرية من سجاني ، وأنا في هذا الوطن أكثر امتداداً من وطني ..

(يسمع جرس الدراجة الهوائية وهو يرن بقوة ، يقترب صوت درهمان وهو قادم)

بن هـــــدي : (في خوف) من هذا القادم يا امرأة ؟

الصافيـــــة : هذا درهمان الأعمى، شحاذ الحي ، وهو وحده الأعمى الذي يرى ويسمع في كل العالم تقريباً ، وهو شحاذ لطيف وظريف، لا يؤذي أحداً ، ولا شيء يشغله سوى أن يتدبر قوته اليومي ،،

بن هـــــدي : الويل له ، الويل له ، ألم يجد غير هذا الوقت ليأتي ؟ (لنفسه) سيفسد هذا المجنون كل شيء (يدخل درهمان، ويدور بدراجته وسط الخشبة)

درهمـــــان : هذه هي دورتي الأخيرة ، وبعدها سأعود إلى بيتي ، وإلى ربة بيتي ، وإلى أهل بيتي ، وقبل الانصراف ، أرى من حقي أن أقول كلمتي الأخيرة ، أقولها لمن يرى ويسمع ، ولمن يسمع عني ولا يراني .. يا أيها الذين تقيمون في السماء، مع النجوم اللامعة ، ومع الأقمار الساطعة ، من هناك ، من فوق ذلك السحاب، طلوا على أهل الأرض ، وعلى كائنات الرمل والوحل والتراب ، وأقول للذين يسكنون تحت الأرض ، اخرجوا للضوء والهواء ، واعلموا أن السماء قريبة جداً .. (يمد يده إلى فوق) ها هي السماء ، إنني أمسكها بيدي .. هذه ليلة مضت ، وغداً سوف تأتي ليلة ثانية ، هذا شيء مؤكد ، ولكن نحن، أنت وأنا والآخر، هل سوف نعود ؟ لست أدري .. باي باي يا أولاد الذين.. هيئوا دراهمكم، وإن شاء الله ، غداً (راني جاي)

(يخرج)

14 - خاتمة الموال ..

(تختفي الإضاءة العامة من جديد ، وتعود بقعة الضوء الضيقة)

الصافية : سبحان اللّه، لم يعجبك اسم ابنتنا ، ولم تعجبك ملابسي ، وماذا بها هذه الملابس أيها الرجل ؟

بن هدي : هي ملابس نساء الكفار ونساء الزنادقة والملاحدة ، ونساء الخارجين عن الملة ، ولك عندي أحسن منها ..

الصافية : ليس المهم الملابس ، ولكن قلبي ، وليس بقلبي إلا حب اللّه ..

بن هدي : نعم ، وحب اللّه مع شيء من الاحتشام ، لا يعادله شيء ..

الصافية : وهذه الملابس المحتشمة، هل ستغير من جوهر روحي شيئاً ؟

بن هدي : لا تكثري من الجدل يا امرأة ، خذي هذه الملابس والبسيها، فهي وحدها لباس المؤمنات الصالحات .. (يفك الصرة ، ويخرج منها ملابس سوداء ، ويلقي بها إليها)

الصافية : (وهي تضع الملابس عليها ، وتكلم نفسها) انتظرت أن يعود في زي الإنسان، ولكنه عاد في ثوب السجان ..

بن هدي : ماذا تقولين يا امرأة ؟

الصافية : إنني أسأل نفسي ، أيكون هذا هو كل ما أتيتني به ؟

بن هدي : لا، ليس هذا فقط ، لقد أتيت لك بهذه النظارات أيضاً ، وبهذه القفازات السوداء ، وهي من النوع الجيد والرفيع والغالي ..

الصافية : النظارات ؟ ولكنني لست عمياء ..

بن هدي : أعرف ، أنت لست عمياء ، وعيون الرجال الوقحة أيضاً ، ليست حولاء ولا عمياء .. (تضع النظارات على عينيها ، وترتدي القفازات ، يبقى المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى عبد اللّه وعبد البصير)

عبد الله : إن الأصل في هذا الوجود يا عبد البصير أنه متعدد الألوان والأصباغ، فهو مثل الطاووس تماماً ، حقيقته في تعدد ألوانه، والتي هي ألوان الأرض نفسها، و ألوان السماء نفسها وكل الأشياء، وإذا اختزلنا ألوان هذا الطاووس في لون واحد أوحد، وكان هذا اللون هو الأسود ، فإنه لن يظل طاووساً كما خلقه اللّه ..

عبد البصير : وماذا يصبح يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : يصبح غراباً ، وما أكثر الدعاة إلى غربنة الوجود وإلى غربنة الحياة ، وإلى غربنة الأحياء وإلى غربنة عقول وأرواح كل الأحياء ، ولأنني ـ يا عبد البصير ـ لا أفكر كما يفكر كل الناس، فإنني مجنون وأحمق ، وعلامة جنوني وحمقي أنني أدخلت المصحة (لنفسه) وهل هي فعلاً مصحة أو هي سجن؟ (يبقى المشهد جامداً ، تنتقل الحركة إلى الجهة الأخرى)

الصافيــــة : عجباً، لقد انتظرتك كل هذا الوقت لتأتي ، وعندما أتيت، وجدتك رجلاً آخر..

بن هـــــدي : وأنت أيضاً، ينبغي أن تكوني امرأة أخرى ..

الصافيــــة : شيء جميل أن يتغير الإنسان ، ولكن ليس إلى هذه الوجهة ، وليس إلى هذا الحد ..

بن هـــــدي : أي حد ؟

الصافيــــة : أن يصبح الإنسان هو غير هو، وأن يخرج من لحمه ومن عظمه ومن جلده..

بن هـــــدي : أنا اليوم ـ بفضل الله ـ أحسن من ذلك الزنديق الذي كنت ..

الصافيــــة : نعم ، أنت أحسن منه في شيء ، وهو أحسن منك في شيء، والأحسن منكما معاً ، هو ذلك الذي كان ينبغي أن يكون ، والذي أحببته ، وانتظرته ورسمته في خيالي (لنفسها) ولكنه مات في الطريق ..

بن هـــــدي : لقد أراد الله بنا خيراً يا امرأة ..

الصافيــــة : نعم، ونحن نريد بأنفسنا شراً ، وتلك هي المهزلة يا رجل ..

بن هـــــدي : مقارعة الشر للشر ليست شراً ..

الصافيــــة : يا ويلي ، إنك تخيفني بهذه الأفكار الغريبة ..

بن هـــــدي : لا تخافي ، ولا تحزني، واعلمي أن الله معنا ، خذي هذا الحجاب ، ولفي به رأس ابتنا .. (يعطيها ثوباً)

الصافيــــة : ولماذا الحجاب ، وهي لاتزال صبية ؟

بن هـــــدي : اعلمي أن من شب على شيء شاب عليه ، والاحتشام والوقار ليس لهما زمن محدد ..

الصافيــــة : هذا ليس حجاباً، وإنما هو كفن أسود،

بن هـــــدي : هي ابنتي، ومن حقي أن أفعل بها ما أشاء ..

الصافيـــــة : آه ، تذكرت ، هي ابنتك ، ولكن ، ما رأيك لو نسميها الموؤودة؟

بن هـــــدي : ماذا ؟ الموؤودة ؟

الصافيـــــة : أليس هذا الاسم هو أحسن كل الأسماء ؟

بن هـــــدي : الوأد لا يليق إلا بالجاهلية ..

الصافيـــــة : (لنفسها) نعم، وهل هذا الفعل إلا من زمن الجاهلية ؟

بن هـــــدي : خذي هذه النظارات أيضاً ، وضعيها على عيني البنت (يعطيها نظارات سوداء صغيرة) فهي أنثى ، وكل أنثى عورة ..

الصافيـــــة : (وهي تضع النظارات داخل العربة) الآن أصبحت تشبهين أمك في كل شيء ، ولقد فعل الله خيراً أنك أنثى ، ولو كنت ذكراً مثل أبيك، لركب لك في وجهك لحية ..

بن هـــــدي : (يخرج من العربة دمية ، ويحضنها ، ثم يدفع بالعربة إلى باب الحانة، بعد أن يلقي بداخلها ما تبقى في الصرة) تعالي يا امرأة ..

الصافيـــــة : والعربة ؟ (وهي تنظر باتجاه الباب الذي دخلت منه العربة)

بن هـــــدي : لسنا في حاجة إليها ، وسوف آتيك بما هو أحسن منها ، تعالي.. (يجرها من يدها ، ويخرج مسرعاً ، وما أن يبتعدا قليلاً حتى يسمع دوي انفجار شديد ، وتظلم الخشبة ، يسمع صوت سيارات الإسعاف وسيارات الإطفاء ، وصوت تغيير المحطات في الراديو ، وأصوات شعارات نشرات الأخبار في التلفزة .. ضجيج وصخب ، ونداءات غير مفهومة ، يعود الضوء إلى البقعة التي بها عبد الله وعبد البصير ، بينما يتعالى الدخان من الجهة الأخرى)

عبد اللـــــه : يا عبد البصير، حاول أن تبصر ..

عبد البصير : وهذه الظلمة التي في قلبي وعيني، وفي عقلي وروحي ، ماذا أفعل فيها ؟

عبد اللـــــه : أوقد لها شمعة يا عبد البصير..

عبد البصير : هي ظلمة دامسة وحالكة يا عبد الله ، وماذا تفعل معها شمعة واحدة ؟

عبد اللـــــه : أوقد لها قنديلاً أو سراجاً ، واحترق أنت إن استطعت، واحرص على ألا تكون لغماً منفجراً ..

عبد البصير : هل شاخ الزمان يا عبد اللّه ؟

عبد اللـــــه : شاخ الزمان ، وشاخ الإنسان ، وشاخ هذا الليل، ولم يبق سوى أن تدق ساعة الرحيل ، وأن يولد يوم جديد ..

(يسمع صوت انفجار آخر ، وتظلم الخشبة تماماً ، ويستمر الحوار بين عبد اللّه وعبد الصير في الظلمة)

عبد البصير : يا عبد اللّه، إنني أرى الظلمة تزحف على الضوء، وأرى الجهل يطرد العقل، وأرى الكلمة يتسابق إليها الحمقى ..

عبد اللـــــه : وماذا غير هذا يا عبد البصير ؟

عبد البصير : أرى الموت يطارد الحياة ، ويتوعد الأحياء ، وأرى المأتم يأخذ مكان العيد، ويحاول أن يطفئ كل الشموع وكل القناديل وكل المصابيح، وأرى القبح يا عبد اللّه يزاحم الجمال، ويحارب الكمال والاكتمال .. ياليلي ، يا عيني، على الدنيا وعلى أهل الدنيا ..

(يرتفع صوت المغني بموال حزين)

عبد اللـــــه : لم تقل لي يا عبد البصير، ماذا سوف تسمي مسرحيتك ؟

عبد البصير : هي ليست مسرحية ، ولكنها موال يا عبد اللّه ، موال حزين في ليل شبه حزين .. وسوف أسميها (يا ليل يا عين)

(يرتفع صوت الموال أكثر وأكثر)

المـــــــوال

ما حيلة العبد والأقدار جارية	عليه في كل حال أيها الرائـي
ألـقاه في الـيم مكتوفاً وقال له	إيـاك إيـاك أن تـبـتل بـالـمـاء

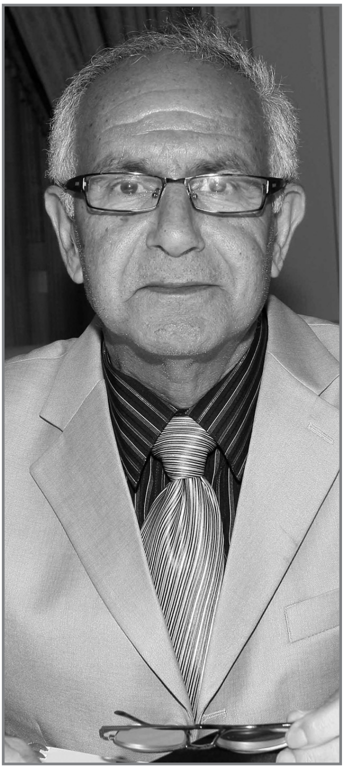


نصوص

السيرة الذاتية للمؤلف

عبد الكريم برشيد

- عبد الكريم برشيد/ كاتب- مؤلف/ مخرج مسرحي/ كاتب صحفي/ أستاذ
- ولد سنة 1943 بمدينة أبركان بشرق المغرب
- ليسانس الأدب العربي. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس 1971
- دبلوم التربية وعلم النفس. كلية الآداب بفاس 1971
- ديبلوم الدراسات العليا المعمقة (ماجيستير) بأطروحة في موضوع (الاحتفالية وهزات العصر) بجامعة المولى إسماعيل بمكناس 2001
- دكتوراه بأطروحة في موضوع (تيارات المسرح العربي المعاصر ، من النشأة إلى الارتقاء) جامعة المولى إسماعيل. مكناس
- دبلوم في الإخراج المسرحي من أكاديمية مونبوليي بفرنسا - سنة 1973
- مؤسس تيار المسرح الاحتفالي في المسرح العربي. ربيع 1976
- عضو مؤسس لمجلة (الثقافة الجديدة) وعضو هيئة تحريرها ابتداء من أواسط السبعينيات من القرن الماضي ..
- رئيس تحرير نشرة (ربيع المسرح العربي) والتي كان ينشرها مهرجان ربيع المسرح العربي 1990. 1993
- رئيس تحرير نشرة (الموسم) الصادرة عن موسم أصيلة الثقافي - صيف 1990
- رئيس تحرير مجلة (التأسيس - دفاتر مسرحية) والتي صدرت من مدينة مكناس سنة 1986
- رئيس تحرير مجلة (مقامات) التربوية، والتابعة لنيابة وزارة التعليم بمدينة الخميسات. 1995
- كاتب ركن صحفي باسم (سوق الكلام) في



جريدة (الميثاق الوطني)
- له أكثر من أربعين نصا مسرحيا ، كتبت جلها باللغة العربية الفصحى ..
- ترجمت بعض مسرحياته إلى اللغة الفرنسية وإلى اللغة الإنجليزية وإلى اللغة الإسبانية وإلى اللغة الكردية
- تدرس نصوصه المسرحية في المدارس الثانوية المغربية وفي مدارس البعثة الفرنسية وفي كثير من الكليات وفي المعاهد المسرحية المغربية والعربية
- قدمت هذه النصوص في كثير من الدول العربية والأجنبية
- صدرت في كتب وفي مجلات وفي بعض الملاحق الثقافية للجرائد

الفهرس

مسرحية | على باب الوزير | 3
مسرحية | ديوان الحشاشين | 97
مسرحية | صياد النعام | 197
مسرحية | ياليل ياعين | 287